

روايات رومانسية عالمية

عبدالعزيز

مارغريت بارغيت



المفاجأة المذهلة

www.tiilas.com

the white pearls



مكتبة زهرة

المِفَاجَاهُ المَذْهَلَةُ

هل الرجال

دائماً قساة؟ سؤال حير سوزان

غريتجر طويلاً خاصةً بعد أن حملتها الأقدار لقمة

سانقة لترميها بين فكى ميريك فيندلي الرجل الطاغية. منذ

راته لأول مرة شكت في أمره، وتأكدت بأنه مجرد من ودادته استولى

على أملاك والدها الشاسعة بأساليبه الملتوية.وها هو يأكل ذيبيه والأعبيه

يحاول الاستيلاء عليها كجزء من الشروة التي يحمل بها. ولكن لا. سوزان لن

تروع هذا الرجل يرتاح، لن يغمض له جفن ما دامت هي على قيد الحياة. يجب أن
تحاريه بكل استحثتها يجب أن تفضح حقيقته أمام والدها الذي وثق به وسلمه

مفاسيد حياته لن تردعه لا وأمه، لن تستمع لنصائحه ، لن تصدق القواله ،

لن تثق بأفعاله. وستظل وراءه تتحين الفرصة المناسبة لتنقض عليه

وتكتشف جميع أوراقه انه واجبها كابنة وحيدة لرجل عجوز انهكه

المرض وجاء اليوم الموعود ، واقتربت اللحظة الحاسمة

وانكشفت جميع الأوراق المستترة . وكانت المفاجأة

مذهلة !

مير

جمهورية مصر العربية

١٥ شارع الشيخ محمد عبد العزiz - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥٢٩٥٥ - موبائل : ٠٢٣٧٦٤٩٨

١ - آنسة خارجة من التاريخ

كان ظهراً حاراً من أيام آب (اغسطس)، وأشعة الشمس الحادة ترافق في أرجاء المطعم وعلى طاولاته المفروضة بأغطية بيضاء، لاحتها سوزان غريجور بعينيها الرماديتين، ولما سمعت أحد الزبائن يتلعر من وهج الشمس، لاحظت أن صاحب المطعم الشاب سارع إلى اسدال ستائر فانحجب الوجه.

كانت ستائر قطنية ذات خلفية بنية مزينة بنقوش هندسية بيضاء، يدت جذابة وجديدة بالنسبة إلى سو، فاستحوذت على اهتمامها وغرقت في تأملها إلى حد جعلها تنس الرجل الذي يشاركها طعام الغداء.

«سوزان».

هتف تيم ماسون اسمها بفم صبر، لكنها استمرت في تأملها ولم تفق إلا حين خاطبها ثانية، فعاد بصرها المسافر يترک بتعباسة على وجهه.

«آسفة».

غمضت وهي تكمش قليلاً أمام نظرته الجافة، لكن وصول المفيدة بقهوتها أنقذ موقفها فشعرت نحوها بالامتنان.

كان من الخطأ أن ترافق تيم إلى المطعم برغم الحاجة الشديدة، فهي لا تتوقع منه أن يفهم استرساتها في العجز عن التركيز. حادثة أمها، موتها المفاجئ وأمور أخرى، صدمتها بقوة وأوصلتها إلى ما هي عليه. ذلك الزبون المتذر... أليس غريباً أن يهيا تصرفه العادي البسيط شعوراً طبيعياً مريحاً عجزت عن اعطائه إياه كل تشجيعات تيم الصارمة وعطفه الفياض:

«آسفة».

كررت الاعتذار فيها راح يحرك قهوته بغضب وقال:
«لا باسم يا حبيبي، لكن فرصة الغداء محدودة، وويلوكوكس العجوز
سيصاب بنوبة اذا تأخرت حس دقائق. باستطاعتك على الأقل ان تصفي
الى ما أقول. كنت اسألك عن تلك الرسالة. لقد أتيت لك الوقت الكافي
للتفكير. فعل ما زلت تأخذينها على عمل الجد؟». أشاحت وجهها عنه ونظرت بحيرة الى يديها ثم سالت بتحمّل:
«وماذا اذا أخذتها على عمل الجد؟».

«أولاً، تفهمت موقفك البليبل بعد الحادثة، لكن الوقت حان لأن
تعودي الى التفكير المنطقي».

«لقد أعطيت وعداً انه الوعد الأخير الذي سأعطيه». أعتقدت انك تبالغين في الدراما تيكية». ثم قرب رأسه عبر الطاولة وقال
بحدية مفاجحة: «بامكانك ان تطلبني مني عدم التدخل في شؤونك اذا
شتت. لكنك أوقفت حياتك على املك وهي تحكت من تقيدك وحرمانك
من الحرية الحقيقة».

حاولت الاعتراض فأمسكتها بحركة من يده وتتابع:

«لقد طلبت منك ايصال هذه الرسالة حين كانت في حالة مرضية شديدة
أعاقتها عن استيعاب هذا الطلب. لا ترين يا سو، أن الأمر قد يعني مزيداً
من القيد ولديك منها ما يكفي؟ انك لم تسمعي بهذا الشخص الذي
ستحملين له الرسالة، وقد يكون قريباً عجوزاً، انه عجوز بلا شك، اذا
كانت املك كتب الرسالة منذ أمد بعيد. ومهما يكن هذا الشخص،
سيحتاج على الأرجح الى رعاية واهتمام، وانت لن ترفضي هذه المساعدة
لمعرفتي بك!».

نفلقست يدها بعصبية تحت الطاولة. لا يعن لي تم ان يكلمها هكذا!
انها لا تخصه باي شكل ولا تريد ان تخصه. لكن هل تراه خاطيها بهذا
الأسلوب لانه قلق عليها؟ أجبت بتعلّم:

«قد تكون خططنا يا تيم، لقد أحيرتك سابقاً ان امي كتبت الرسالة قبل
بضعة أسابيع. لم تكن مفرطة الحساسية ابداً كانت عرضة لهذه التكهنات
المسبقة».

تحاشت ارد على تعليقاته الأخرى لعجزها عن نفي ما تحتويه من
حقائق.

لم يتاثر بجوابها وهي ما توقعت ان يفعل. أيجابها بخفاف وبنظره شك
من عينيه البنيتين:

«سوزان باستطاعته كل منا ان يتخيّل اصابته بحادث. انه نوع من الواقع
الفيزيولوجي، والحوادث تحصل كل يوم. لكن املك كانت صارمة وعنيدة
الى حد منها من الاستعانة ببعض التعلّق».

«ليس الأمر كذلك يا تيم».

كان صوته يمزق أعصابها بقسوة، وأسلوبه الاستخفافي يثير في ألسنتها
صراخاً. أرادت ان تهبس وتركه، لكن نزعة عنيدة في طبيعتها أرغمتها
على البقاء. فأردفت تقول:

«يجب ان تفهم ان هذه مهمة يتوجب على القيام بها بغض النظر عن
رغبي تجاهها. فانا لا أرغب شخصياً في ملاحقة شخص محظوظ في
اسكتلندا في الوقت الحاضر. لكنني وعدت!».

«وكنت حينها مضطرة بطبعها الحال! ليتك تفكرين بعناية يا حبيبي...
فالوعود...».

ولأول مرة تردد واحتار. جوفاً من ايلامها، فأكملت عبارته بجمود:

«وتقصد الوعود التي تقطع على فراش الموت». أعتقدت انك أقصد ذلك، لكنني ما توقت ان أقوله بهذه الفجاجة. أعلم
ان كثرة من الناس تستصعب رفض الطلبات في وقت كهذا.
اضاف سكراً الى قهوته معطياً لنفسه وقتاً للتفكير. ثم سأله:
«أتسمحين لي بالصراحة يا سوزان؟».

«اويمات ويشي من الخنر، فتایع وبصره بجول بلطف في عيالها الناعم
الجميل».

«وادرك شعورك تجاه أهمية هذه الرسالة. ولكن فيها يتعلق بك، لم أكن
ائثل باملك في حياتها، وأخشى ان لا أثق بها حق الاآن».

«أرجوك...».

لكنه لم يسمع لشهقتها المترفة بان ترققه عن الكلام:
«واسمعني الى النهاية لأني لا أقصد سوى مصلحتك. كنت أشعر احياناً

أصريت، سأراهنك لتسليم تلك الرسالة الخامسة رعايا في عطلة المقلة أو في نهاية أسبوع طويلة».
«أواه يا تيم!».

تجمعت الدموع في مقلتيها وقفت لو تحملك أعصاها... لفترة عطف واحدة ما نزال تبكيها! منعت دموعها من السقوط وقبل أن يتبه تيم ناثرها. إنها لم تبلغ العشرين بدون أن تقيم صداقات مع الجنس الآخر. كانت صبية معافاة وغب الاستمتاع والمرح، لكنها لم تستمتع في الحقيقة بمعظم تلك الصداقات لأن أمها كانت تبذل أقصى جهدها لاغاظة هؤلاء الشبان، ولم تتمكن أبداً من الاحتفاظ بهم بعيداً عن أمها التي كانت تتجدد في كل منهم سيدة ما تظهرها بوضوح، فتلت صدقة مرحة إنما قابلة بسهولة للتحطيم.

تذكرت سوزان هذا وتساءلت لماذا كانت تتسلل لأمها بسرعة. كان يضايقها أحياناً أنها وصلت هذه السن من دون أن تعرف الحب. هل هي مثل أمها، تحملون من أيام طاقة حقيقة على الإحساس بمشاعر أعمق؟ أو ربما العواطف التي حلمت بها كانت غير واقعية كلية، والأحساس الدافئ المجنحة مجرد اسطورة؟ كانت مولعة بيتم معظم الوقت، فهل كان هذا كافياً يا ترى؟ لكنها تبنت فكرة الزواج منه حالمًا طرق ذهنها. لا يمكنها ان توافق. ليس الآن. ليس قبل ان تتأكد تماماً.

ارتفع صوتها قليلاً وهي تحاول إخفاء ترددتها وقالت:
«آسف يا تيم، لا يمكنني الزواج من أي كان في الوقت الحاضر». نظر إلى وجهها الشاحب والمتوردة قليلاً، وأعتقد أنه فهم السبب. استعجل عليها ولم يمض وقت طويل على فجيعتها. ضغط يدها مطمئناً وقال:

«ولا تقلق يا حبيبي. سأكرر طلبني في مرة أخرى، إنما فكري في الموضوع».

نم نظر إلى ساعته بقلق وأضاف:
«لكن عذبني لا تصرف في الموضوع الآخر قبل أن تعلميقي». ثمنت لو انه يتزوج عن منادتها «حبيبي»، فقد يترك ذلك انطباعاً سيئاً لدى الناس. شعرت أيضاً بغيض من الارتياب لكونه جد فكرة الزواج،

ان أمك لا تحبك كثيراً، واستغرب هذا باعتبارك ابتها الوحيدة. فلعلها ربّيتها تنظر اليك نظارات غريبة وكانتها لا تأبه كثيراً لما ترى. كانك تذكرها بشخص لا تحبه. فضلاً عن انك لا تشيبهها بالبنة. لكن من ناحية أخرى، كانت معظم الوقت تثبت بك ينتمل، وأحياناً ترفض ان تدعوك تغيبين عن بصرها. تذكرني كيف أصررت على أن تخدى عملاً في الجوار بعد تركك الجامعة، أرادتك ذاتها قرية منها، وهذا ليس اثباتاً ملدي حبها لك. قد يكون السبب افتقارها إلى الأمومة الحقة، فلم العجب الآن اذا أبديت شكوكك في طلبها الأخير؟».

الملتها منطقية كلامه فجفت شفتيها وشحّ وجهها. لم تدرك انه كان واعياً لهذا المقدار من الحقائق! لم تشك كثيراً في ان اهتمامه كان يدافع ذاتي. لكن أني له ان يدرك كم يتألم المرء حين تخضع خواقه وظرونه الخاصة لتحليل قاسٍ كهذا! ان علاقتها المشتركة مع أمها كانت شيئاً ملماً تشاً ابداً ان تبعه مع أحد، ولا مع تيم بالذات، ذي النزرة الموضوعية للأمور. هذا أجابت أخيراً ببرود:

«أفضل عدم يبحث الموضوع». عاد صبره ينفذ وهو يرقب عينيها تسعن تحت أهدابها الداكنة بنظرة دفاعية، وعمّ غاصباً:

«أعتقد أحياناً ان لا أنهملك بالمرة يا سو». وكادت ان تغيب، وأنا ايضاً لا أنهملك معظم الوقت». لكنها ابتلعت الجواب. فهو يرغم كل شيء، كان عطوفاً ومساعدها كثيراً في الأيام الأخيرة، وبذا انه الصديق المقرب والوحيد في حياتها. كان ايضاً الرجل الوحيد في دائرة معارفها الصغيرة التي تقبلتها امها بلا اعتراض. نظرت إليه بكلبة وقالت:

«حاور ان تفهم وتتحمل يا تيم، فالحادثة ما نزال جديدة». «اني أحاول يا سو».

سمعته يتهدى، ثم بدأ تكتبه فجأة فتوسلها بلطف غير أياها كما كان يفعل لدى انقلاباته هذه. غطى يديها بكلمة المتصالص وقال:
«حبيبي، لماذا لا نتزوج لاستطيع الاعتناء بكل شيء عنك. اني واثق من أن أمك كانت ستوافق اذا تزوجنا سأصلع بكل شرورنك، واذا

لكتها لم تنشأ ان تعدد برأي شيء، ولا حتى باطلاعه على تفاصيل عابرة عن تحريراتها، فقد يقيدها الابتعاد عنه لفترة، ومن الأفضل لا تصارحه بهذا تحاشياً لايلامه. هزت كظيفها وقالت بعد ان نظرت اليه بسرعة: «لست متاكدة مما سأتعلمه».

حلت حقيبتها استعداداً للخروج وأشار هو الى المقيفة طالباً الحساب. وهنا أضافت: «لن أناك قبل ان أقابل محامي والدي. الذي موعد معه اليوم بعد الظهر».

واجهتها ريح صيفية جافة حين افترقت عنه خارج المطعم، فشققت طريقها نحو موقف الباص. خسارة في هذا الطقس المشرق ان لا تذهب شيئاً. لكن الريح كانت مزعجة تطبع بالتفانيات الصغيرة وتنثر الغبار الناعم حول قدميها. كان هناك تلميذ بادي الصدر، يردد أصوات قديمة في الغبار فقاومت رغبة في الخدو حلوه. شدت قامتها وقالت لنفسها يحزن ان لندن، حتى في شهر آب (اغسطس)، لا تخلو من الملاحة، وانها اذا لم تكن تحب العيش في مدينة كبيرة فهناك الوف يحبون ذلك. أنها احيت لندن وووجدت في شوارعها المكتظة ما كانت تصبو اليه من مجھول.

نهدت بحقيقة وقفزت الى الباص حين وصل، غثارة الجلوس في طبقه العليا، وراحت تحدق عبر النافذة الى صفوف البيوت والحوانيت التي كانت تتعرض بصرها ثم تذوب وتتحول الى بقع تافهة. وسرعان ما اجتاحتها احساس واضح بالحرارة، احساس يأنها تستطيع ، لأول مرة في حياتها، ان تختار ما يسرها من أمكانية السكن والعمل. هناك بالطبع مشكلة الشقة لكن اخلاقها سهل، كذلك عملها الحالي في مكتبة الحبي يمكّنها الاحتفاظ به ريشا تجد عملاً تدريجياً ثابتاً. وبعد رحيل امها لا يوجد من يضطرها الى البقاء هنا. تيم سيقبل في النهاية رفضها الزواج منه، واذا شاء، برغم ذلك، ان يظل على اتصال بها، فلن غانع.

لم يدعها المحامي تنتظر طويلاً. كان رجلاً شاباً، ذو عقل كميتوبي واسلوب أسلبه بجهاز التقل في تعامله مع الزبائن. دعاها فوراً الى الجلوس وعزماها بصوت رسمي رفع النبرات. وبرغم ذلك، سرتها ضيافاته الجدية وووجدت فيها تغييراً مريحاً لمعطف تيم الحاتق في معظم الاحيان. جلست

على المقعد الذي اختاره لها وواجهته بوقار. قال لها وعيناه الرماديتان تحترمانها بلا ابدال: «كنت خارج لندن ولذا تأخرت في الاتصال بك. املك امك لا تشكل أية معضلة، اما هناك شيء غافض بالنسبة الي».

انتظرت بصبر حين توقيف عن الكلام وأخذت يبحث عن ورقة على مكتبه. لم تلتقي هذا الرجل من قبل مع ان امها استشارته مرتبين حول قضيائهما بسيطة. اهلاً لم تسمع بوجود املاك. لعله يقصد بعض الباوندات التي قد تكون امها تركتها في المصرف. وعندها، تذكرت سومال التأمين فقالت للمحامي:

«اعتقد ان والدي ترك تأميناً. فيعد موته، كانت امي تتلقى مبلغًا شهرياً متقطّعاً. لم تذكر لي قيمة، ولا أعتقد انه يساوي كثيراً بعد التضخم. أي توقي قبل ان اولد وهذا المال ساعدنا كثيراً. اظن انه من واجبي الان ابلاغ الشركة بوفاتها. كانت سخافة متى ان انسى هذا الواجب». انتسها عرضها المشوش للحقائق والالم الذي أحده، فقلصت يديها في حضنها.

ووجد المحامي ما كان يبحث عنه وحين نظر اليها بامتعان لاحظ الضيق في عينيها الغائتين فقال بهذه:

«لا تقلقني لهذا التأخير يا آنسة غرينجر، لكنني اردت في الواقع ان أحذنك ي شأنه، فأملك ذكرت قضية التأمين منذ وقت بعيد، اما حين استضررت عنه في المصرف اتفصح ان لا تأمين هناك. بالطبع كان يضاف مبلغ الى حسابها كل شهر، لكنني لم اتوصل الى مصدره. فهل لديك معلومات توضح المسألة؟».

فاجأها الخبر فاختفت خواص في داخلها. اذا لم يكن هناك تأمين، ولا سبب يدعوها الى تكذيب المحامي، فمن اين كان المال يأتى؟ سائلة: «الانت متاكد من عدم وجود غلطة ما؟».

«والغلط ليس وارداً. بالتأكيد».

نقلت جزمه بانهزام وراح ذهنها يبحث عن تفسير معقول. لم تتوصل الى نتيجة فدب فيها الخوف.

«وانا لا املك إلا الرسالة».

هذا؟

قالت العبارة هساً وشعرت فوراً بالذنب. ولكن ما عساها أن تفعل غير

«رسالة؟ هل يمكنني الاطلاع عليها؟» ومد يده متظراً.

أغلقت داخلياً وهي تخرج الرسالة من حقيقتها وقالت: «آسفه، لقد وعدت أمي بأن أسلّمها لصاحبها بدون أن افتحها. لكن إذا كان العنوان يساعدك فلا بأس أن تطلع عليه».

تناولها من أصحابها الباردة بدون أن يلتفت على عبارتها الغربية وقرأ العنوان بامتعان. ثم قال:

«أنا معنونة إلى السيد جون فريزر في غلترودن، بيرتساير ويخط أمك ان لم أكن خطأ».

تناول أحدى الأوراق وقارن الخطين ثم أوما قائلاً:

«الخط واحد فلدي هنا توقيع أمك، لكن أليس لديك فكرة عن مضمون الرسالة؟».

«كلا، لكنني مزمعة على زيارة إسكتلاندا في أسرع وقت فلعل اكتشف شيئاً. هل تعتقد أن لها علاقة بقضية التأمين؟».

«ربما، هل حدث وسمعت شيئاً عن السيد فريزر هذا؟».

هزت رأسها سلباً وقالت:

«كل ما أعلمته أن والدتي لم تذهب أبداً إلى إسكتلاندا، كذلك لم تبارك لندن. كانت تقول إن إسكتلاندا مكان مفتر باردة».

«وهل صدقها؟».

«ليس تماماً، أعتقد أنها كانت ستغير رأيها في حال اقناعها أحد بزيارتها. إن أحاول فقط أن أفسر استغرابي لهذه الرسالة ولا أعرف مطلقاً من يكون هذا الرجل».

«وحتى، لن تفكري بفتح الرسالة؟ إن الاطلاع عليها قد يوفر...».

«متاعب كثيرة على المدى البعيد».

«كلا، لا يمكنني بحال ان أفتحها».

«لماذا تردد قبل أن يقول «متاعب»؟ تم الا يدرك بأنه يطلب المستحيل؟ ربما هو، كما تيم، يظنها باللغة الدرامية كيبة. أتفقناها الحيرة فأشاحت عن المحامي. لقد وعدت أمها، والوعد وعد منها تكون الظروف، قال:

التاريخ.

كانت تتناول طبق السمك حين دخل الرجل صاحب التورة، لقد قيل لها انها لن ترى اليوم في اسكنلند رجلا يرتدون هذه التنانير، وأن السباح الذين يتوقعون هكذا مشهد يصابون بخيبة، لكن هذا الرجل يرتدي واحدة! رداء رائع من التارتان (قماش صوفي مربع متعدد الألوان) يأسر النظر او بالآخر الشخص الذي يلبسه! رجل جبلي وسيم، فارع القامة مدیدها! انحبس النفس ضيقاً في حلقها. كان طويلاً اسر. تبدو الثقة واضحة في كل خطوط جسمه الدين وفي شموخ رأسه. ولاحظت سو قبل ان يجلس كيف تطوح التورة برشاشة حول رديفه. وبجهد ازاحت بصرها عنه لثلا يراها تحدق اليه. كانت معه رفيقة، فتاة تكبرها سناً اصفر من الرجل، في اواخر عشرياتها ربما.

كانت انيقة، ترتدي التارتان ايضاً مع وشاح داكن على كتفها. كانا كآخرين تقريباً فتقاسيمهما تبدو معبولة بالاعتداد الشديد نفسه. ركزت سو على طعامها وهي ترفض صبغ مشاعرها العاطفية بطابع الجده، وتعزو تشتت ذهنها الى فجيئتها الأخيرة والمسؤولية بالتأكد عن تصرفها الأنف وكأنها تلميذة مراعفة سريعة الانفعال!

ووجاء احست بنظره مباشرة تسلط عليها وتحذب بصرها كما المغطيس. رفعت عينيها بالرغم منها لترى صاحب التورة يحدق اليها كما حدقت اليه من قبل. كانت عيناه تستقران على وجهها بدون طرفة جفن ويتركيز حاد وكأنه يرى شيئاً.

وبصعوبة اشاحت بصرها عنه. سرت فيها رعدة غريبة وضيقها ان يتمكن هذا الغريب من التأثير عليها بعينيه فقط. هل ان امعانها السابق به جذب اهتمامه بها؟ احجلتها الفكرة وأفبت الدم تحت جلدتها. امتعنت لتصرفها الجبان، وملتوها من انفعالات خجلة لاحقة، تناولت حقيتها وغادرت المكان بسرعة.

وق احدي قاعات الاستقبال الفسيحة، غرفت في مقعد وثير مرغمة نفسها على الاسترخاء. ان الرجل بالكاد لاحظها، وهي تصنع «من الحلة قبة». ثم لماذا يتم بقناة غريبة مثلها، ويرفقت فتاة ساحرة أحادرة؟ في أي حال، طمأنت نفسها، لن تراه مرة أخرى. فهنا ستضيع وسط الرواد الكثري

المسافة في وقت قصير كهذا، اما كان في داخلها شيء يمنعها على التقدم، فضول عميق للتعرف الى هذا الرجل المدعو فريزر، الى هويته وشكله. فضول ممزوج في غرابة بمشاعرها الغاضبة تجاه امها لأنها لم تأت على ذكره الا بعد ان فات الاولان على أي تفسير. لا شك انه كان شخصاً مهماً بالنسبة اليها في احدى مراحل حياتها، تيم كان محقاً على الارجح، ففي مكان ما قد يكون هناك حال او جد هجرته امها يوماً. هذا الشخص موجود حتى والا ماذا شعرت امها بعذاب القسمين؟

ادنبره، عاصمة الشمال الرمادية، هي حقاً مدينة جليلة وبيه. لدى وصولها اليها، أخذت سوانطاغات تحافظة عن البناء الرائع والشوارع الفسيحة المحددة بعمارات مكينة عالية وأذقة ضيقة. القديم والجديد جنب الى جنب! تقدمت بيشه وبالا تذمر عبر حركة سير مائية متکافئة. اهتمام مثير بدأ يمحو تكاسلها السابق، وازدادت حاسة وهي تتأمل ما حولها لدى تباطؤ السير. على جسر ويفرلي ودخولها في برننس ستريت أحسست الفأ ايها يعود اليها.

لكن الطلق خجا قليلاً الذي بحثها عن مكان تناه فيه. طرقت عدة فنادق بلا جدوى، وفي النهاية استعانت بمركز الاستعلامات فأمن لها غرفة مرتفعة بالأجر. كل الفنادق مكتظة بسبب المهرجان السنوي الذي يزمه الناس من كل صوب. هكذا اخبرتها موظفة الاستقبال في الفندق.

ولما استتب في غرفتها اختارت أي ثوب ترتدي للعشاء، لكنها لم تحضر معها ثياباً رسمية سوى توراة طويلة سوداء لم تتوقع ان ترتديها. وحين استعرضت الآلات الفاخرة حولها قررت ان تلبسها مع بلوزة بيضاء طويلة الكفين.

كانت جائعة، فاستحملت ولبس بسرعة وهبعت الى الطعام. ولاؤل مرة منذ غادرت لندن قرستها الوحشة اذ وجدت نفسها وحيدة وحيده الأزواج وأفراد العائلات الضاحكين حولها. انه وقت المهرجان والجميع يلهو ويستمتع. هزت كتفيها وذكرت نفسها بأنها لم تأت بقصد الاستمتاع، طلبت طاولة هادئة. فقادها رئيس الخدم الى واحدة وهو يرميها باستحسان. تبعته غير شاعرة بأنها في ثوبها الرسمي وشعرها الاملس المسحوب الى خلف بشربطة محملة تبدو كأنة فكتورية انفلت من

وخلط الطاولات والملاعن الوريرة، وستمك من الاسترخاء قبل العودة إلى غرفتها. الوقت متاخر وعليها ان ترحل باكراً.

احست قهوتها باطمئنان، وتركت رأسها يرتاح على طراوة المقعد.

الجلبة خفت حروفاً وأدركها التعب، فاغمضت عينيها وكادت تنام.

صوته المفاجئ أ Jingلها بقوة وجعلها تتصرف جائلاً يذعر وتورد مرتبكة. قال:

«مساء الخير. أعتقد انه مدین لك باعتذر».

كان صوته عميقاً، كامل الرجولة بكل شيء فيه. قربه منها فارعاً ومتالقاً في رداءه الفولكلوري كان له وقع اسوأ من الواقع السابق. شعرت وكأنه يهد يده ويلمسها، فاكتفتها الذعر حين تشابكت نظراتها.

«غفوا».

كلمة خاوية لفظتها بصعوبة وهي تشتبث بذراعي المقعد. لم تجد شيئاً آخر تقوله. لماذا يتصور انه مدین لها باعتذر؟ الا اذا

«أظن انني اخفتكم في قاعة الطعام».

تابع القول وكأنها لم تتكلم، وهو يتحرك حومها ويزبح فنجان القهوة الذي لامس تورته. تمررت في مكانها ولاحظت توهج الخاتم الماسي حول اصبعه. وطوال الوقت كان يعطيها بنظرة الثابتة، معرباً ايماناً من ثقتها الذاتية. عنعن في عيالها البيضاوي الناعم، شعرها الأشقر، عينيها الدخانيتين، اهدابها الداكنة وقال:

«الدي شعور باني رأيتك قبل في مكان ما. كنت أحاول التوصل الى هوينك، لكنك غادرت فجأة ويدون ان تنهي طعامك. وفوراً احسست بالذنب».

«احست بالذنب؟».

رمشت بحيرة ورمقتها بارتباك وشك، فرأته يبتسم ويعن في جرانه، اتها حتى أقدم لعب الاصليلاد في العالم! لقد أثارت اهتمامه فاراد العرف إليها، والا لماذا يحيط رجل مثله الى مستوى منحرف كهذا؟ وللحظة قصيرة تملكتها الغضب، لكنها سرعان ما أخذته بشيء من التعقل. فرجال في مستوى لا يلتقطون الفتيات بهذا الشكل، كما لا يجب على الفتيات مثيلاتها ان يفكرن بهذا الأسلوب الرخيص. اذن لماذا تقرب منها هكذا؟ الاله شعر

غريزاً بانجذابها اليه؟ قالت في برود: «أخشى انك اخطأت الظن، فانا والثقة من انا لم نلتقي أبداً من قبل. ربما أنت تعرف فتاة تشبهني. والأدن، استاذن...». لم يحاول نفي تأكيدها ولم يتزحزز بل استمر يعلو عليها ويرمقها عن كثب متغرساً فيها بتعرياه. لذا لم يتبه كلامها لوصول الفتاة الا حين تكلمت وسألته:

«ماذا تركت فعل هنا يا حبيبي؟ فهمت منك انك مستطربي عند مكتب الاستعلامات؟».

ثم شخصت الى وجهه سر التوتر وأضافت بحدة: «لم أعلم انك تعرف احداً هنا». توقف سو عن تناول حقيبتها وأدارت رأسها تأمل الفتاة عن قرب. لم تكن مراهقة بائي حال اما جيلاً. لكن وجهها كان يتميز بقصبة معينة تعارض مع الرقة الذاتية في نظراتها الى الرجل. من هنا تأكدت سوانها ليست شقيقته. قليلاً هناك أخت تنظر الى أخيها هكذا.

وقبل ان تتكلم، قال الرجل باقصباب وكأنه لم يرحب بوصول زيفته الموقت:

«انك تعطيلين الوقت عادة في اصلاح زينك يا كارلوت. كنت فقط أكتم هذه السيدة الشابة لنصوري اني رأيتها قبلها في مكان ما، لكن يبدو انك كنت خطئاً. على أي حال، انا تبدو وحيدة ولعلها تقبل دعوتنا الى فنجان شاي».

اقترأهه أخل فجأة بانفاس سو. رمقت الفتاة بارتباك فرأيتها تحدق بالرجل بعigos وتعجب واستياء، وفي عينيها ادانة واضحة لتقريره من سر. وسمعتها تعترض بصوت جليدي:

«لكتها لا تعرفنا البتة».

«ستعالج ذلك بسهولة».

عاد ينظر الى سو، وعند يده بيتهذيب قائلاً: «انا ميريك فيتليلي وهذه الآنسة كارلوت كريغ». لم تتعجب سو كثيراً لعدم اهتمام كارلوت بالتعريف. تجاهله تماماً وانحدرت تحدق الى ميريك فيتليلي وكأنه فقد عقله، وارتفع صوتها الى نبرة

شبہ هستیریہ:

«لقد نسيت يا میریک ان امی تنتظرنا. لقد تأخرنا بما فيه الكفاية».
فأجابها:

«لن يضيرها ان تنتظر دقائق أخرى».

وعاد ينظر الى سو المرتبكة ويسجن نظراتها بعينين مهددين كأنهما بركتا
ظلمًا.

أخذت سو وكأنها ذيابة تسقط في شرك، فيها العنكبوت يترصدها
ويلاحقها بقصبة. كان عياه الداكن يحوم فوقها بعبارات مبهمة فتوقف
قلبه للحظة عن الحفagan. فقدت كل ارادتها وأخذت ارتجاه غريباً في
مواقصها. أذعرها الشعور، ومرة أخرى، برقـت شفتها باشامة خفيفة
وكانه أحـس بعجزها عن الحركة.

وفجأة، لفـح الغضـب ذهـنـها وجـسمـها المـخـدرـين، اذ خـطـرـ لها انه تصرف
معـها هـكـذا ليـثـرـ غـرـيزـةـ رـفـيقـهـ او ليـغـيـظـهاـ بشـكـلـ ماـ. انه احـتمـالـ مـرـجـعـ،
ولـطـلـماـ عـلـقـتـ اـمـهـاـ عـلـىـ الوـسـائـلـ الـلـتـوـرـيـةـ لـبعـضـ الرـجـالـ!
الـتهـبـ خـدـاعـهاـ وـهـنـضـتـ بـسـرـعـةـ مـتـجـاهـلـهـ بـدـهـ المـدـوـدـةـ، وـاسـتـدـارـتـ الـ

كارـلـوتـ تـقولـ بـعـذـوـيـةـ:

«اعذر ان كنت قد اخـرتـكـماـ عن موـعدـكـماـ بدون قـصـدـ. لا تـعـملـانـ
أـزـخـرـكـماـ أـكـثـرـ، وـأـنـاـ أـكـيدـهـ بـأـنـ السـيـدـ فـيـنـدـلـ لمـ يـدـعـنـيـ الاـ منـ بـابـ
الـتـهـذـيبـ».

غضـتـ شـفـتهاـ بـخـيـةـ وـاعـتـبـرـتـ الـحـادـثـ مـتـهـيـةـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـهـاـ. انـجـنتـ
لـتـسـأـلـ شـاهـاـ فـرـأـتـ الـيـدـ الـتـيـ تـخـاهـلـتـهاـ تـلـقـطـهـ بـالـنـيـاهـ عـنـهـ، وـقـبـلـ انـ تـسـطـعـ
الـاعـتـراضـ، فـرـشـهـ عـلـىـ كـتـفيـهاـ فـارـعـشـهاـ مـلـمـنـ أـصـابـعـ عـبـرـ قـماـشـ بـلـوزـهاـ
الـرـقـيقـ. خـفـقـ قـلـبـهاـ مـتـارـعاـ فـجـمـدـتـ مـلـوـيـةـ الـأـعـصـابـ، تـشارـكـهـ النـظرـ
بـعـيـنـيـنـ مـتـسـعـيـنـ. وـخـلـالـ الصـمتـ الـلـاحـقـ قـالـتـ:

«تصـبـحـ عـلـىـ خـيـرـ». ثـمـ هـرـبـتـ قـلـيلـ اـنـ يـسـطـعـيـ الكلـامـ.
شـرـارةـ اـنـصـارـ وـاحـدـةـ اـنـتـقـيـ طـرـيقـهـ وـهـيـ تـعـودـ مـهـرـولـةـ إـلـىـ غـرـفـتهاـ. لـقـدـ
استـعـانـتـ بـعـضـ التـعـقـلـ فـلـمـ تـذـكـرـ اـسـمـهـ لـمـيـرـيكـ فـيـنـدـلـ!

٤ - لقاء المازد

اطل الصباح التالي خبابياً رماديّاً مع انسكاب مطر، فبلل المعتنيات
والشّباب معاً. لكن سو شعرت ازاءه بامتنان غريب، اذ رحبت بآية تغطية
يمكن ان يزودها الفضاء الغائم بكثافة.

«طفـقـ آيـ اـغـطـسـ غـوـذـيـ!» عـلـقـتـ موـظـفـةـ الـاسـتـقبالـ وـهـيـ تـبـشـمـ
بـالـشـوـاءـ، لـكـنـ سـوـمـ تـرـمـ تـعـلـقـ كـثـيرـ اـتـبـاهـ وـهـيـ تـسـارـعـ فـيـ دـفـعـ الـحـاسـبـ قـبـلـ
اـنـ تـلـقـطـ سـيـارـتـهاـ مـنـ الـمـرـأـبـ.

لم تـرـ إـلـاـ قـلـيلـ مـنـ اـذـنـرـ وـهـيـ تـغـادـرـهـ، حـتـىـ القـلـعـةـ كـانـتـ بـالـكـادـ مـرـثـيـةـ
حـتـىـ خـيـمةـ الـغـيـومـ الـتـيـ تـلـفـهـاـ. فـقـطـ ثـلـالـ سـكـوتـ (الـشـافـرـ وـالـروـانـيـ
الـاسـكـنـلـنـدـيـ) بـداـ وـاضـحـاـ خـالـاـ عـلـىـ عـبـورـهـاـ بـرـنـسـ سـتـرـيتـ. وـهـنـاـ، وـعـدـتـ
نـفـسـهـاـ مـجـدـداـ، كـمـ فـعـلـتـ فـيـ بـورـكـ، بـأـنـ تـقـضـيـ فـيـهـاـ وـقـتاـ اـطـلـولـ لـدـيـ عـودـهـاـ
كـيـ تـرـتـادـ مـعـالـلـهـاـ جـيدـاـ. تـهـدـتـ وـهـيـ تـضـغـطـ فـيـ ثـدـمـ عـلـىـ دـوـاسـةـ الـوـقـودـ.
فـهـيـ عـلـىـ مـاـ يـدـوـ تـقـومـ بـالـأـشـيـاءـ بـالـمـلـقـلـوبـ.

حـتـىـ شـعـورـ مـؤـلمـ عـلـىـ الـمـجـلـةـ، فـخـرـجـتـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ سـرـعـةـ، عـبـرـ جـسرـ
الـشـارـعـ الـرـابـعـ إـلـىـ تـلـالـ فـايـفـ. رـكـزـتـ كـلـيـاـ عـلـىـ الـطـرـيـقـ الـمـلـلـةـ الـزـلـقـةـ،
وـعـلـىـ الـمـطـرـ الـمـهـمـرـ عـلـىـ زـجاجـ السـيـارـةـ الـأـمـامـيـ، عـلـيـهـاـ اـنـ تـفـكـرـ بـأـيـ شـيـءـ
يـنـيـهـاـ الـلـيـلـةـ الـمـاضـيـ، الـحـادـثـةـ الـمـلـفـقـةـ فـيـ الـفـنـدـقـ. فـهـيـ مـاـ تـرـازـلـ تـرـنـعـشـ لـدـيـ
الـفـكـرـ فـيـهـاـ. لـمـ تـكـنـ تـصـوـرـ اـنـ تـلـقـيـ مـيـرـيكـ فـيـنـدـلـ مـرـةـ أـخـرىـ، وـلـاـ هـيـ
تـرـغـبـ فـيـ ذـلـكـ، هـكـذـاـ طـمـانـتـ نـفـسـهـاـ، اـنـهـ، وـسـبـ صـدـفـةـ غـرـيـةـ، مـاـ
انـفـكـ قـلـبـهاـ بـعـقـنـدـ كـلـيـاـ فـكـرـتـ فـيـهـ، وـمـاـ تـرـازـلـ تـحـسـ رـفـةـ ثـدـمـ غـرـيـةـ تـصـارـعـ مـعـ
رـغـبـهـاـ فـيـ النـيـانـ.

فقط اعطاها امرأة اخرى بلهفة:
«اعتقد ان السيد فريزر يشكو التواء في كاحله. هكذا اخبرتني جاري هذا الصباح. لقد لواه في حقل الخليج (نبات منخفض في الجزر البريطانية) وللذا ستجده في البيت حتماً». لم تجرب سوبيل وقفـت صامتـة تـلـقـي الـاـرشـادـاتـ منـ المـرـائـينـ مـعـاـ. قـالـتـ أحـدـاهـاـ:

«تقـدمـيـ مـسـافـةـ مـيـلـيـنـ فـيـ خـطـ مـسـتـقـيمـ،ـ خـذـيـ يـمـيـكـ مـرـيـنـ ثـمـ يـسـارـكـ مـرـيـنـ.ـ لـنـ تـضـيـعـيـ الـمـكـانـ».

وقـالتـ صـاحـبةـ الـحـانـوتـ:
«هـنـاكـ بـيـتـانـ،ـ وـاحـدـ كـبـيرـ وـاخـرـ أـصـغـرـ مـنـهـ.ـ جـوـنـ فـرـيزـرـ يـقـطـنـ الـاصـغـرـ»ـ.ـ ثـمـ نـظـرـتـ إـلـىـ سـوـ مـقـطـبـةـ وـاضـافـتـ بـدـونـ انـ تـوـقـفـ عنـ تـلـيـةـ الـزـيـاتـ:ـ
«يـبـدوـ لـيـ أـيـ رـأـيـكـ مـنـ قـبـلـ فـيـ مـكـانـ مـاـ».ـ لـاـ اـعـتـدـ ذـلـكـ»ـ.

اجـابـتـ سـوـفيـ شـبـهـ اـبـسـامـةـ وـشـكـرـتـ الـرـأـيـنـ عـلـىـ مـسـاعـدـهـاـ،ـ ثـمـ اـرـدـفـتـ وهيـ تـرـاجـعـ فـيـ عـصـبـيـةـ صـوبـ الـبـابـ:
«لـمـ اـزـرـ هـذـاـ الـمـكـانـ مـنـ قـبـلـ وـلـذـاـ اـسـبـعـ مـاـ تـقـولـيـنـ»ـ.

خرـجـتـ إـلـىـ سـيـارـتـهاـ مـهـرـولـةـ وـصـدـمـةـ قـارـصـةـ تـرـىـ،ـ فـيـ كـيـانـهاـ.ـ لـقـدـ جـاءـتـ لـتـبـحـثـ عـنـ هـذـاـ الرـجـلـ الـمـدـعـوـ فـرـيزـرـ وـلـكـنـ عـثـورـهـاـ عـلـيـهـ سـحقـ فـيـهاـ أـمـلـاـ وـأـمـيـاـ بـاـنـ لـاـ يـكـونـ مـوـجـودـاـ.ـ حـاـوـلـتـ بـقـوـتـ مـقاـوـمـ رـغـبـةـ فـيـ الـعـودـةـ إـلـىـ لـندـنـ،ـ وـهـيـ تـدـرـكـ فـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ بـاـنـ لـاـ يـجـبـ اـنـ تـنـقـادـ لـيـلـوـهـاـ الـجـبـانـهـ هـذـهـ.ـ اـجـفـلـتـ كـسـائـرـ فـيـ نـوـمـهـ يـوـقـظـهـ اـحـدـهـمـ بـقـصـوةـ،ـ وـاـدـرـكـ اـنـ اـمـامـ خـيـارـ وـاحـدـ فـقـطـ.ـ لـاـنـ اـيـ تـصـرـفـ اـخـرـ كـفـيلـ بـاـنـ يـعـرـمـهـ رـاحـةـ الـبـالـ فـيـ الـسـقـبـلـ.

ادـارـتـ عـرـكـ السـيـارـةـ بـحـرـكةـ آلـيـةـ فـأـعـادـهـاـ الـهـدـيرـ الـمـفـاجـيـ،ـ بـعـنـفـ إـلـىـ الـوـاقـعـ.ـ مـاـ اـغـبـاهـاـ تـجـلسـ هـنـاـ وـتـرـجـفـ كـوـرـقـةـ.ـ كـلـ مـاـ عـلـيـهاـ فـعـلـهـ اـنـ تـتـقـدـمـ إـلـىـ غـلـيزـوـدـنـ فـتـرـصـلـ الرـسـالـةـ ثـمـ تـعـودـ.ـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ قـدـ تـسـتـغـرـقـ أـقـلـ مـنـ ساعـةـ،ـ اـذـنـ لـاـ مـوـجـبـ لـكـلـ هـذـاـ الـاـضـطـرـابـ،ـ وـلـيـسـ ثـمـ مـاـ يـبـرـ شـعـورـهـ الطـاغـيـ بـالـعـامـةـ.ـ اـسـتـوـتـ فـيـ جـلـسـهـاـ يـعـزـمـ،ـ ثـمـ اـزـاحتـ شـعـرـهـ الـاشـفـرـ بـأـصـابـعـهـاـ الـمـسـمـرـةـ الـاـرـتـاعـشـ وـمـضـتـ بـسـيـارـتـهاـ قـدـماـ.ـ وـجـدـتـ غـلـيزـوـدـنـ فـيـ سـهـلـةـ وـبـخـلـافـ مـاـ تـوـقـعـتـ.ـ الصـعـورـةـ الـوحـيدـةـ

منـ الواـضـعـ اـنـ مـيـرـيكـ فـيـنـدـلـيـ كانـ اـيـضاـ عـرـضـةـ لـتـدـعـاتـ مـنـ نوعـ آخـرـ،ـ فـهـيـ لـمـ تـرـ لهـ اـثـرـ حـيـنـ تـنـاـولـتـ فـطـرـ الصـبـاحـ.ـ تـنـاـولـتـ فـيـ عـجـلـةـ خـلـيـثـهـاـ مـنـ اـحـتـالـ لـفـائـهـ،ـ لـكـنـ قـلـقـهـ كـانـ فـيـ غـيرـ عـلـهـ.ـ فـالـطـاـولـةـ الـقـيـ اـحـتـلـهـاـ فـيـ الـلـيـلـةـ السـابـقـةـ كـانـتـ خـالـيـةـ،ـ وـكـارـلـوـتـ لـمـ يـظـهـرـ هـاـ اـثـرـ هـيـ الـاـخـرـ.ـ لـذـاـ لـمـ يـسـعـ سـوـ الاـنـ تـقـرـرـ جـازـمـةـ بـاـنـ اـسـتـاجـاهـاـ كـانـ صـائـيـةـ.ـ كـانـ مـيـرـيكـ يـسـتـعـلـمـهـ كـمـاـشـةـ صـغـيـرـةـ لـيـتـرـعـ بـعـضـ الغـيـرـةـ مـنـ صـدـيقـهـ الـجـمـيـلـةـ.ـ النـاسـ لـاـ يـتـرـعـونـ عـنـ قـعـلـ اـفـرـبـ الـاـشـيـاءـ مـنـ اـجـلـ حـيـاةـ عـوـاطـفـهـمـ.ـ لـكـنـ اـسـتـحـالـةـ اـقـدـامـ مـيـرـيكـ عـلـىـ تـصـرـفـ كـهـذـاـ اـسـتـمـرـ بـعـذـبـ اـمـاـهـاـ وـاـضـطـرـتـ لـبـذـلـ مـجـهـودـ قـويـ كـيـ تـحـوـلـ اـفـكـارـهـاـ إـلـىـ الـعـاهـاتـ اـخـرـ،ـ وـلـتـطـرـدـ مـنـ ذـهـنـهـ وـجـهـهـ الـجـذـابـ إـلـىـ حدـ الـخـطـرـ.ـ لـاـ يـجـبـ اـنـ تـسـمـعـ لـايـ شـخـصـ وـلـايـ شـيـءـ اـنـ يـشـغـلـهـاـ عـنـ اـيـجادـ غـلـيزـوـدـنـ وـالـسـيـدـ فـرـيزـرـ الـغـامـضـ.

كـانـ الرـؤـيـةـ عـلـوـدـةـ بـبـ الـمـطـرـ وـالـضـيـابـ،ـ وـلـاـ اـنـقـشـ الجـوـ اـخـيرـاـ وـاـشـرـقـتـ الشـمـسـ حـدـتـ سـوـرـهاـ.ـ هـنـاـ،ـ اـدـهـشـهـاـ اـنـ تـرـىـ الـرـيفـ قـلـيلـ الـوعـورـةـ.ـ كـانـ اـرـاضـيـهـ مـتـدـرـجـةـ ذـاتـ حـقـولـ شـاسـعـةـ وـبـيوـتـ زـرـاعـيـةـ كـبـيرـةـ.ـ لـكـنـ بـعـدـ اـجـتـياـزـهـاـ يـبـرـتـ تـغـيـرـتـ طـبـيـعـةـ الـأـرـضـ فـاـصـبـحـ جـبـلـيـةـ نـكـثـفـهـاـ وـتـضـغـطـ عـلـيـهاـ.ـ اـسـتـعـانـتـ بـخـرـيطـهـاـ اـتـحـاشـيـ اـتـبعـ الـمـنـعـطـفـاتـ اـلـخـاطـلـةـ.ـ وـبـعـدـ اـنـ قـطـعـتـ عـدـدـ اـمـيـالـ وـوـصـلـتـ قـرـيـةـ هـنـاكـ قـوـرـتـ اـنـ تـوـقـفـ وـتـسـتـعـلـمـ عـنـ الـطـرـيقـ.ـ قـلـاـ بـذـلـكـ اـنـهـ اـصـبـحـ قـرـيـةـ مـنـ الـمـكـانـ،ـ وـالـاسـتـفـسـارـ عـنـ الـوـجـهـ الـصـحـيـحةـ يـوـفـرـ عـلـيـهاـ اـمـيـالـ طـوـيـلـةـ.ـ هـذـاـ مـاـ قـالـهـاـ فـيـ نـفـسـهـ وـهـيـ تـوـقـفـ السـيـارـةـ اـمـامـ حـانـوتـ الـقـرـيـةـ.
«غلـيزـوـدـنـ؟ـ»ـ.

هـنـتـ الـرـأـيـةـ الـكـهـلـةـ عـبـرـ الفـاـصـلـ الخـشـيـ جـوـابـاـ عـلـىـ سـؤـالـ سـوـالـتـهـ،ـ وـقـدـ اـسـتـغـرـتـ اـمـتـلـاءـ الـحـانـوتـ بـالـنـاسـ بـالـمـقـارـنـةـ مـعـ وـحـشـةـ الـرـيفـ الـمحـيطـ بـالـقـرـيـةـ.ـ شـعـرـتـ بـخـدـيـهاـ يـتـرـدـانـ قـلـيلـاـ حـيـنـ اـسـتـدارـتـ اـلـيـاهـ عـلـةـ وـجـوهـ تـرـمـقـهـاـ فـيـ فـضـلـوـلـ.

«لاـ شـكـ اـنـكـ تـرـيدـيـنـ جـوـنـ فـرـيزـرـ»ـ.

تابـعـتـ الـرـأـيـةـ فـيـ اـوـمـاتـ سـوـ بـرـأسـهـاـ مـرـبـكـةـ وـقـالـتـ:
«اوـ رـبـماـ تـسـتـطـيـعـنـ .ـ.ـ .ـ»ـ.

منه متحفصة أيام في ثعن. البيت الآخر يبعد عن هذا مسافة مئة ياردة تقريباً ويدوّه مهياً وسط الأشجار. لم تقدر أن تراه بوضوح لكنه بدا أكثراً حجماً من الأول.

كان باب الكوخ متفرجاً مما أكد لسو وجود السيد فريزر فيه. طرقه في ترقب وارتخت في ارتباك حين لم تسمع جواباً. حاولت مرة أخرى بلا نتيجة. احترارت في أمرها، ثم دفعت الباب بلطف وعتابة ودلفت إلى الداخل.

ووجدت نفسها في ردهة مربعة، متوسطة الحجم إنما مكسوة بالواح دافئة وداكنة من خشب الستديان. وعدا سجادة عجمية مستطيلة لم يكن هناك أي أثاث باستثناء سلم خشبي ضيق يبدأ من زاوية بعيدة. الباب إلى يمينها كان معلقاً، أما اليساري فكان نصف مفتوح. وفيها هي تحدق إليه وتتردد في طرقه، رأت رجلاً يكمل فتحه ويقف على عتبته.

لا شك أنه جون فريزر. هبط بصرها إلى قدمه. كان يقف على ساق واحدة متكتأ على عصا. وفجأة اطلقت شهقة صغيرة حين نظرت إلى وجهه، مدفوعة بحس خارج عن إرادتها، ويفين داخلياً بأنها يجب أن تعرف هذا الرجل الذي لا تعرفه، ولا تذكر أنها رأته مرة من قبل.

كانت عيناه الرماديتان مسميرتين كعيبها. وقيل أن تقول شيئاً سالماً بفظاظة:

«من أنت؟».

اعادها سؤاله بقوة إلى الواقع، لكن ردود فعلها الخاصة استمرت تغيرها. أنها تواجه رجلاً طويلاً القامة ذا شعر غزام عظمي الشب... . شعر أشقر كشعرها وعيناه رماديتان كعيبيها، بل هو نسخة طبق الأصل عنها! رجرت الفكرة ذهنها في عناد وهي تنظر إليه.

«من أنت؟».

كرر السؤال وهو لا يقل عنها ارتباكاً مما كان مصمماً أيضاً على اكتشاف اسمها. فأذاجات يتلخص لم تدر له سبباً:

«آسفه... . كان يجب أن أخبرك. اسمي سوزان غرينجر ومعظم أصدقائي يسمونني سوه».

لم تكن مستعدة للتوقع الخارج الذي أحدثه تصريحها. فقد شحب وجهه

كائنات في الطريق المثلثية ذات المتعطفات المجنونة التي كانت تصيبها دوار. في أحد الأماكن اضطررت لأن تعبر مقطع ثور حيث المياه تغمر الطريق، وحين اندفعت بقوة تهاجم دواليب السيارة احتست مسو للحظة بالخوف، إذ تصورت فيضاناً كاملاً يغمر هذه البقعة من الطريق وما يمكنه أن يشكله من خطر على الواقفين الغربياء، وتتفتت المصعداء حين خرجت به بسلامة.

كان النهر يصب في خليج بدا في الجو الغائم كثيناً رعاياً، ما ليث ان حجمه امتداد من الصنوريات فلم تعد تراه. اختفت المتعطف اليساري لا غير، وتبعد النهر خلف الوادي، وبعد نصف ساعة وجدت الستين لشودين، مختفين تقريباً في غابة من الصنوبر.

دامت بسرعة على كابح السيارة إذ كانت تخاطل نهاية الطريق بلا تباين. غيرت جهاز التبديل بصحيحة، وبدون براعتها المعهودة، إذ كانت روكز على ما كان يظهر من الستين من خلال الشجر. توقفت السيارة من لقاء نفسها واستقرت باحتفاظه على الحافة المشرفة.

«اللعناء!».

هتفت سوسياً سلام وهي تربع ذراعيها قليلاً على حضنها. وانقضت ضلع ثوان قبل أن تتبه للرجل الواقع على معلم صخري، وعلى مسافة غير بعيدة عنها. شهقت وهي ترى المشهد، بدا الرجل وكأنه «تيرفر» بمعندي (رسام بريطاني) يرسم مشهدًا معقداً من الدراما المتأهلية.

لم تستطع أن تغيّر تقاطيع الرجل إلا أنها احست بنظر إليها من مكانه العالي. لا شك أنه سمع صوت المحرك فوقف يديها بسوء القيادة من على رجه الشامي! اشاحت عنه بسرعة وتساءلت لماذا يعلن الهمة على تصرفها الغربياء لا يفدون بكثرة إلى هذه المناطق؟ لكن إذا لم يكن لديه ما يفعله فهي لديها مهمة عاجلة... . ارجعت سيارتها عن العشب وتابعت القيادة دون أن تنظر مرة أخرى في اتجاه الصخرة.

ومن لحظة توقفها أمام البيت الصغير احست بأن كل شيء سيكون مختلفاً ما تصورت. لم تستطع تفسير السب، وانتابها شعور غريب جداً أنها كانت تعود إلى بيتها. وارتكبها الشعور وهي تعبّر الفسحة المشروبة بين الكوخ والمدخل، انه كوخ أكثر منه بيته، قالت لنفسها وهي تقترب

وتهدل شكله العسكري فجأة ببرغم ان بصره لم يفارق عيالها.
ومنت للحظة انه ميقع لكن حين سارعت اليه ابعدها عنه وتنتم في
خشونة:
«اني بخير. لقد آذيت كاحلي فحسب، ضرر بسيط لا يستحق
الشوشة. ارجوك ان تفضل».

استدار قبعت الى قاعة الجلوس كانت، بخلاف الردهة، مكتظة
وتشوشها كتب وصحف مبعثرة في كل مكان. لكنها لم تحفل بذلك. توقفت
معه قرب النافذة المفتوحة حيث استمر يتضخصها عن كثب.
قالت وهي تخلمل متضابقة من نظرته الثاقبة:
«اني ابحث عن السيد فريزر. جون فريزر».
ظل صامتاً قباعت في عصية:

«لدي رسالة له، من امي. هل تعرف هذا الرجل؟».
اواما بالايجاب، وذعرت سولانا اكتسى وجهه من صدمة وذهول. وسألها
بصوت غريب:

«ما اسم امك. هل هو هيلين غرينجر؟».
«اجل كانت تدعى هكذا».

«كانت؟ هل تقصدين ما اغلن انت تقصدينه؟».
اومات برأسها كيلا تلفظ بالجلواب، ولم تتدشن كثيراً حين قال في
وجوده:

«كانت زوجي ايضاً.
لم يصفعها الوعي الكامل للحقيقة الا حين سمعته ينطقها. اغرقتها
الصدمة. فراحت شخص اليه وال العذاب يعمق عينيها ويشحب وجنتها.
هل هذا الرجل والدها؟ شبهها قد يكون عرضياً. فبأي طريقة تتأكد من
الحقيقة؟

كان مثلها مرتجاً. بدأ يقول شيئاً ثم عدل عنه... امسك ذراعها بلطف
وقادها الى حيث الموقد. تمالك نفسه وقال في هدوء:
«من الافضل ان تجلسني يا عزيزتي. وقبل ان تخوض الموضوع
يتحسن ان تعطيني الرسالة. اعرف انت ابتي قبل قراءتي لضمونها
فشكلك يؤكد لي ذلك».

اكتفتها الحيرة وهي تجلس قبالت في حذر. لم تغير على النظر المباشر
اليه. تناولت الرسالة من حقيتها وسلمتها اليه وقد ازمعت جزئياً على ان
تبقىها معه. ورجوعاً الى الماضي القريب عاد اليها تحذير تيم غالباً
واوضحاً. ولكن كيف كان لها ان تعرف بان جون فريزر قد يكون اياها!
الآن ادركت كما ادرك جون، بدون مطلق شك، وقبل ان تقرأ الاليات
الاضافية على الورق، بأنه ابوها! استرقت اليه النظر وهو يقرأ الرسالة. كان
طويلاً ونحيلياً، او بالايجاب واهياً، لكن مجده كأن حسناً، من نوعية
الرجال ذاتها التي طالما تصورت اباهما يتمسلي اليها. لماذا، لماذا، تساملت في
قوط، لماذا لم تخبرها امها الحقيقة ابداً؟ هل يعقل ان يستطيع احد الاقدام
على خداع قاس كهذا؟ ثم كيف استطاعت امها ان تغفظ سراً كهذا طوال
الوقت!

بالنسبة الى دور اباهما في التمثيلية فلا يسعها ان تخزى. هناك اشياء كثيرة
لا تفهمها وقد يكون من الافضل الا تحاول. ربما يحاول ابوها ان يفسرها
بعد انتهاءه من القراءة.
وكأنما تكهن بأفكارها، رفع جون رأسه ثم طوى الرسالة وتناولها ابها
 قائلاً:

«لا ادري اذا كان يحق لي بيان ادعك تقرأيتها يا سوزان، لكنها قد تفسر
لك بضعة اشياء لا بد ان تعرف فيها. فكلانا، أنا وأمك، لم نفلح كثيراً في
واجهاتنا تجاهك».

كان صوته واهنا بعيداً، وكان مضمون الرسالة هزه كثيراً، شعرت بأنها
كانت تشهد عذاباً شخصياً لا يمكنها المشاركة فيه، فأشاحت بصورها عنه،
وخدقت الى الوراق بين يديها، وانخرطت تقرأ التالي:
«شعور يغامرني منذ مدة طويلة، يا جون، بأن هناك شيئاً على وشك
الحصول. فإذا كان حديسي صائباً، وهو لم يخدعني ابداً، فسوزان ستبقى
وحيدة بلا معين. لهذا السبب أرسل اليك ابتك. اذا ساوروك اي شك في
ابوتك لها، فها عليك إلا ان تتأمل رسوم العائلة، تلك المجموعة المضحكة
في حوزتك، لتأكد من الحقيقة. تركتك يا جون لأنني لم أحبك يوماً، مع اني
حاولت كثيراً كلامها تعلم. وحين تأكيدت من حلي سوزان، شعرت بضرورة
الهرب. ولو لم اتركك آنذاك، لما سمحت لي بهجرك وأنا حامل بطفلة اورعا

جيبيه المجد. ولأول مرة منذ وصولها، نسيت همومها الخاصة لتفكير قليلاً بضخامة همومه، فإذا يقللها يرق فجأة لمرأى الاعياء المتاهي محل وجهه.
بعض بشيء من الصعوبة بسبب كاحله الملتوي، ووقف عند المورد
مديراً ظهره للنار وقال:

«تزوجت أمك عندما كنت في الجيش يا سوزان. كنت الابن الثاني لأبوي، والخدمة العسكرية كانت مهنتي. أمك أحبت تلك الحياة المرحللة من مكان إلى آخر، ومعظم إجازاتي كانت تقضيها في لندن، أو خارج الوطن إذا صدف وجودنا هناك. في تلك الفترة، لم تأت أمك إلى غلينز ودون سوي مرة واحدة، حين كانت جدتك على قيد الحياة. لم تترجم في غلينز ودون ولا مع أمي. فهل حدثتك بشيء عن ذلك؟».

هزت سورأسها سلباً. كانت مستفرقة في الأصياء ومتهفة إلى سماع المزيد. فتابع:

«كان يجب أن أتحسب، لكنني لم استطع التكهن بأن أخي سيرحل قبل أن لا مناص لي من العودة إلى مسقط رأسي لادارة الأملاك».

صمت قليلاً فتجرات مو على السؤال:

«لم ترافقك أمي إلى هنا؟».

«أجل، لكنها تركتني بعد فترة قصيرة وذهبت لتعيش مع أمها. عادت بعد وفاة أمها، لا أدرى لماذا؛ رجعت يدعمنا عجزت من قبل عن اقناعها بالعودة. على أي حال، فورنا ان نحاول ثانية لكن المحاولة فشلت. وفي آخر مرة لحقت بها لارجعها، تناحنا بعنف وبعد ذلك أقيمت سلامي. استطعت بالطبع أن أدفعها نفقة شهرية مستقرة، لكن في آخر مرة حاولت الاتصال بها بواسطة عنوانها القديم فات辚ي لي أنها باقعة في البيت وانتقلت إلى مكان آخر، ولم تطلعني بعد ذلك أبداً على مكان إقامتها الجديدة».

«لم تذكر مرة في الطلاق؟».

«كلا. عرضته عليها في لقائنا الأخير ذلك. لكنها بدت بعينة التفكير عنه، أو ربما هي رفضته بسببيك أنت. فكما قالت في رسالتها هذه، لو أتيت عرفت بحملها بك لكان الأمور اختلفت تماماً».

غزت المرأة صوته فخرج قاسياً وهو يضيف:

«ما كان يجب أن أسمى عن امكانية الحمل. الآن فات الأولان عشرين

بطفل، كان قراراً مصيرياً بالنسبة إلى، لكنني لم أندم عليه أبداً. لن احتاج التفقة بعد اليوم يا جون لأنك إن قدر لك أن تقرأ هذا فساكون في عداد الأموات، إنما هناك سوزان التي أرجو أن ترعاها نيابة عنني، وأن تسكنها معك إذا اتضى الأمر، اعتقادني ما استطعت أبداً أن أزوّدها بالحنان كما يجب، فلعلك تفعل ذلك أيضاً...».

كان هناك المزيد ولا شيء فيه يتبرأ الطريق. الرسالة بحاجة إلى تshireح لاستخراج الاستنتاجات والمعلومات المطلوبة، لكنها شعرت أن تشوشاًها الذهني يحول دون ذلك. سقطت الأوراق من أصابعها الرخوة فيها اختفت هواطفها تکور وتتمدد في داخلها. لم توقع مطلقاً أن تعلم بوجود أبي لها هنا، ما يزال حياً يرزق وليس كما جعلتها عنها تعتقد. لقد كاپدت الكثير وبصعب عليها هضم هذا النها الجديد فوراً. حتى حزن والدها، لم تقدر لغاية الآن أن تسير عمقه، فاكتشافه لوجودها قد يقلب دنياه رأساً على عقب.

وقال جون فريزر وكأنه شعر بحاجتها إلى التطمئن: «سوزان، قد يكون أسهل إذا بدأنا من البداية. أريدك أن تفهمي أن دهشتي تمايل دهشتك، والفرق الوحيد هو أن أكبر منك سأـ وبالنالي أكثر قدرة على تحمل الصدمات، إلا أن اقربان الباـ رنحني نوعاً». فرميته بشيء من القنوط وقالت:

«سأذهب إن شئت. إنك لن ترغب حتى بقائي بعد كل هذه السنين».

ثم أضافت برقه غضب مفاجأة: «انا نفسي لست متأكدة من رغبتي في البقاء».

فأجاب وهو يترسم قليلاً: «لنؤجل هذا الحديث إلى وقت آخر».

ثم تابع بصوت أمن في خطه رفيع من السلطة الآبوية، وعيشه لا تفارقان عياهما الضطرب:

«ما رأيك لو استعرضنا الأمر بيايجاز. الرقائع المطلوبة فقط، ثم نعود إلى التفصيل في وقت آخر».

شعرت بيوادر التفود في كلامه فانكمشت في مقعدها، وانتظرت في خضوع. كان يبحث في مثقة عن الكلمات المناسبة فتعذر الغطيب في

جيبيه المجد. ولأول مرة منذ وصولها، نسيت همومها الخاصة لتفكير قليلاً بضخامة همومه، فإذا يقللها يرق فجأة لمرأى الاعياء المتاهي محل وجهه.
بعض بشيء من الصعوبة بسبب كاحله الملتوي، ووقف عند المورد
مديراً ظهره للنار وقال:

«تزوجت أمك عندما كنت في الجيش يا سوزان. كنت الابن الثاني لأبوي، والخدمة العسكرية كانت مهنتي. أمك أحبت تلك الحياة المرحللة من مكان إلى آخر، ومعظم إجازاتي كانت تقضيها في لندن، أو خارج الوطن إذا صدف وجودنا هناك. في تلك الفترة، لم تأت أمك إلى غلينز ودن سوى مرة واحدة، حين كانت جدتك على قيد الحياة. لم تترجم في غلينز ودن ولا مع أمي. فهل حدثتك بشيء عن ذلك؟».

هزت سورأسها سلباً. كانت مستفرقة في الأصياء ومتهفة إلى سماع المزيد. فتابع:

«كان يجب أن أتحسب، لكنني لم استطع التكهن بأن أخي سيرحل قبل أن لا مناص لي من العودة إلى مسقط رأسي لادارة الاملاك».

صمت قليلاً فتجرات مو على السؤال:

«لم ترافقك أمي إلى هنا؟».

«أجل، لكنها تركتني بعد فترة قصيرة وذهبت لتعيش مع أمها. عادت بعد وفاة أمها، لا أدرى لماذا؛ رجعت يدعمنا عجزت من قبل عن اقناعها بالعودة. على أي حال، فورنا ان نحاول ثانية لكن المحاولة فشلت. وفي آخر مرة لحقت بها لارجعها، تناحنا بعنف وبعد ذلك أقيمت سلامي. استطعت بالطبع أن أدفعها نفقة شهرية مستقرة، لكن في آخر مرة حاولت الاتصال بها بواسطة عنوانها القديم فات辚ي لي أنها باقعة في البيت وانتقلت إلى مكان آخر، ولم تطلعني بعد ذلك أبداً على مكان إقامتها الجديدة».

«لم تذكر مرة في الطلاق؟».

«كلا. عرضته عليها في لقائنا الأخير ذاك. لكنها بدت بعينة التفكير عنه، أو رعا هي رفضته بسبيك أنت. فكما قالت في رسالتها هذه، لو أتيت عرفت بحملها بك لكان الأمور اختلفت تماماً».

غزت المرأة صوته فخرج قاسياً وهو يضيف:

«ما كان يجب أن أسمى عن امكانية الحمل. الآن فات الأولان عشرين

بطفل، كان قراراً مصيرياً بالنسبة إلى، لكنني لم أندم عليه أبداً. لن احتاج التفقة بعد اليوم يا جون لأنك إن قدر لك أن تقرأ هذا فساكون في عداد الأموات، إنما هناك سوزان التي أرجو أن ترعاها نيابة عنني، وأن تسكنها معك إذا اتضى الأمر، اعتقادني ما استطعت أبداً أن أزوّدها بالحنان كما يجب، فلعلك تفعل ذلك أيضاً...».

كان هناك المزيد ولا شيء فيه يتبرأ الطريق. الرسالة بحاجة إلى تshireح لاستخراج الاستنتاجات والمعلومات المطلوبة، لكنها شعرت أن تشوشها الذهني يجعل دون ذلك. سقطت الأوراق من أصابعها الرخوة فيها اختفت هواطفها تکور وتتمدد في داخلها. لم توقع مطلقاً أن تعلم بوجود أبي لها هنا، ما يزال حياً يرزق وليس كما جعلتها عنها تعتقد. لقد كاپدت الكثير وبصعب عليها هضم هذا النها الجديد فوراً. حتى حزن والدها، لم تقدر لغاية الآن أن تسير عمقه، فاكتشافه لوجودها قد يقلب دنياه رأساً على عقب.

وقال جون فريزر وكأنه شعر بحاجتها إلى التطمئن: «سوزان، قد يكون أسهل إذا بدأنا من البداية. أريدك أن تفهمي أن دهشتي تمثل دهشتك، والفرق الوحيد هو أن أكبر منك سأـ وبالنالي أكثر قدرة على تحمل الصدمات، إلا أن اقربان الباـ رئحي نوعاً». فرميته بشيء من القنوط وقالت:

«سأذهب إن شئت. إنك لن ترغب حتى بقائي بعد كل هذه السنين». ثم أضافت برقه غضب مفاجأة: «انا نفسي لست متأكدة من رغبتي في البقاء».

فأجاب وهو يترسم قليلاً: «لنؤجل هذا الحديث إلى وقت آخر».

ثم تابع بصوت أمن في خطه رفيع من السلطة الآبوية، وعيشه لا تفارقان عياهما الضطرب:

«ما رأيك لو استعرضنا الأمر بيايجاز. الرقائق المطلوبة فقط، ثم نعود إلى التفصيل في وقت آخر».

شعرت بيوادر التفود في كلامه فانكمشت في مقعدها، وانتظرت في خضوع. كان يبحث في مثقة عن الكلمات المناسبة فتعذر الغطيب في

سنة ونيف».

«عمرى في حدود ذلك».

هست وهو ي Finch تقسيمها الشابة في وجوم. وأضافت:

«قد لا يدرك أن أقول هذا، لكنني اعتقاد أن أمي ما أحبتني كثيراً في الحقيقة، وهذا يزيدني حيرة في كلامك».

«أملك كانت تُخْبِنَ إلى حب الذات والتملك يا سوزان. كلنا هكذا إلى حد ما، لا أريد ضررها الآن بمحجر وبخاصة بعد موتها. ربما لم تحبك في العمق بسبب شهوك الشديد لعائلتي، فأنت في الواقع، نكادين تكونين نسخة طبق الأصل عن أمي، وبالتالي، كانت تراها فيك كلما نظرت إليك، ولا يجب أن تلومها كثيراً إذا استقررت ذلك».

وفي شرود، طارت أفكارها إلى تيم فذكرت تعليقاته التهكمية القاسية. ولكن نظم الذكرى سارعت إلى السؤال:
«لم تفك مرة في بيع الأموال؟».

رأته يغفل، وانتابها الفضول حين تورط خداء الشاحبان ويرز تحفظ مفاجئ» في عمق عينيه. قال:

«الأراضي لا تُباع بهذه السهولة يا سوزان. هذه الأموال يحصر ارثها، ولكن كانت هناك مشكلات استغرق حلها سنوات كان ذلك قبل موت أخي، ثم جاءت مصاريف الوفاة وأكملت قسماً منها».

كان صوته ثابتًا وقد زال التوتر من وجهها. لم تقصد سوان تحشر في أمواله، وقد يصعب عليها اختياره بأنها ترغب في طي موضوع أمها. ربما تخبره ذلك في وقت آخر، عندما يتعرفان إلى بعضهما أكثر، وحيث عليه أن يؤكد للحصري نفسه أن ذلك التأمين الغامض كان نفقة أمها في الواقع. التفاصيل المطلوبة يجب أن ترسل إلى لندن، إنما ليس الآن. يكفي أنها هنا، وأن هذا الرجل مستعد لتقبل بتوتها تقبلاً مطلقاً. عاطفة جديدة، وعجيبة في حدتها غمرت قلب سو. لقد بدأت في لاوعيها تعتبر غلينز ودون وطنها الأصلي.

وكانه تابع مسلسل أفكارها وحبه، فقد أضاعت فمه الصارم، ولأول مرة، ابتسامة دافئة، واستقرت عيناه . . . على وجهها المتورّ. وقبل أن تحاول شرح مشاعرها، قال في رقة:

لكته تأمل الفضاء قليلاً، واستدار اليها قائلاً:
«تعلم يا جون ان لا مكان هنا لاقامة سوزان، لكن هناك غرفاً كثيرة في
البيت الآخر. غرفتك ما تزال ... منذ الاسبوع الماضي، واذا انتقلنا فوراً
فقد نجد السيدة لينوكس ما تزال هناك لتهيء العشاء لسوزان». «أرجوك».

قالت في ارباك، لكن وجهه الوسيم ظل قاسياً. ادركت غريزياً انه كان
معناداً على السيطرة، فها عليه الا ان يعطي الاوامر كي يسارع النام الى
تنفيذها. حسناً، سيمجد الان نفسه امام شخص لا ينفذ! أشاحت بصرها
عن عيشه القائمتين المتحدين وليس بداعي الخوف، فهي مستعدة جداً
لمقارعته اذا شاء المقارعة ولن يجد فيها شيئاً من خنوع ابيها. قالت:
«اذا كان هذا الكوخ صالح لاقامة ابن فهو يصلح لي ايضاً. لن أعجز
عن ايجاد مكان آنام فيه وبدون ان تزعج السيدة لينوكس هذه».

استدار ميريك حائطاً الى شريكه وقال في نفاذ صبر:
«جون! هل لك ان تفهم هذه الفتنة بأن كيل طفع بدون ان تضيق اليه
هدراً لوقتي؟ أخبرها ان الغرف العليا تستعملها كمخازن لخائف الاشياء
القديمة البالية، وأن غرفة النوم الأرضية الوحيدة ليست في حالة أفضل. قد
تحاج شهراً لافراج الغرف، وليس لدى وقت أضيعه الآن في الجدل». ضابط سو ان يوافق ابوها تماماً على كلامه حين قال:
«ميريك على حق يا عزيزتي. الاقامة هنا غير مرحبة. فانا استعمل هذا
البيت كمكان هادئ للكتابة، عندما أكتب، ولم اهتم بترتيبه كما يجب.
ان، كما ترين، اعتمد على ميريك أكثر من اللزوم».

هذا واضح جداً... قالت في نفسها غاضبة. ولكن هل من الضرورة
ان يكون ابوها خاضعاً الى حد الخنوع؟ أما يجب ان يصدر هو الاوامر
بصفته صاحب الاملاك؟ ربما كان من واجبها، ولو لفترة عل الأقل، ان
تبقي، وتساعده على استعادة ثقته التي سلبها اياها هذا الطاغية. وربما في
البيت الآخر، تصبح في مركز افضل يمكنها من وضع السيد فيندلي عند
هذه!

توردت وجاتها بلون دفاعي وهي ترمي ميريك وتقول بصوت
حريري:

كفيلاً بتعويض هذا الفارق. كان واضحاً انه يسيطر كلباً على جون فريزراً
الثالثين: التفت الى جون وضابقها ارتباكه، فقالت والشروع في تعابير من عينيها
«هل تسمع لمدريك ذاتاً يان يسيطر عليك بهذا الشكل؟». «سوزان!».

هتف والدها ثم ساد صمت مكهرب. توردت وهلت ثورتها فجأة.
يدو اياها افترفت خطيبة كبرى ومحب ان تعتذر. لكن اياها تابع ووجهه
يشحب في غرابة: «سوزان، سبق وأفهمتك ان ميريك شريكك».

فأجابته وهي تطرف حائرة: «لكنه شريك مسيطر. اليس كذلك؟ ان اعتذر عن وقاحتني وخاصة
ان جديدة هنا. ولكن السيد فيندلي لم يكن دعثاً بدوريه». فقال ميريك في برود:

«قد تكون سوزان مصيبة يا جون. وبدلًا من التعارك السوفي ، أفضل
ان اتفق واياها على هذه، ولا شك اتنا سنجد وقتاً وفيراً للتقاءهم في ما
بعد. اني أعلم انك متزوج يا جون، وبالتالي، من المحتمل جداً ان تكون
لنك ابنة. لنقل الموضوع الان ولبحث الترتيبات بشأن النوبة».

قالت سو في جهود: «لم افك في مكان النوم، وحتى سأجد غرفة في القرية». فقال جون فريزراً:

«لن تذهب الى القرية يا سو، فهذا بيتك، ومن اليوم فصاعداً تعيشين
معي. لا أريد أن أخررك وأنا بالكاد وجدتك». بدا متعباً واهناً قتعلها ندم ثقيل. فالبا الذي أنت به أزعجه ولا شك
يرغم انه لم ير امهما منذ سنوات طويلة. انتابتها رغبة مفاجئة في البقاء كي
تعتني به، وهو يحتاج بالطبع الى من يرعاه لكونه يعيش وحيداً في هذا
البيت. وثبت فقط لويختفي ميريك فيندلي بدل ان يقف كالمارد فوقها،
ويذلك التغيير المتعال على وجهه، كي يتحققنا من التقاءهم في ما بينها.
خاب أملها وهي ترى ميريك يتمخرط صوب النافذة ثم يقف عندها
والافق الغارب خلفه. ظلت للحظة انه على وشك الاستدان ثم الرحيل،

«سأفعل يا قتارحك اذا كان ذلك يسر اي، على ان نعود للإقامة هنا بعد فترة معقولة، فانا لا ارغب في البقاء تحت بصرك ليلة طويلة يا ميد فيندلي ا». .

٣ - فراشة معنطلة في دبوس

في الصباح التالي استيقظت على سريرها العريض المظلل، وسمحت لنفسها بعشر دقائق من الترف تقضيها مرتلقة تفكّر. تعب الليلة الماضية زاولها، واتسعت عينتها وهي تنظر حولها الى الغرفة الواسعة الجيدة الآلات، وتکاد تقرص جلدتها لتصدق اسطورة وجودها هنا.

غرفة نومها كانت حفناً كثُر الفرون الوسطى، أو هكذا بدا لها، لاعيادها على الشقق العصرية وخزانتها الداخلية البراقة. الآلات حولها، لا يدرو انه قد تغير منذ مئة سنة! خزان حسخمة غامقة، طاولة زينة واسعة ذات مقابض نحاسية ومحصلة يدين ايضا، قواهاه أبريق وطشت من الخزف. كلها كانت تحيط بالسجادة المربيعة الباهة التي تسجد لتذوم طويلا، ربما مائة سنة أخرى على الأقل! انها لم تر أثاثاً كهذا من قبل عدا في البيوت الريفية الاثرية التي كانت تزورها احياناً، وحيثما لم تصور مطلقاً ان غرفة في احدها ولو لبضع ليالٍ:

تساءلت بفضول عن شكل سائر الغرف التي لم تر منها سوى المطبخ ليلة أمس... فقبل ان يغادروا الكوخ، وفيها كان جون يجمع بعض حوانجه، اتصل ميريك بالبيت الكبير هاتفيًا، وما وصلوه كانت السيدة لينوكس قد هيأت العشاء ثم صعدت لتهبِّن غرفة سو التي تناولت الطعام بمفردها على طاولة المطبخ. أبواها استاذتها في الذهب فوراً الى فراشها بعد ما شكا من آلم كاحله المبرح، اما ميريك فيندلي فقد اختفى معه، ولم يرجع إلا بعدما غادرت سو المطبخ لبحث عن السيدة لينوكس. كان التعب يرنحها، فرققت خارج باب المطبخ لا تعرف في أي اتجاه تسير. ولم تکد تسع

نزلت عنها نيا بها يدين خيرتين، وسرعه وجدت نفسها في السرير. ايضا تذكري كلامها حين تأملت وجهها المتعب وقالت باسمه:
«غداً شعرت بالتحسن يا عزيزتي. كنت معرضة وأعرف هذه الأمور.
السيد فريز اطلعني على النبا السار، وسررت أكثر لكونك حيلة جدا،
ولطالما تساملت عنها سيكون عليه شكلك».

كلمات غريبة، وتبدو الآن غير قابلة للتفسير. قطعت سو حاجبيها وهزت كتفها. ربما كانت السيدة ليوكس مرهقة ولذا صاغت آراءها بطريقة خاصة. في أي حال، مستوضحها قصدتها بعد ان شرب الشاي. حينها الى كوب من الشاي جعلتها تسامل عن الوقت. وما راحت تبحث عن ساعتها تذكري قول السيدة ليوكس بأنها ستغيب اليوم عن العمل. اذن لن تأتيها بشاي الصباح. الساعة جاوزت السابعة ويجب ان تسارع الى الامتحان عن جون.

طرق الباب فجأة، وقبل ان تسمح للطارق بالدخول، فتح ميريك الباب ودلف الى الغرفة. فوجئت بدخوله، وما ان تدثرت بالغطاء، حتى وجدته يخلق فوقها ويلقي بفنجان من الشاي على طاولة السرير. وفي غمرة جيشهما، سمعت نفسها تشكره فيها كانت عيناه تهشان وجهها بنظره آمرة جعلت رأسها يلتصق بقبوسة بالوسادة كفراشة معتقلة في دبوس. تجاهل شكرها وقال بلا مواربة.

«اشري الشاي بسرعة. السيدة ليوكس غائبة، ووالدك متوعك الصحة. ربما أنت مسؤولة جزئياً عن اعتلاله فعليك ان تسامي في العناية به».

فقررت جالسة فائزقة الغطاء من بين أصابعها الواهية، كائنة معالم جسمها المتخلص من خلال قميص نومها الحرير الرقيق.
«ماذا تعني بأنه متوعك؟».

سألت بصوت حاد وهي تتجاهل الشاي. فتناول الفنجان وأجبرها على حلها وقال في ايجاز:
«اشريه، فوجهك الباهت يدل على حاجتك اليه. لا أريد ان أعني بمرتضين دفعه واحدة. اي رجل مشغول، وهذا التباطؤ الأنثوي يقتل الوقت».

شخصاً يعبر الردهة حتى وجدته واقفاً قربها. رقمها آنذاك متخصصاً وقال في سلاسة: «غرفة جون الى جانب الردهة. الباب الثالث الى اليمين. أتدرين رو ينه قبل ان تصعدى؟»:
«نعم، بالطبع». أجاها متعلمة، ونظرته الغولاذية تعيقها عن النظر اليه بامتلاء. فعل الرغم من كل ما قبل، شعرت بأنها ما تزال غريبة. صحيح أنها وجدت والدا، لكنها لم تشعر بعد بعاطفة قوية نحوه، ولذا غمرتها خشية غامضة من فكرة الذهاب اليه.
ليس الأمر سهلاً، أليس كذلك يا آنسة سوزان؟».
نطق الكلمات بخشونة فازداد شعورها بالارتباك. ورددت عليه حينها بغضب قائلة: «وكيف له ان يكون سهلاً؟ لو كنت مطلعاً على الحقائق لاستطعت ربما ان تفهم موقفني».

«لقد شرح لي جون اموراً كثيرة حين رافقته الى غرفته. لم تكن صعبة الادراك، لكنك بدأت تكتشفين أن الحقائق والعواطف شيئاً مختلفان، أليس كذلك؟».
«ربما أنت على حق».

«لو كنت مكانك لنظرت الى ابوضع نظرة طفل ربيب يقابل، لأول مرة، اباء بالخضاعة، فلعلم ذلك يخفف ارتباكك».
«ولكن مع الآباء بالخضاعة لا تكون هناك... روابط دم».

«روابط الدم ليست ذاتاً مهمة كما يحملنا ان نعتقد. روابط العشرة هي الاكثر أهمية في معظم الاحيان، وهي ما تزال مفقودة بينك وبين أبيك، وقد تظل مفقودة الى الأبد».

وقتها، ابتعدت عنه متشردة دماغاً تعليق، وكرهته قليلاً بسبب قسوته، وعجزت في الوقت نفسه عن نفي الصحة في كلامه. لقد نجح ربما في تبديد شيء من حيرتها الذهنية لكن ذلك لم يخفف تفورها منه.
«الآن عليه غبة الماء بالبيبة يعني، من فضلك»، قالت له وهي تستدير راكفة على السلم.
لم تذكر تماماً كيف آوت الى فراشها. تذكري فقط ان السيدة ليوكس

ناطعت عبارتها لعجزها الكامل عن استيعاب ما قاله ميريك وقفز ذهنها
 إلى الليلة الفاتحة.
 «ماذا قالت السيدة لينوكس؟».
 «قالت أنها طالما تساءلت عما سيكون عليه شكل فكيف ياعكانها إن
 تعرف؟».
 «أعتقد أن السيدة لينوكس كانت تعمل عند الطيب كممرضة
 وكموظفة استقبال قبل أن تتزوج وتترك غلينزرودن، ولا شك أنها عرفت
 بالحمل من ملفات العيادة».
 «ووالآن عادت إلى العمل؟».
 «أجل، إنما ليس عند الدكتور ماكرويرتس الذي استخدم مرضها آخرى
 منذ وقت طويل. على كل، السيدة لينوكس ترملت الآن ولم تعد شابة، إنما
 تلك كونياً وتساعدنا هنا، وخيرتها في التعریض تفيدنا حينها بمرض
 جون».
 خيم صمت قصيري، كانت سو في خلاله تغرس المعلومات في ذهنتها
 وتصطدم بتعقيداتها. لا شيء يبدو صافياً كالبلور، عدا حقيقة واحدة
 أثارت بعض الشيء رؤيتها للبيئة. قالت وكأنها تسامل:
 «يبدو، بدون أدنى شك، إن سوزان غرينجر، فريزر،
 ابتسماً قليلاً وأحباباً:
 «منة باللة. ولو كنت مكانك لاستعنت عن اسم غرينجر. لم يعد
 ضروريًا».
 «لست واثقة بعد مما سأعمله. هل عرفت هويي ليلة التقينا في
 الفندق؟».
 «قلت إنني عرفت بأنك من عائلة فريزر، ولعلني بضعف قلب جون
 فقد أذعني الاكتشاف. في الوقت الحاضر، أرتى أن تتوقف عند هذا
 الحد. أما في هذه اللحظة فأقترح أن تهضي من فراشك».
 عادت القسوة إلى صوتها، تثير فيها امتعاضاً وتحسّها بأن ميريك فيندلي
 قد يكون عدواً أكثر منه صديقاً. انجداباً إليه في الفندق، ذلك الاجذاب
 القصير والخطير، زال الآن، وشعرت بومضة ارتياح لزواله. صحيح أنه
 ساعدها على استجلاء أمور معينة لكنها ترفض الان أن ترى ذرة من

وكانت ترفض الانصياع لأمره، ثم غيرت رأيها... إذا اطاعته فقد
 شرح الأمر وخرج. جرعت الشاي وكانت تتردد به حين استمر
 شخص وجهها مسكوناً، فاختفت ذعرها تحت صوتها الفاتحة وهي تحبس:
 «اعتذر إذا كنت أضيع وقتك، إنما لماذا تعتبرني المسؤولة عن اعتلال
 الذي؟ لقد التوى كاحله قبل وصولي، على ما أعتقد».
 «الأمر لا يتعلق بكاحله بل بقلبه، وقد عاد الطيب مساء أمس بعد
 نهايتك إلى الفراش».
 «كان يجب أن تعلمتي!».
 «ولماذا أعلمك؟ وماذا كان يوسعك أن تفعل؟ أنا معتاد على توبات
 جون، وأنت كنت مرهفه بما فيه الكفاية».
 «اذن هو لاحظ وضعها. ملاحظته هذه، ازالت، بشكل ما، بعض
 المحيط المحيط بقلبها».
 «كان من الجائز أن يموت».
 فأجاب رافضاً اعطاءها التعلمين الذي تشنده في أعمالها:
 «من الجائز أن يموت في أي يوم، فهو بذلك أشياء خارج إحياناً عن سلطة
 الإرادة البشرية، وهذا ما سبّر رحمة لك الدكتور ماكرويرتس حتى. وإذا
 رغبت في مزيد من التفسيرات، فقد يسرك أن تعلمي بأن الطيب الطيب
 كان دارياً بقصتك منذ البداية».
 «من البداية؟».
 «إذا فللت ترددت ما أقول، فقد يعتقد ذلك تعقلي، وبخاصة إذا
 استمرت تنظرين إلى كي تظرين الآن».
 «أرجوك...».
 لكنه هز كتفيه وانتابتها البرودة مجدداً حين قال:
 «يبدو أن أمك كانت استشارت الدكتور ماكرويرتس منذ سنوات
 طويلة. قبل أن تهجر غلينزرودن، لكن حجب هذه المعلومات لم يعجب
 جون على ما يظهر، وسرر الدكتور ماكرويرتس صمته بأن المبدأ المهم، لم
 يسمح له باطلاع جون على الحقيقة في حيّها. ربما استطعت أنت أن تتعجب
 بوجه نظر الطيب».
 «السيدة لينوكس قالت...».

من أين بها والسبدة ليزكس غائبة؟ حلتها بسرعة، وخرجت تغلق الباب في
هدوء واتجهت إلى المطبخ.

وحلما فتحت بابه، احست بوجود شخص فيه لكنها استغربت ان ترى
كارلوت كريغ تجلس الى التالية تشرب القهوة وكأنها في بيتها! لم تتوقع أبداً
ان ترى كارلوت ثانية او بهذه السرعة، لذا أخرسها الاستغراب فيما كانت
الفتاة تتأملها صعموداً وتزولاً في برود ثم قالت:
«لو كنت مكانك لما وقفت على العتبة هكذا. ادخلني واغلقني الباب،
فأنت تدين قاتلة عل، التسلل الى أماكن عديدة».

كان صوتها مهيبة، وعيناها معاديتين كما كانتا في اذنيه، واختيارها للكلمات عكس بوضوح منهج تفكيرها. كانت سو جائعة و بعيدة عن الودة هي الاخرى، لكن رقة فضول جعلتها تمسك لسانها عن اعطاء جواب قاس. كيف عرفت كارلوت انها هنا ولماذا جاءت؟ انها تسكن هنا في الجوار حتى تأتي في هذا الوقت الباكر. من الواضح ان كارلوت تزدرها، كما في اللقاء السابق. لكن لماذا؟ هل هي مخطوبة الى ميريك فيندلي وبالتالي نضر سو غريبة متفلة؟

وضعت الصيحة بيضاء على الطاولة النصيحة، وهي تتبع بحرارة لوانها على دراية أكبر بوضعية المطبخ، فلا يمكنها يحال أن تبحث عن مكان الأغراض وكاملوت تدرسها بهذا التحديق البارد المدروس.

هل جنت سجين عن السبب قيدي أم سري واندلي .
سألتها سو وهي تصارع اندفاعاً عدالياً في داخلها . فمن جهة ، تزيد
غمبيس كارلوس بكماتها كافية لجذب فريزر ، ومن جهة ثانية ، لا تزيد الحماد
عن غلبيها المأكوف ، ولذا لطفت وقمه كلما اتى باستامة خفيفة .

لکن املها بزعزعة کارلوت خاب، فقد لوت کارلوت شفتيها ازدراء

وكأنها استلقت خدعة سو بوصوح، وأجابت:
«التفتت بيبريك على طريق الوادي، وحدثني عن زعمك بأنك ابنة
جون. لم أملك فضولى، فحيث اتفق الأمر بتفسي. أنا، على فكرة، ابنة
عم جون».

ابناء عم جون؟^{۲۰} «أجل، فالناس ها ابناء عم كا تعلمين، وزعمي قد يكون أكثر صدقًا».

«أجل، فالناس هنا أبناء عم كيما تعلمون، وزعمي قد يكون أكثر صدقًا»

الامتنان. قالت برقه: «حالما تخرج من الغرفة، سأنفذ اقتراحك بسروره». وأخيراً خرج وتنفس الصعداء! استحمت وارتئت ثيابها، وأفكارها تتسلل جيئة وذهاباً بين جون وميريك. وقررت أخيراً ان ميريك فيندلي شخص تقضي الحكمة بعدم الوثيق به، وانه، بالنسبة الى مصالح ابيها، شخص من الأفضل ان تتحرى عنه. قد تبدو وقحة وطامة بالرزرق ان هي اظهرت الان حشرية زائلة في شرؤون ابيها لكنها ستأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار. اجل، قليل من التحرى الذكي لن يسب لها أي ضرر.. منذ تدهورت صحة جون، اضطر على الأرجح لأن يسلم هذا الرجل مقاليد الأمور. الان يوجد من يساعد جون، شخص من خلمه ودمه. قد يكون السيد فيندلي شريكأ له بشكل ما، اغا الويل له اذا حاد خطوة عن حدوده. وهي ان لم تقدر ان تحب اباهَا لغاية الان، فهناك طريق آخر تثبت من خلالها اباهَا انسنة بارزة.

تدعمت قليلاً بهذه الأفكار الشجاعة إنما البعيدة كثيراً عن الواقعية، فارتتدت بسرعة فستانها قطيناً، وسرحت شعرها بضربيتين من الفرشاة وهرولت إلى أسفل.

لم تلتقي بأحد، وسرها أنها تعرف مكان المطريح. لكنها ترددت قبل أن تفتح بابه وهي تنظر إلى الساعة الكبيرة على حائط الردهة. كانت تجاوز الثامنة. أليس من الواجب أن تعلمشن قبلاً على والدتها؟ لا شك أن ميريك، يكفاءته الواسعة، قد حل له فنجاناً من الشاي، لكنه قد يكون فعل ذلك في الصباح الباكر.

وشيء من العصبية، عادت تعبير الردّة بمحنة المذبوه، تذكرت ارشادات ميريك، فاحصلت باين ثم طرفت الثالث بلطف. وظالم تتلقى جواباً، ادارت المقبض، ودخلت الغرفة، فوجدت جون فريزر غارقاً في النوم. شعرت بالارتياح وأخرجتها هذا الشعور قليلاً. عادت تنظر إلى الرجل النائم. لقد قضى ليلة سيئة على الأرجح فيها مرهاً. أحسست بصفقة غير عادية تحرك في قلبه وهي تفحص وجهه المتعب، وعاهدت نفسها مجدداً على مساعدته بكل إمكاناتها.

على العطاولة قرب السرير. كانت هناك صيغة تحمل بقايا فطور حفيف.

من زعمك مجرأ حل؟
اما اذا تقصديين؟

«بالرغم مما ي قوله جون أو الدكتور ماكروبرتس وحق مما يعلم لميريك من أفكار آني أقصد ان أفضح امرك، ولو استغرقي ذلك شهرًا طويلاً!». وخرجت بدون ان تلتفت الى الوراء، صافحة الباب خلفها. ارتحت ساقا سو فطرحت نفسها على اقرب مقعد، وأحست برغبة في أن تخزم حقيتها وترحل عن المكان بلا رجعة. لا عجب ان هرب اهها من هذا البيت اذا كان يمعن اندماك بالدماسيس كما حاله الان! أحست غثاءة على عينيها، فسارت متثرة الى التافدة، وأستندت جبينها الساخن على الزجاج البارد، متندمة على ظنونها المترسعة وعاجزة عن ضبطها. ونبت لبرهة كلمات كارلوت التهديدية. عند الحائط المنخفض في الخارج، كانت أشجار الصفصاف تحفي بلطف لريح دافئة، داعية ايها للزيارة والاستكشاف. فنافت سو فجأة الى الانطلاق، الى الطيران عبر حلال الخليج والتغلب صعوداً في الغابات، في العالم الذي تلمحه فقط من خلال الأشجار.

لكنها لا تستطيع، وتساءلت كيف استطاعت امها ان تهجر مكاناً كهذا. تهدت، واستدارت تبعد عن النافذة، فوقع بصرها على رسالة قصيرة، كانت مركزة بين ابريق الشاي ونانة الحليب على رف احدى الخزانات. كانت معنونة بساطة - سوزان، فالتفتتها مرتبكة. كان الخطط رجالياً، وقبل ان تفتحها حزرت انها من ميريك فيندلي. صدق ظنها وقرأت ما يلي :
ولا انصحك بازعاج جون، فهو سينام حتى موعد الغداء على الارجح، ولحين عودة السيدة لينوكس . اكتفي باطلالة بسيطة لمجرد الاطمئنان. لن آتي في موعد الغداء، فلا شرعي في تغيير أي شيء.

انهت باقضاب وكانت موقعة باقضاب، فيندلي. احست بومضة ارتياح لأنها لن تراه لبعض ساعات على الأقل، وهذه فرصة لتعزز وسائل دفاعها ولتحاول ان تغدو بعض الطعام لها، انه يتحدث عن الغداء وهي لم تتناول قطورها بعد! وبحركة غضب مسحت بقايا طعامه عن الطاولة وحملت الصحنون الفارغة الى حوض الغسيل. وأخيراً، حين وجدت شيئاً تأكله، استمر نصرف كارلوت الغريب يطعن

في رأسها فقدت شهيتها للطعام، وألقت شريحة الخبز جانبًا. إذا كانت كارلوت ابنة عم جون حقيقة وتتوقع أن تتزوج ميريك فيندلي، فإنها قد توقع أيضًا أن ترث غلينزروdon بكمالها، والأملاك حتى شاسعة إذا قورنت بحجم البيت. ويعجّلها إلى هنا، رأت كارلوت فيها تمييزاً لمحظاتها، فلا عجب إذن أن تشم ازاءها بالماراة.

تمهدت بغلق وقفزت واقفة وبدأت تنطف المطبخ . أى شيء أفضل من الجلوس والتفكير في أمور حديثة ولا ريب قبل مجئها إلى هنا . لديها عمل كثير ، ويعجب أن توجل التركيز على دسائس ميريك وصديقه لوقت آخر . انخرطت في العمل ، وبرغم ذلك ، انتابها الْ غَرِيب لما تخيلت ميريك على طاولة المأذان ، يُخْبِرُ كالموت كا شـهـ عنها .

عادت السيدة لينوكس قبل الثانية عشرة ظهراً وقالت لها مبتسمة: «أجلت موعدي الآخر كيلاً أتأخر عليك يا عزيزتي. فكل شيء غريب بالنسبة إليك والسيد فيندلي لن يجد وقتاً ليعرفك إلى تفاصيل البيت». قبادتها سو الابتسام بامتنان. جون لم يستيقظ بعد. تفقدته مراراً ووجده متقلب في فراشه وهو نائم فشعرت في كل مرة بخوف مذنب. فلعلها السيدة لينوكس. بتها:

«أيامناً ينام لساعات حين يمرض هكذا، لا عليك. سأهتم بأمره وأعرف تماماً كيف أفعل ذلك». وأضافت: «ولكنه قد يرغب في رؤيتك عندما يستيقظ، ومن الأفضل أن تظل قرية، فلأنه أكيدَة بأنه سبطلك أنت فناً الحمم».

أومات برأسها، وساعدت السيدة لينوكس في تحضير غداء خفيف قبل أن تصحبها في جولة داخل البيت. وقالت السيدة لينوكس وما تقلان من غرفة إلى أخرى:

«لا أدرى إذا كان من حقني أن أفعل هذا، فلما لا أناك أبداً من المكان
الذي يقيم فيه المأمور حقيقة، هل يقيم هنا أم في الكوخ؟»

وأقصد والدك بالطبع. لم تعلمي انه كان رائداً في الجيش النظامي؟^٤
ـ أجل، لكنني كنت أجهل رتبته^٥.
ـ اغفت السيدة ليونكس يايا آخر وعادت مع سوال المطبع وهي تتقول:

«لا بأس إذا جهلت بعض الأمور، فلا يمكنك أن تعرف كل شيء» دفعة واحدة. كيف وجدت الـ؟
 «اعترف بأنه من نوع البيوت الذي ظلماً حلمت به. حجمه معقول، مريح وشرح، مليء بالاثريات التي تبدو جليلة وقديمة في آن واحد. الجو بمجموعه يبدو لطيفاً».
 «شعرت هذا بتضي. إنه بيت لطيف. السيد فيندلي يربى أيضاً هكذا. لقد ابتعى بعض الأثريات الرائعة بنفسه على مر السنين. ربما دعاك إلى مشاهدتها في ساعة فراغ». «يدو ان السيد فيندلي رجل دائم الانشغال».
 خرج صوتها قاسياً فتحاشت النظر إلى وجه المرضية المسائل. ولما لاذت السيدة ليتوكس بالصمت أضافت سو:
 «عندما يعرض أبي، اعتقاد أنه يأخذ كل شيء على عاته». لم يكن هذا ما قصدته بالضبط، وعرقت أن السيدة ليتوكس عرفت! اتضاع أن نوبة جون كانت قوية، فمضت عدة أيام قبل أن تتمكن سو من محادثته. وخلال هذه المدة، لم تبتعد كثيراً عن البيت، ولم تقدر أن تجد شيئاً يثبت ظنومها. ومع أن كارلوت زارت جون مراراً، وأظهرت قلقها عليه بشكل ضوضائي، إلا أن سو لم تلحظ في ميريك اهتماماً زائداً بصداقته لكنه، على أي حال، ليس من النوع الذي يفضح عواطفه بسهولة، ولعله كان يقضى أوقاتاً طويلة مع كارلوت بدون أن تدرى. وبشكل ما، شعرت سوبانه ليس ناسكاً برغم مظهره الخارجي الغامض. كان ثمة شيء في شكل فمه، أو حوى إليها بأنه يستمتع ببعض المداعبات مع الجنس الآخر مع أنها شخصاً لم تز اهتمامه، ولا تزيد ان تثيره. هكذا أكدت لنفسها.
 من جهة أخرى، لم تستطع النكران بأنها تشعر برجونته كثيراً، برغم أنه يبدو جاهلاً لوجودها بصورة عامة. فخلال النهار كان نادراً ما يأتي لتناول الطعام، وفي المساء يخرج للعشاء في معظم الأحيان. لكن في كل مرة رأته فيها، كان ثمة شيء فيه يحرك فيها التجاوب نفسه الذي أحسه بجلاء في أدنيبه. ربما كان السبب تلك التوراة المفسحة التي كان يلبسها، اقتنعت نفسها بالتواء. في تلك التوراة، يبدو كرجل جيل يربى رأت صوره في كتب

والدها، انه سبب كاف لأن يجعل قلب أية فتاة يخفق قليلاً، وليس هناك بوعث أخرى للتخليل بأنها منجدية إليه بمنانة غير قابلة للانقطاع. لكن قلبها ازعجها بتصرفة غير المتوقع حين عاد في أحدى الامسيات باكراً. كان البيت هادئاً، فالسيدة ليتوكس غالباً، وأبوها في غرفته، يكتب متهجاً على دراسة مؤلف عسكري أهدته إياه كارلوت. أنها تأتى له ذاتياً بأشياء مختلفة وليس ذاتياً تكون هدایاها مناسبة. لم تبد سو أي اعتراض علىي على ذلك لأن جون كان يرحب بالفتنة ويدعي سروراً كبيراً بهدایاها. وفي الواقع، كانت سو تفكّر أحياناً بأنها رعايا اختطات الحكم على كارلوت، لولا النظرات المقصودة التي كانت تحدّجها بها في مناسبات خاصة، إضافة إلى شك سو بأن زيارات الفتنة المتكررة كانت أيضاً من أجل ميريك فيندلي، لكن كان من القسوة أن تصارحها بهذا.

في تلك الامسية انتاب سو قلق غريب ضيق عليها افالسها. وبعد أن تأكدت من وجود الجرس في متناول جون، أغلقت عليه الباب بلطف، وراحت تتمشى هنا وهناك في غرفة الجلوس. كانت واقفة أمام لوحة جدتها تتأملها عندما دخل ميريك.

لم يفاجئها لكونها سمعت شخصاً يتحرك في الردهة، ومع ذلك اجهلت حين استدارت ورأت أنه هو، فعنقت حاستها السادسة بصمت لكونها لم تتلدراها. أدركت في تلك اللحظة أنها لن تستطيع الهرب، وعانت لو انه لم يضطّلها وهي تحدق إلى لوحة عائلية.
 «ولقد جئت باكراً».

نقطت أول خاطرة لاحت لها وهي تحس ارتياكاً مفاجئاً يجفف شفتيها. رطبتها بتحفظ برأس لسانها، وازدادت ارتياكاً حين رکز عينيه السوداين على فمها. استمر صمته فأضافت قائلة:

«هل تناولت شيئاً كـ؟».

«تناولت عشائي. شكراء».

ووجهه الصلب كان مغلق التعبير مبهماً، إلا أن شيئاً في قوها الأبله، أو في شكلها، أثار فيه التسلية، وراحت عيناه تحديانها بتمهل، غير عابتين بأنها تعرضها لشخص مريك.

الصمت لم يزعجه البتة واستمرت عيناه تُخْرِقان وتستكشfan تفاصيلها.

شخصت اليه بخوف يائس وهي لا تدري مدى قدرتها على مواجهة ردود فعلها المتضاربة، وتدري فقط ابها تحتاج وقتاً منها كان قصيراً، ولأنها تعلم بأن ميريك مرتبط بشكل ما بهذه المشاعر فقد بالغت في ردود فعلها طفل مضطض. تغاضت عن نصيحته بعناد، وقالت:

«تكلم وكأن العطاق والفرقان مرفوضان في هذا العصر. إن لاتسائل،
ماذا كنت تفعل لو ان زوجتك هجرتك هكذا؟».

«لو كنت متزوجاً لجعلت زوجي لا ترغب في تركي أساساً. لكننا لستا
في معرض الحديث عنى. لقد أخطأت فهم قصدي الأول يا عزيزق سو،
فأنا ما أردت سوى تصالحك بعدم ترك غلينز ودن في حال خطر لك ذلك.
نم شكت فقط بأنك قد ورثت عن أمك ميلها إلى الهرب في اللحظة
الغليظ، وهذا شيء لا فائدة منه».

هل تراه يهددها؟ ارتفعت أصابعها البضة إلى عنقها لتغطي النبض
الغضبي في أسفله وسألت:
«أقصد علاقة رحيلي بوالدي؟».

«أجل، فصمة أخرى لن تساعدك».
«كالمصدمة التي أحدثتها... عجبي؟».
أخافتها قسوته فابتعدت عنه واستقرت عيناهما للحظة عمياً على وجه
جدها وهي ترفض الاقرار بحقيقة كلامه. إلا انه قال لها:
«الأمر رهن ارادتك، إنما لا تعذبي نفسك بحق السيء يا فتاة! هذا ليس
وقت الكلمات الرقيقة اذا كانت الشيء الذي تريدين».

وللحظة، انفرجت شفاتها بصمت وتراحت عليه مكرودة من حس
الصراع في داخلها. ثم، وبجهد مجنون، سلخت نفسها عنه واستدارت
تواجدهم قائلة:

«إنما لا أنتوقع أي حنان منك يا سيد فيندي، ولماذا أنتوقع؟ قد تكون
شريك والدي لكنك لست حتى شريكـي. أرجوك ان تتذكر ذلك!».
وخرجت من الغرفة غاضبة مهولة وصدى صوتها المختنق يلاحقها. لو
انها استعانت ببعض الكرامة لكانـت انتصرت عليه بعبارتها الأخيرة. لكن
الفرصـة فاتـتها.

قوامـها، تقـاسـيم وجهـها الدقـيقـة الواضـحة، شـعرـها النـاعـم كـشعرـ طـفلـ، إـغاـثـةـ الكـثـ والمـسـوحـ نـزـولاـ حقـ كـتـفيـها، عـينـها الجـميلـين يـلـونـها الرـمـاديـ الغـائـمـ
وـالـمـتـاقـضـ يـتـعـومـ مـعـ بـشـرـتهاـ المـتـورـدةـ وـالـيـضـاءـ كـبـاـ زـهـرـةـ الـغـارـدـينـياـ. بـداـمـكـباـ
علـ فـحـصـ دـقـيقـ، فـتـلـصـ جـسـمـ سـوـحـينـ أحـسـتـ بـمـوـضـةـ هـبـ تـخـرـقـهـ.

ولـاـ أـدـارـ بـصـرـهـ عـنـهاـ فـجـاءـ وـنـقلـهـ إـلـىـ اللـوـحـةـ، وـعـتـ الـحـقـيقـةـ. ولـاـ تـكـلمـ،
أـكـدـتـ عـبـارـتـهـ صـلـقـ اـسـتـاجـهـاـ وـاخـدـتـ الـفـرـضـاءـ فـيـ قـلـبـهـ. قـالـ فـيـ غـمـهـ:
«لـيـسـ فـيـ اـمـكـانـ أـحـدـ أـنـ يـنـكـرـ صـلـكـ الدـمـوعـ بـعـائـلـةـ فـرـيزـرـ، وـلـكـنـ
إـسـاءـلـ، كـمـ مـنـ خـصـائـصـ اـمـكـ وـطـبـاعـهـ يـخـتـيـئـ تـحـتـ قـشـرـكـ
الـخـارـجـيـ؟ـ».

قـسـتـ عـيـنـاهـ مـنـ جـدـيدـ، وـصـوـتـهـ كـانـ قـاطـعاـ كـالـسـكـينـ!ـ يـاـ لـهـ مـنـ اـنـعـطـافـ
مـهـيـنـ!

لـمـ يـكـنـ يـعـرـفـ اـمـهـاـ بـتـائـاـ، فـلـمـاـ يـسـتـكـرـهـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـدـ؟ـ مـاـ الـذـيـ يـجـعـلـهـ
بـجـلـسـ قـاضـيـاـ، وـيـحـكـمـ عـلـيـهـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ؟ـ الـوـفـاءـ يـمـوتـ بـصـعـوبـةـ،
وـيـأـصـعـبـ مـاـ تـوـقـعـ الـحـبـ، لـوـ انـ سـوـ توـقـفتـ قـلـيلـاـ لـتـفـكـرـ فـيـ هـذـاـ، لـكـنـهاـ
هـوـتـ بـرـعـونـةـ إـلـىـ الشـرـكـ. وـأـجـاـيـتـ بـشـهـقـةـ غـضـبـ:

«رـبـماـ أـنـتـ لـاـ تـقـصـدـ هـذـهـ الـآـهـانـةـ!ـ».

«مـنـ كـانـ مـطـلـعاـ عـلـىـ الـقـرـفـ لـاـ يـسـعـهـ إـلـاـ يـتـقـصـدـ ذـلـكـ. فـعـذـلـاـ مـخـرـمـ
زـوـجـهاـ مـنـ حـقـهـ الشـرـعيـ...ـ لـاـ يـمـكـنـهـ اـنـ تـوـقـعـ حـكـمـاـ رـحـيـماـ مـنـ
الـنـاسـ».

«لـكـنـهاـ كـانـتـ طـرـفـاـ وـاحـدـاـ فـيـ القـضـيـةـ، وـلـوـ انـ وـالـدـيـ اـهـتمـ كـفـاـيـةـ لـيـحـفـظـ
بـنـوـعـ مـاـ فـيـ الـاتـصالـ، فـلـرـجـاـ...ـ».

«لـاـ تـدـعـيـ الـأـمـرـيـزـرـقـكـ. عـزـيـزـيـ نـفـسـكـ بـأـنـكـ كـتـ أـصـفـ سـنـاـ مـنـ أـنـ
تعـيـ ايـ شـيـءـ عـنـهـ. انـ قـلـةـ مـنـ الـبـشـرـ تـعـمـ بـهـذـاـ مـنـاعـةـ ضـدـ أـخـطـاءـ
الـأـخـرـينـ».

عـذـبـاـ الـحـفـافـ التـنـاهـيـ فـيـ نـيـرـانـ. كـانـ شـيـطـانـاـ هـازـيـاـ وـلـاـ يـأـبـهـ لـكـلـمـانـهـ
الـجـارـجـ وـهـوـ يـوـجـعـ ذـهـنـهـ وـجـسـمـهـ مـعـاـ. اـرـتـخـتـ مـفـاصـلـهـ تـعـاماـ وـكـانـ خـدـرـ
الـأـسـابـعـ الـأـخـرـىـ قـدـ أـفـقـدـهـ حـسـهاـ، الـآنـ أـفـاقـتـ مـشـاعـرـهـ إـلـاـ بـخـواـهـ
غـرـبـ، وـكـانـهاـ بـمـجـمـوعـهـ تـوـقـعـ فـيـ الـلـاـوـعـيـ إـلـىـ تـجـربـةـ جـدـيـدةـ بـعـيـدةـ عـنـ
مـتـاـواـهـاـ.

الموضوع وركبت عل جنوب افريقيا، وكلها فضول غريب لمعرفة تلك
الحقيقة من حياة ميريك. لكن السيدة لينوكس دخلت، فنهضت تستعد
للخروج عل ان تتبع الحديث في اليوم التالي.

لازمها ذلك الشعور الغريب بالقلق طوال اليومين التاليين والى حد لفت
به السيدة لينوكس التي نصحتها بقولها:
«انك بحاجة الى التغيير يا عزيزتي. سأحضر لك بعض الساندوتش
بعلمه معك. انطلق بسيارتك وتترهي ثم تناولي غداءك في مكان خليل.
التزم الطريق العام فلن تضيعي. هواء الخليج سينعشك ويعيد اللون
لخديك».

وعددت ايضاً يأن تأخذ بالها من جون، ومع ذلك وافقت سو على
ذهاب يتزداد. فبرغم ان جون غادر فراشه الا ان الطيب حذرها من مغبة
ميريكه للتعب ونصح فقط بزيارة التشى داخل البيت. اليوم بذا متعباً
بفضل التزام الفراش. هكذا يرتاح يالها اكثر، قالت لنفسها وهي تخرج
سيارتها من المرآب.

وما ان أصبحت عل الطريق حتى أحست معنوياتها ترتفع، وسرت
بكونها عملت بتصحية السيدة لينوكس. كان هناك صمت خريفي يخيّم
عل الحقول البرية، تخرقه بين حين وآخر طلقات صيد بعيدة. جون أخيرها
ل الصباح ان ميريك يصطحب فرق صيد مرتين او ثلاثة في الاسبوع في
عدها القضل، ولم يزال استغراها حتى شرح لها التفاصيل وهو يرسم ياسين:
«هذا العمل كان من اختصاصي وتوائفت عنه منذ بضع سنوات، لكن
اتفاقنا مع فندق القرية ما يزال سارياً. اتنا نزود الطرائد وهو يزود
الصيادين. انه عمل شاق نوعاً ولا أدرى الام سستطيع ميريك الاستمرار
فيه لكنه يساعدنا مادياً».

«منذ متى بدأ ميريك العمل معك؟».
لم تقصد ان تسأل، لكن ميريك لم يكن ليبارك افكارها منذ لقائهما في
غرفة الجلوس.

رمفها جون وفتشت بسرعة وقائمه استغرب تعبيها، ثم اكتفى بالقول:
«منذ عشرة أعوام تقريباً. جاء هنا في منتصف عشريناته، وساعدته عل
تعلم امور كثيرة، وعاشك تفهمين ما أقصد. ابوه توفى في جنوب افريقيا
ولذا لم يجد الى جانبه احداً سواي».

لم تفهم قصده بالضبط لكنها كانت تتعلم بسرعة كيف يتوقع ابوها
احياناً داخل صدقة معينة حين تطلب منه مزيداً من الایضاح. لذا حولت

عميقاً ضايقها مما بدا لها تهجاناً على خلوتها. فحوّلها من كل الجهات، كانت الجبال والبراري في عزها، تصطلي بشمسٍ خريفية، وهنا كان الشيء الوحيد الذي أملت أن تهرب منه جموع الناس!

ارغام داخل ما، وليس ميلاً، جعلها تقرر زيارة المكان. تركت سيارتها، وسارت نزولاً على الدرب الواسع بين العربات، فرأى لافتة كتب عليها بوضوح «متزه غلينرودن للعربات. لا أماكن خالية». لم تعلق على ذلك أهمية خاصة، لكن حين رأت كارلوت تبرز من خلف أحدى العربات، بدأ الشك يساورها.

توقفت كارلوت، وهي لا تقل دهشة عن سو وقالت في حذر:

«ما الذي تفعلين هنا؟».

«أتفقد نظرة على المكان».

لم يكن الجواب مطابقاً لما كانت تريد قوله، لكن لا يجب على كارلوت أن تطرح أسئلة سخيفة. ثم ما الذي يدعوها إلى التصرف بهذا الشكل وكأنها تلك المكان؟ أنها حتى لا تعيش هنا؟ ووَعْت فجأة أنها تجهل تماماً ابن تسكن كارلوت. تصورت أنها تسكن القرية.

«أتعرفك إلى المكان، إذا شئت؟».

فقالت سو بغير لثيع انضباطها:

«تعرفيني إلى المكان؟ ولماذا تفعلين ذلك؟».

فاستفت كارلوت مفزها بسهولة وقالت:

«إذا كنت تقصددين أن تسألي عنها إذا كنت أعيش هنا أو أملك المكان فالجواب لا. إنه جزء من غلينرودن».

«أتقصددين أملاك غلينرودن؟».

تضرجت سو حين ألفت السؤال. أنها تكره الأخراج في طلب المعلومات، ولم يطلعها أحد على هذا الأمر.

زادتها كارلوت حرجاً حين أومات برأسها فاهتز شعرها الأسود المallas وقالت بنظره اعتلاء:

«يبدو أن هناك أشياء كثيرة تجهلتها، وأتساءل عن السبب».

الكلمات بريئة لكن النبرة كانت هازئة. وتتابعت تشرح الصورة: «هناك امرأة تدير المكتب عادة لكنها الآن غائبة، ولذا طلب ميريك

٤ - حبيبة قلبه !

قررت سو طرد هواجسها وركبت على القيادة وإنجاد الخليج. السيدة لينوكس مدربة على التمريض وأبوها سيكون في أمان. وبعد دقائق وجدت الطريق بهولة، فمن خلف مقطع النهر، انعطفت بیناً بدل الوجهة اليسارية المؤدية إلى القرية. سيارتها الصغيرة كانت تسير على أفضل ما يرام. الطقس كان جيلاً، وعلى الطريق أغnam سوداء تتراكم أمام السيارة. سخوار فسخنة كانت تغرّ بها، أماكن مثالية لتزهّة في الصحراء، قالت في نفسها وهي تضيّق قدماً، ولا تفكّر بالتوقف حتى تصل الخليج. مررت بعدة سيارات على الطريق، ولم تستغرب ذلك كثيراً، فالمنطقة تعيش حالياً موسمها السياحي. تذكرت يوم وصوّرها حشد الزبائن في حانوت القرية. ومع ذلك، تبدو هذه الطرقات مفقرة بالمقارنة مع طرقات مناسبة في الجنوب. الجنوب... وتساءلت فجأة عنها إذا كانت ستعود إلى لندن يوماً... هل ترغب فعلًا في ذلك؟ قد لا يكون سهلاً أن تبقى هنا. من الغباء أن تأمل بهذه السهولة. فعلتها أن تجد أصدقاء جدداً، وأن تجد عملاً في نهاية الأمر، لا يمكنها أن تقضي بقية عمرها متوجولة في ربوغ غلينرودن. وهنا سقط قلباً بين قلوبها. إذا كان ميريك سيتزوج كارلوت كريغ فقد لا تتمكن مطلقاً من البقاء! ثم، خلف المنعطف التالي، وبدون انذار، أطلت على تجمّع العربات المقطورة.

فاجأها المشهد، فاتّاحت جانبًا من الطريق وأوقفت سيارتها وراحت تحدّق. كان واحداً من أهل المترّهات التي رأتها في حياتها، لكن استياء

ساعدتني ريشا تعود».

فقبلت دعوتها شاكراً كيلاً تبدو عدية التهذيب. كارلوت ستجمع حجاً كدلالة في وكالة سياحية، فهي تبدو بارعة في هذا النوع من العمل، وإذا كانت تحاول أن تثبت متفعتها لميريك، فلا شك أنها تجحث تماماً! كان المكتب صغيراً وجيد التجهيز. أراحـت كارلوت قوامها الأنثـيق على المقعد الوثير خلف الطاولة، وأشارـت إلى سرـبان مجلس مقابلـها وقالـت: «بعد ساعـة ستـان امرأـة آخرـى تحلـ مكانـي. العمل ينـكشف في الصـباح الـبـاـكـرـ وـبـعـدـ الـظـهـرـ حينـ يصلـ أناـسـ جـلدـ، ومـيرـيكـ لاـ يـدـعـيـ أـنـعـبـ نـفـسيـ معـهمـ».

هـذاـ قدـ يعنيـ أـشيـاءـ كـثـيرـةـ، فـكـرـتـ سـوـبـتـهـمـ عـنـدـمـاـ تـابـعـتـ رـحـلـتـهاـ بـعـدـ اـنـتـهـاءـ الـزـيـارـةـ بـرـقـتـ قـصـيرـ. فـاماـ أـنـ كـارـلـوـتـ لـيـسـ قـبـيرـةـ كـيـ تـبـدوـ وـاـمـاـ انـ مـيرـيكـ فـيـنـدـلـيـ بالـغـ القـلـقـ عـلـ حـيـةـ قـلـبـهـ. وـصـلـتـ بـعـدـ الـظـهـرـ إـلـىـ الـخـلـيجـ حيثـ تـناـولـتـ الـغـذـاءـ ثـمـ تـنـزـهـتـ حـولـهـ، وـقـرـرـتـ أـنـ تـكـضـيـ بـهـاـ الـقـدـرـ مـنـ الـتـجـوالـ وـقـدـ فـقـدـتـ الـخـمـاسـ لـشـعـورـ لـمـ تـدـرـ لـهـ سـيـاـ. لـماـ وـصـلـتـ الـبـيـتـ، اـسـتـغـرـيـتـ السـيـدـةـ لـيـنـوكـسـ عـودـتـهاـ الـبـكـرـةـ فـطـمـاتـهاـ بـقـوـهـاـ:

«فـفـيـتـ يـوـمـاـ لـطـيفـاـ. دـعـيـقـيـ أـنـدـ الشـايـ عـنـكـ لـتـنـصـرـ فـيـ بـاـكـرـاـ، فـائـتـ اـيـضاـ تـخـاجـيـنـ إـلـىـ بـعـضـ الـفـرـصـ».

كـانـتـ الصـينـيـةـ مـهـيـأـةـ فـحـمـلـتـهاـ وـأـنـجـهـتـ إـلـىـ غـرـفـةـ جـونـ وـهـيـ تـقاـومـ حـشـرـيةـ فـيـ أـنـ تـسـأـلـ الـسـيـدـةـ لـيـنـوكـسـ عـنـ مـتـزـهـ الـعـربـاتـ، اـمـاـ تـخـشـيـ اـنـ تـلـقـيـ جـوـاـبـ مـعـاـثـلاـ جـلـوـبـ كـارـلـوـتـ. مـنـ الـأـفـلـ اـنـ تـسـأـلـ مـيرـيكـ بـالـذـاتـ حـيـنـهاـ تـراهـ. فـتـحـتـ بـابـ جـونـ، وـأـجـفـلـتـ مـاـ رـأـتـ مـيرـيكـ مـعـهـ. عـبـرـتـ الـغـرـفـةـ فـتـهـضـ مـتـاـواـلـاـ الصـينـيـةـ مـنـهـاـ، وـرـوـضـهـاـ عـلـ الـطاـوـلـةـ الصـفـيـرـةـ قـبـالـةـ الـمـوـقـدـ. اـسـتـدارـ يـتـغـرـسـ فـيـ عـيـاهـاـ الـلـذـيـ تـضـرـجـ فـجـأـةـ، وـقـالـ: «أـظـنـكـ كـنـتـ خـارـجـ الـبـيـتـ؟ـ».

يـالـهـ مـنـ حـشـرـيـ! يـرـيدـ اـيـهـاـ، اـنـ يـعـرـفـ أـيـنـ كـانـتـ. هـذـاـ مـاـ تـقولـهـ نـيـرـةـ صـوـتهـ اوـ هـكـذـاـ تـفـسـرـهـاـ هيـ. حـسـنـاـ، لـنـ تـشـعـ فـضـولـهـ فـورـاـ... اـبـسـمـ لـوـالـدـهـاـ قـبـلـ اـنـ تـحـبـ مـيرـيكـ بـسـؤـالـ مـعـهـاـ: «أـرـاكـ تـعـودـ بـاـكـرـاـ، أـيـنـ تـرـكـ صـيـادـيـكـ؟ـ».

«فـيـ رـاعـيـةـ مـسـاعـديـ الـقـدـيرـ عـلـ مـاـ أـرـجـوـ. كـانـواـ عـلـ وـشـكـ الـاـنـتـهـاءـ».

تـعـمـدـتـ سـوـ، ثـمـ هـوـيـ قـلـبـهاـ مـرـةـ أـخـرىـ عـلـ رـغـمـ مـنـهاـ. كـلـاـمـاـ يـعـملـ هـنـاـ إـلـىـ جـابـ الـأـخـرـ! لـكـنـ مـاـ الـلـذـيـ يـجـرـجـرـ وـرـدـنـ إـلـىـ جـمـعـ عـربـاتـ؟ـ اـهـاـ شـاسـعـةـ وـغـنـيـةـ يـاـ فـيـ الـكـفـاـيـةـ وـلـاـ مـوجـبـ لـأـنـ تـلـجـأـ إـلـىـ هـذـاـ النـوعـ مـنـ الـتـجـارـةـ. أـجـاـبـ فـيـ جـوـودـ: «وـالـدـيـ لـمـ يـذـكـرـ وـجـودـ هـذـاـ الـمـتـزـهـ»، عـلـ كـلـ، اـنـهـ مـرـيـضـ، وـأـنـاـ لـاـ أـرـىـ السـيـدـ فـيـنـدـلـيـ كـثـيرـاـ».

وـحـلـاـ اـنـتـ سـوـ كـلامـهاـ نـدـمـتـ عـلـ الشـقـ الـأـخـيرـ مـنـهـ، فـيـ حـينـ تـمـدـدـتـ اـبـسـامـةـ مـخـتـلـفـةـ عـلـ فـمـ كـارـلـوـتـ، وـقـالـتـ: «مـيرـيكـ لـنـ يـرـغـبـ فـيـ بـحـثـ هـذـهـ الشـئـوـنـ مـعـكـ وـيـخـاصـهـ اـنـكـ غـرـبـيـةـ. كـذـلـكـ يـعـتـقـدـ يـاـنـكـ لـنـ تـعـلـلـ اـقـامـتـكـ، بـعـدـ اـنـ يـتـحـسـنـ جـونـ، وـلـذـاـ سـيـضـيـعـ وـقـتـهـ لـيـسـ الـأـءـ». اـحـجمـتـ سـوـ بـصـعـوبـةـ عـنـ اـعـطـاءـ جـوابـ قـارـصـ. فـمـنـ الـجـائزـ اـنـ كـارـلـوـتـ تـرـوـيـ الـحـقـيـقـةـ وـهـيـ لـاـ تـسـبـعـ صـدـورـ آرـاءـ كـهـدـهـ مـنـ مـيرـيكـ. لـكـنـ الـفـغـةـ كـانـتـ تـضـعـ هـاـ طـعـمـاـ وـهـيـ يـعـبـ اـنـ تـرـفـضـ السـقـوطـ فـيـ شـرـكـ الـاستـعـدـاءـ كـيـ تـمـكـنـ مـنـ مـعـرـفـةـ مـاـ يـجـريـ. عـضـتـ شـفـتـهاـ بـقـوـةـ ثـمـ أـفـرـجـتـ عـنـهـاـ، وـاـبـسـمـتـ وـهـيـ تـقـولـ:

«يـسـرـتـ اـنـ أـجـوـلـ فـيـ الـمـكـانـ، اـذـاـ سـمـحـتـ، طـلـلـاـ اـنـ هـنـاءـ». أـمـضـتـ السـاعـةـ التـالـيـةـ مـعـ كـارـلـوـتـ تـمـشـيـ فـيـ أـرـجـاءـ الـمـتـزـهـ، وـسـرـعـانـ مـاـ تـأـكـدـتـ مـنـ جـوـودـهـ وـنـجـاحـهـ. كـانـ يـعـوـيـ كـلـ الـوـسـائـلـ الـعـصـرـيـةـ الـمـرـجـعـةـ يـاـ فـيـهـاـ دـكـانـ يـبـعـ الـفـسـرـورـيـاتـ الـغـذـائـيـةـ كـالـلـحـمـ وـالـلـبـلـ وـالـيـضـ. وـقـالـتـ كـارـلـوـتـ تـشـرـحـ الـزـيـدـ: «الـمـوـادـ الـأـخـرـيـ يـتـعـاوـنـهـاـ مـنـ حـانـوتـ الـقـرـيـةـ، وـالـمـتـزـهـ سـاعـدـ الـقـرـيـةـ كـثـيرـاـ مـنـ النـاحـيـةـ الـمـادـيـةـ».

وـأـضـافـتـ تـقـولـ اـنـ كـلـ الـعـربـاتـ مـرـجـةـ، فـالـلـاـسـ يـعـبـونـ هـذـاـ النـمـطـ فـيـ قـصـاءـ الـأـجـازـاتـ وـقـدـ اـنـتـرـتـ شـهـرـةـ الـمـتـزـهـ فـيـ الـعـامـيـنـ الـأـخـيـرـيـنـ وـنـتـجـةـ لـذـلـكـ صـارـ الـمـوـسـمـ الـسـيـاحـيـ يـمـنـدـ حقـ مـتـصـفـ الـخـرـيفـ، بلـ أـصـبحـ أـكـثـرـ فـصـولـ الـسـنـةـ شـعـبـيـةـ وـرـوـاجـاـ.

بعـدـ اـنـتـهـاءـ الـجـولـةـ دـعـتـهـاـ كـارـلـوـتـ بـتـرـحـابـ إـلـىـ شـرـبـ الـقـهـوةـ فـيـ الـمـكـبـ

«كنت مريضاً يا سوزان، وهذه الاشياء تسهى عن بالي».

وأضاف ميريك بانفعال حاد:

ـ «لماذا تعطين الأمر كل هذه الاهمية؟ أبوك، بعض النظر عن مرضه، لا يابه كثيراً هكذا مشروع. أنا صاحب الفكرة من الأساس، ولذا من الطبيعي جداً أن يسهم جون عن ذكر الموضوع لك».

ـ «هناك أناس آخرون في البيت اضافة الى والدي».

ـ «الآخرون لديهم أشغال يا عزيزق».

ـ «أتفقد أني غير مشغولة؟».

أظلم وجهه، وخالت للحظة انه سيبر اليها حيث هي ليهزها. بدا كرجل غريب، متوجه وهائل. أجاب في يرود:

ـ «أقصد العكس، لكن مثاغلنا لا تسير في الاتجاه نفسه».

ـ «لا أعتقد انك تعمل كل مساء. في وسعك ان تجد بعض الوقت لتعلمك على عمل الأوضاع».

ـ «لو اتيتني ترحيبك برفقتي، لكنت الي الطلب راضياً مسروراً».

كان واضحاً انه يقصد شيئاً بعيداً تماماً عنها يدور في ذهنها. كانت عيناه الملتصقتان بعيتها الرماديتين، مليئتين بتهديد واضح حري باهتمامها، وكأنما تقولان: أيفي حيث انت ليهنا تقررين ملاقاتي في متصف الطريق.

ضعفها كلها تفسيرها المجنون لنظرته، فهافتت في روعة:

ـ «ليس ثمة سبب يدعوا الى الافتراض بأن الآنسة كريغ تحترك كل أوقات فراغك».

ـ «في وسعك ان تخبر ابنته يا جون كيف أقضى معظم اميائى، وحيث انعش في الفندق في اطار المصالح العملية».

ـ «تجاهل ذكرها لكارلوت والتجلّؤ الـ معونة جون قد يكون مرتبطة بواقع العمل الا انه بدا عرضياً عصياً».

انتشد جون نفسه من انغماسه في سماع الراديو وشرب الشاي وكان غافل تقريباً عن مصارعتها الكلامية، وتنسم قاتلاً:

ـ «كان من واجبي ان أخبرك ذلك ابها يا سوزان. أحاديث كثيرة بيناها الناس في سهرة واحدة. كانت السهرة امتع الأوقات بالنسبة الى، في الأيام الخواли، حين كان الضيوف...».

عندما غادرت، وأتعاظم عادوا الآن الى الفندق».

ـ «كان صوته مرسحاً مؤنباً، وكأنه حذر عزمها على ماحتله فاراد بخاراتها الى حد معين».

ـ «يبدو انك قادر على التهاون في واجباتك ايجاناً يا سيد فيندلي».

ـ «يادك النظر في عدائي لم تستطع ضبطها، فتصادمت نظراها، عيناها تبرقان في خطر وعينها تلمعان كالجليد».

ـ «فأجاب بقصوة وتعهد:

ـ «لا أعرف أين ذهبتك، لكن أهواه هناك لم يناسبك حتى يا آنسة فريزر، لكنني أكيد من أن أباك يفضل الشاي على ترزيك».

ـ «هذا الرجل يحتاج الى من يفعده في مكانه. هذه المهمة منوطة بها ما دام أبوها يبدو وكأنه في عالم ثان... سارت الى الطاولة وشرعت تسكب الشاي، وأهداها تبدو كمراوح سود على خديها.

ـ التزم ميريك الصمت فيها كانت تقدم الشاي لأبيها، لكن صمته كان أكثر تهديدًا من الكلام. ولما ناوته فنجانه، ألتقت عليه نظرة حافظة متربقة وأشارت عنه بسرعة. كان يرتدي تورته المعهودة مع سترة من التويد (قماش صوفي خشن) تحتها قميص بني وربطة عنق سادة، ومن وسطه، تدلل سلسلة معدنية تحمل كياماً من الجلد البني. هذا الكيس - بحسب معلوماتها - يستعمل كبديل للجيوب غير الموجودة في التوردة. جواريه كانت من الصوف البني، لمح حاليها، بالإضافة الى حذاء من الجلد المدبوغ، وفي أعلى جوربه الأيمن لاحظت غمد سكين ذات مقاييس بشكل البوق، فيها كانت ركيثه عازبين مشردين. بدا قاسياً ووسياً».

ـ أبرقت عيناه العاصفة فوق فمه المتهم في خط، وقضعت بعصية، لقمة من ساندوتش الخيار، ثم صرحت بحدة:

ـ «في أثناء خروجي، اكتشفت بالصدفة المحضر، وجود جمجمة عربات عند الخليج، وتقطعت كارلوت بدمامة لاصططيابي في جولة فيه».

ـ «أخيراً بقت البحصة، وأحاطتها، عل رغم منها، بعتاب غاضب، وقد أحست حين نطقت اسم كارلوت بغيره غير مألوفة تبتق فيها. وفوراً، استشعرت نظرة ميريك السريعة ونظرة أبيها المضطربة قليلاً».

ـ «ونكلم والدها، وليس ميريك، فقال بشيء من الارتفاع:

ورمعت أباها متسللة اذ كان توترها الداخلي أكثر مما تستطيع احتماله .
كان جون قد فرغ من شرب الشاي وتناول سبکارا راح يقص طرفه
بتمهل ويشدبه ويشعله . ثم فاجأها بقوله من خلال الدخان الأزرق :
«ميريك جاء اليوم باكراً ليعرفك الى المكان . لقد مر بعض الوقت على
عيثك هنا ، فارتئي ان يصطحبك في نزهة ريفية » .

مقالات

وليس هذا ما قصدت بالضبط.

تعلمت قلقة وقد تفاجأت بما قاله أبوها، لكن ذلك لم يلطف غضبها.
أضافت وهي تستدير ناظرة إلى ميريك:
«أنا لست مجرد سائحة عابرة لا أعامل كـالسائح، فاكتشافى عرضًا لثان
يخصفى، كفى باحراج موقفى. مثلاً، اكتشافى لمجمع العربات ولو جدود
كارلوت فيه، وحيث اضطررت للاعتراف بأنّ اجهل أي شيء عنه. كان
ذلك مهمًا بالنسبة إلى».

رمفها ميريك من علوه الشامخ وفي عمق عينيه يأس مقطعن وقال
ساخراً:
«ان مطلق واد اسكتلندي ، وبخاصة في بيرثشاير ، يغتص بالأشياء
المغربية ؛ غابات ، تلال ، قفار ، مستنقعات ، عالم غني بالحياة البرية . ومن
بين كل ذلك ، اختارت العثور على جمجمة للعربات ! .
«أنت مقطعن على ما يبدو بأن حدى ساقفي اليه ؟ بطريقة مغتصبة

أو يدافع فضول فطري لا يعرفه سكان المدن بصورة عامة. وبالنسبة إلى كارلوت، فهي لا تعرف عن مساعدتي في حال طلبت منها ذلك، ولديها كل المعلومات السحرية المطلوبة، بالإضافة إلى كونها فتاة ساحرة». وحزتها الصدمة بحدة فشخصت إلى يديها. انه يعتبر كارلوت فتاة ساحرة! صفتها المعرفة بألم لا منطقى. فتفتت بعمق وقالت: «إذا بقيت هنا، فقد أتعلم أنا أيضا القيام بعمل مقيده». ليس في المترء اذا كان هو المقصد، ولم أقصد بالذات...»

وأنقطع صوتها اذ رام ذهنتها المشوش يقاوم التوضيح . لو انه يتسم قليلا

الذهب صدرها غصباً وقضت شفتها. هذا القسم بدأ يصبح عادة لديها... أبوها وميريك، كانوا معاً كجدار حجري، وكلاهما كان قاهراً بطرقه المختلفة. لا يسعها ان تأمل أبداً باختراق قواهما الموحدة. أحست خيبة عاجزة فقالت في سخرية:

أعاد فنجانه إلى الصينية وهضم واقفاً، فشعرت سر بقوته تهوي عليها كيا الصفة، طاردة من جسمها كل ردود الفعل العصبية. ومع أنها ظلت ليقمع ثوان تحدى نظره القاتمة لكنها سرعان ما ندمت على كل ماتأثيرها. التقطت فنجانها لتعزز موقفها ضد هجمات لاحقة. ورشقت الشاي في شرود.

وعندما تكلم ميريك أخيراً، انخدعت بلطف صوته وهو يقول:
«ليس من عادل أن أثير تصرفات للناس يا آنسة سو، ولن أغير الآن
هذه العادة. وإذا كنت تفكرين في اجراء تحريات خاصة، فسأعطيك
ذلك على مسؤولتك الخاصة».

فيلم أكشن... اختنق صوتها فلم تكمل.

فأكمل هو عنها وصوته ما يزال يلفها بنعومة الحرير:
ولم تكن في سعيق، ليس كذلك؟ لقد استعملت تغييراً
عن قائلها هناك تعم عصري أنس منه.

عندها، اذا ليس هناك تغير مسوي
لن تقدر ان تتصر على هذا الرجل ابداً ولو عاشت لعنة عام. صوته
اللهم اليطيء ينفيتها ببدلاته أكثر مما تخفيتها كلماته الفعلية، لكن ذهنه
حاد كحافة شفرة وهذا لا يعجبها احياناً... مررت أصابعها المقطورة
على جبينها وقالت:

ويجب ان نقر بحق في الاعلان عن مزيد من الخلاف! أي مريض ولا
الرمه ان هو قصر في ذلك».

«معك حق».

أجبتها سوبتكلف. كيف يمكنها افهم السيدة لينوكس بأنها لا تمانع في البقاء الى الأبد لو شعرت فقط بأنها كانت تشكل بالفعل جزءاً من غلينبرون؟ أبوها يتعلّق بها بداعي ابتهاجه الشديد بعثوره على ابنة لم يحلم بوجودها، وكان في شوق لأن يعرفها إلى أصدقائه حين تحسن صحته. لكنها تريد أن تكون أكثر من قطعة للعرض. تريد الاتّهاء! ترى، هل سيفتقداها أحد هنا، إذا رحلت؟

فقالت وأفكارها تحول إلى بحري آخر:
«إذا عملت، فقد يسر السيد فيندلي أن يرثا مني بعض الوقت لأنه بدأ يتضايق ولا شك من وجودي المستمر حوله».

كان أسلوبها ماكراً للاطمئنان على قضية معينة لكنها شعرت فجأة بأهمية الاطمئنان.

اتسعت عينا السيدة لينوكس بدهشة حقيقة وأجبت:
«تفى إنك خطّة يا عزيزي، فالسيد فيندلي قليلاً ما يلاحظ وجودك». فالتعمّت عيناهما بلهو ساخر. حسناً، انه ليس الجواب الذي تأملت ان تسمعه لكنها تستحقه حتى. فهي التي جلبت الذب إلى كرمها! ويرغم ذلك ثابتت عليه في اتجاه آخر، حين أضافت:

«كارلور لم تزدنا مؤخراً وأعتقد أنها ما زالت في غيم العربات. سألت والدي عن مكان سكناها فقال انه بالقرب من بيرث. أنها لمسافة بعيدة تقطّعها ذهاباً وإياباً إلى مكان العمل».

أومأت السيدة لينوكس بشرود وهي تباشر تحضير الغداء، وأجبت:
«أبوها متوفى. كان ابن عم والدك اللزم، وهي تعيش مع امرأة مسنة من قريّات امها. اعتقاد ابنتها كانت قريبة أيّك الوحيدة حتى جئت أنت». «يبدو ان السيد فيندلي يودها».

«أعتقد انه يفعل فهي تأتي كثيراً إلى غلينبرون، ودائماً كانوا على انسجام».

السيدة لينوكس تعمّد الكتمان وهي تفعل ذلك عندما ت يريد. هذا ما ارتّبت به سو عندما خرجت المرأة تلبّي نداء الجرس في غرفة جون. انهالن تستطيع استخلاص شيء منها! حياتها في غلينبرون كما العيش في

لشرحت له ربياً بأنها تكره ان تعامل كزائره غريبة، هزت كتفيها بتمرد، وعيناها تتوجهان في بطيء إلى ركبته العاريتين. كان جلدّها خشنًا متناسقاً كل شيء فيه، ومعتاداً على صفع الرياح.

سقطت حرة في الموقف فانتبهت إلى صمت المتظر جوابها. تناولت صبة الشاي بسرعة وهبت واقفة. وبدل ان تحاول إكمال عبارتها المقطوعة بدأت واحدة جديدة قائلة:

«ربما أنا مدمنة لك باعتذار يا سيد فيندلي. إذا كنت عازماً بالفعل على اصطلاحك في جولة تعرّيفية فلنك شكري وامتناني، لكن الوقت داهسي، فأننا اطهرو طعام العشاء عادة ونحب الإسراع به. سأكون على أتم الاستعداد لمرافقتك في يوم آخر».

لكن اليوم الآخر لم يعن بسرعة، وبدلًا ميريك فيندلي وكأنه نسي كل شيء عنه، فيما ترددت سو في تذكرة به برغم شوقها إلى زيارة الأماكن ومعرفة حدودها بدقة. ربما ميريك، بصفته مديرًا للأملاك، كان يتربّد في المبادرة، ولكن عجزها هي عن المبادرة لسبب غامض ما، أو قعدها في ورطة. اشغلت في مساعدة السيدة لينوكس في أعمال البيت لكن هذا الانشغال لم يكن كافياً ويرغم ان جون كان يتذمّس احياناً فيحتاج اليها معاً. وحتى في تلك الظروف كانت السيدة لينوكس تضطّلع بمسؤولية العريض، ولذا فررت سو أن تبحث عن عمل تعليمي حملها تحسن صحة جون. لا بد ان مؤسسة ما في الجوار تحتاج معلمة للصغار. ومن الأفضل ان تستعمل عن ذلك، فمنطقة بيرتشاير، تبعاً لخريطتها، مليئة بالقرى الصغيرة.

بدأت الاستعلام من السيدة لينوكس التي أجبتها:
«لا اعرف شيئاً عن القرى الأخرى يا عزيزي، لكن المدرسة في قريتنا لديها معلمتان توفّلتا منذ سنوات طويلة، وكلتاها لم تصل بعد سن التقاعد».

«قد اضطر للبحث في مكان أبعد».
«ربما».

ترددت المرأة قليلاً حين لحظت التعبير الجدي على وجه سو وأضافت:
«ليشك تنتظرين لحين يتعاقب والدك تماماً، فهو يظهر قلقاً عندما تغيبين عن بصره، وقد يتزعّج كثيراً اذا عملت خارج البيت».

ووضعت السلة على حافة الطاولة. لقد سالت جون عدّة مرات عن رأيه في العودة إلى الكوخ للسكن فيه، لكنه في كل مرة كان يهز رأسه ويعجب: «ظلتكم مرتاحه هنا يا عزيزتي. أنا لم استعمل الكوخ إلا للكتابة من حين أصابي بعرض القلب، وميريك لا يريدني أن أعيش هناك مفردي». «لكتني الأن معك وسأبقى معك حيثما تكون» كانت تجادل بلا طائل. إنما في أعماق نفسها، كانت بدأت تحب البيت الكبير، كما يسميه الجميع، لكن ميريك فيندلي كان يقلّقها وأحست بغيريزة ما، تنذرها بوجوب الانتقال قبل فوات الوقت.

ييد أن والدها ثبّت ب موقفه العيني، وقال لها مرة:

«أنت لا تعين ما سيسيبه الانتقال من مشقات يا موزان. فكري في كل التجديدات التي سيتوجب علينا اجرؤوها والتي لن تستطعي مواجهتها بغيرك. من الأفضل جداً أن نبقى هنا».

كانت تلك وجهة نظره، لكنها الأن، وبعد أن تحققت من وضع الكوخ بنفسها، أدركت أنه على حق. فالغرف العليا، برغم بنائها السليم، كانت في متنه الفوضى، وقد بدأ سقفها يتقبّع وكذلك ورق الجدران، فضلاً عن اكتظاظها بالأغراض القديمة وقطع الآثار، وهيئات ان تنقل في أقل من أسبوع. الغرفة الأخرى في الطابق الأرضي كانت تستعمل كغرفة نوم، ولكنها مشوشة أيضاً وفيها روابع عفن. وتساءلت سوّعاً جداً بوالدها لأن يأتّ ويعيش هنا من الأساس.

حاولت مرتين أن تستوضحه السبب فكان يغمغم الرد وكأنه يجد صعوبة في الحوض معها في أي موضوع باستثناء الحديث عن كتابه. أياضاً، كان وعدها بأن يوقف ارسال النفقة إلى مصرف لندن، وبعد ذلك عاشرت ذكر الأمر، فاضطررت في النهاية لأن نكتب إلى المحامي بنفسها شارحة له بعض التفاصيل، ووعدته بأن تظل على اتصال، مما ذكرها بوعدها لتميم بيان نكتب له. كانت بعثت له برسالة قصيرة بعيد وصولها كتبلاً فقط بتطبيبه، ولا بد أنه يتضرر الأن رسالة أطول تتضمن مزيداً من التفاصيل والأخبار. انه يستأهل رسالة كهذه لأنه ما تصرف معها إلا محنة واحلاص، وقررت أن تؤدي هذا الواجب فوراً.

سارّت إلى المكتب الرازح تحت الأوراق والكتب، وبحثت في غابة بين

فراغ... الماضي والمستقبل لن يتوضحا تماماً قبل أن يستعيد جون عافيته بكمالها، وفي خلال ذلك ستظل نزيلة مجنّ صنعته بنفسها. وإذا كانت تشعر بأن الجزء الأكبر من قلقها الغريب يتأصل من مصدر آخر، فإنها ترفض الإقرار بهذا الشعور، فميريك فيندلي ليس له أي مكان في خططها المستقبلية على الأطلاق!

في أحدى الأمسيات، قررت بعد العشاء التزول إلى الكوخ. السيدة ليتوكس كانت ستام عندهم فوجدت في ذلك فرصة مثالية. كانت تقضي وقتها مؤخراً في مساعدة أبيها على كتابة أبحاثه، وفي اليومين الأخيرين، أكباً على كتابة الفصل المتعلق بثورة العقوبيين (حزب سياسي بريطاني). كان جون قد عالج معركة كالولدرين (موقع اسكتلندي) بثلاثة أساليب مختلفة على أقل تقدير، وانقلب الأن إلى جيش هانوفر في إبان الاحتلال (هانوفر كان محلّ حاكماً في بريطانيا). شكر سو على مساعدتها القيمة في جمع الملاحظات المطلوبة، وقال انه عندما يتحسن مسجد فيها كل ما يحتاجه لإنزال أطروحته. مسودته الأولى كانت ماتزال في الكوخ، فطلب إلى سو أن تأتيه بها، أضافة إلى مجلدين يحويان معلومات إضافية يود الاستعانة بها. كان المساء ذاته فلم تخرج إلى معطفها، وأخذت معها سلة لتضع فيها الكتب، ثم خرجت في هذه من الباب الجانبي.

كان من السهل الوصول إلى الكوخ وذلك باتياع درب عشبي يمر عبر الأشجار. أسرعت الخطى لأن الغروب كان بدأ يخيم برغم الشمس الغاربة التي كانت تعزز جمال التل والوادي، والتي جعلتها تخفف سيرها بالرغم منها. أعجبتها رائحة الأحراج الخريفية، عبر العشب المتيس، النضوج المنعكس في أحراج الأحاجص وأرجوانية التوت وذهب البندق. فتحت القفل بسرعة ودخلت الكوخ المعمم وهي تؤدب نفسها على تلوكها لكنها شعرت بالارتياح حين وجدت أن الكهرباء لم تقطع في خلال غياب جون. كبرت زر الرعدة فتمر النور المكان لكنها عادت وأطفأتها، فضوء الغروب يكفيها، وهي وعدت نفسها بجولة هادئة، وخشيته، إذا أضاءت النور أن يراه أحد فيأتي ليتحرى السب.

جالت في البيت حذرة ووجدت كل شيء كما وصفه ميريك فيندلي في الليلة الأولى. أصبحت بشيء من خيبة الأمل فعادت إلى غرفة الجلوس

«تصورت ان السيدة لينوكس جامنتي ببأ سبي». أعتقد ان ذلك كان غباء مني».

«كان غباء كبيراً».

لم ينطahر بأنه أساء فهم كلامها، وفجأة بدت عيناه أكثر عطفاً وهو يتابع:

«في الواقع، لم أجده هنا عرضأً. جون أعلمك بمكانتك فقررت المجيء والعودة معي إلى البيت. فعمّا قليل عمل الظلام وقد تضييعن في العتمة، بالاصابة إلى شيء أردت استفسارك عنه».

كانت تعبره نصف سمعها وهي تحدق إلى النار وتفكّر في المشاعر المتضاربة والمضطربة في داخلها. بالكاد احست به حين استدار وجلس في المقعد المقابل، ما الذي يريد الاستفسار عنه؟ لا شيء منها بالتأكيد. وفي لحظة ذعر عصبي، قالت فجأة:

«أني أساعد والدي في أبحاثه، حيث هنا لغرض يتعلق بها، لأجلب له كتاباً. لعله أخبرك ذلك».

«ألا يشعرك هذا العمل بالملل؟».
«ولماذا يضجرني؟».

استوت جالة فسقط شعرها كةوس أشقر على خدتها المتوردة. وأضافت فائلة:

«اعترف باني لم أكن واثقة في البداية من ميل اليه لكنه سرعان ما جذبني أكثر مع مرور الأيام».

«هل تستمتعين بتاريخ اسكنلند؟ يحد ذاته أم بالطريقة التي يحارب بها جون كل معركة وكأنه كان هناك شخصياً؟».

عاد البريق إلى عينيه وكأنه يعيرها، فرددت بخفة:
«ستراتيجيته تبدو جيدة، فما انه حارب آنذاك لكان الامير تشارلز انتصر وما تمت كرمه. أما بخصوص اهتمامي، فاسكنلند وطنى، مع انى اكتشفت هذا مؤخراً».

«أنا ايضاً لم بعض وقت طويل على وجودي هنا، لكنني عدت إلى موطنى».

«عدت؟ تقصد انى كنت هنا قبلًا في اجازة؟».

الأكمام حتى وجدت ورقاً وقلماً، فحملتها إلى حيث الطاولة وجلست إليها تفكّر في ما يجب ان تقول. التقطت القلم بتردد فأوزع إليها ضميرها بأن تباشر الكتابة بلا تردد، لكنها في الأسبوعين الأخيرين قلماً فكرت في تيم أو تذكرته، ولذا لم تعرف كيف تبدأ. وفي الأخير كتبت.

«عزيززي تيم، قد يدهشك ان تعلم بأن والدي صاحب أملاك واسعة...».

كلا! لم يعجبها ما كتبت، فتركت وراجحت تقضم طرف القلم. عبارتها بدت مفارقة. قطّبت ومدت يدها لتزرع الصفحة حين جعلها صوت خارج الباب تدقز داخل جلدتها، هناك شخص ما. أتراكها السيدة لينوكس جاءت تستدعياها؟ هل حصل شيء؟ هبّت واقفة وأركضها الذعر إلى الباب لتجده يفتح في وجهها وترى ميريك فيندلي يقف على العتبة.

اطلقت شهقة نصفها ارتياح، وقالت:
«سمعت شيئاً فظننته شبحاً».

«لو كان شيئاً لما جعلك تشجين إلى هذا الحد».

قال في جفاف وهو يطيق الباب خلفه، ثم أمسك بذراعها وقادها إلى أقرب مقعد. بعد ذلك انحني على المدفأة وأشعّلها قائلًا:
«الغرف المهجورة يعشش فيها البرد. قليل من الدفء وتشعررين حالاً بالتحسن».

وخطر لسوان تقول بأنها تفضل الاستدفأء بقلقه عليها لأنّه أكثر حرارة من النار، لكنها طردت الفكرة وقالت تعرّض بضعف:

«لا أشكّر من شيء. كل ما في الأمر أنّ لم أتوقع رؤيتك».

فرمتها بطرف عينه وأجاب:
«انك لا تتوقعين رؤيتي أبداً،ليس كذلك يا سو؟ قد يرضي غروري كثيراً، اذا اعتقدت للحظة، بأنّ كنت السبب في تصرفاتك المحمومة هذه!».

رفقت أهدابها وهي تحاول الصمود أمام تحديقه الساخر، فيما زحف الأحرار كوردة بورقة إلى وجهها. انكمشت قليلاً وأستدلت رأسها إلى ظهر المقعد وقد شعرت بالعجز عن محاربة رجولته القاسية. حاولت التركيز على عبارته الأخيرة، ثم قالت:

«ها نحن نعود الى الاستعطاف ذاتها. تريدين العودة الى لندن». كان يقرر واقعاً في ضوء استجاج توصل اليه بمفرده. انتابها الغضب وانعكس في عينيها وهمَا تلقيان عينيهما القائمتين وتقول: «انك تعمد اساءة فهمي وستمتع بالحكم على بدون ان تعرف شيئاً من الحقائق! من البدعي اي كنت اسكن في مكان ما قبل عبيبي هنا. كنت وأمي نعيش في شقة رخيصة الاجار نسبياً، وهو مدفوع مقدماً لفتره أخرى من الوقت. لكن ليس هذا المهم. لقد تركتها مؤقتاً لأوصل رسالة معينة، وكانت أزمع العودة اليها والبحث عن وظيفة تعليمية في لندن». «هذه أيضاً ليست مشكلة. تقدرين بسهولة ان تجدي عملاً كهذا في الجوار».

«هذا ليس بيت الفصيدة».

هفت ثانية وهي تود لو تسف شعرها. لكنه ضحك بحرارة ثم قال: «حاولي ان تشرحي لي بالضبط لماذا تريدين فسخ عقد ايجارها ولا تحرّزين على التخل عنها في الوقت نفسه».

«أوه... لا تكن سخيفاً».

«أم أقل شيئاً سخيفاً، لكن اذا استمررت ترفضين الايضاح الكامل، فأرجوكي سترسل ايضاً في اذارة غضبك».

«كنت أمهد للتوضيح!».

عقت وجاتها، وأسقطت بصرها لتشخص الى النار عدواً. سقط شعرها على خدتها فازاحته في صبر نافذ. هل يتوقع منها ان تجمع كل خاوفها وتطرحها عند قدميه؟ لقد سالته فقط عن الشقة ولم تطلب منه استجواباً قاسياً!

اربكها أكثر حين انحني صورها وفاض فجأة على رسمها وقال: «لا أريدك ان ترهقي تحابيلك المبدع يا آنسة فريزر. خذلي كل الوقت الذي تريدين. ولبيها تصلين الى نتيجة، سأتسل بتحضير القهوة لكلينا». هز كفيه العريضتين وأطلق يدها ثم وقف يقول: «قد تصل الى بعض التفاهم قبل متصف الليل وهذا يتوقف عليك. أما أنا، فلست مستعجلًا على شيء».

«ليس تماماً. لا اعتذر ان جون وجد الوقت ليخبرك. رحلت مع أبي حين كنت في السادسة. كان أبي مقاماً الى حد ما، وليس عسكرياً كوالدك».

«كان مقاماً؟». «القمارمة متعددة الأنواع يا سو. أبي قامر بكل ما لديه، وانتفع مادياً، لكنه خسر حياته».

«ماذا كان يعمل؟».

«في استخراج الذهب».

«ولم يزد حرقاً».

«آه... فهمت».

«لا، لم تفهمي. لكن لنقول الموضوع. يكفي القول اي رجعت». فاصرت سو على الاسترسال وقالت: «أغلبظن انك عشت طويلاً في جنوب افريقيا. أما حزنت لفراقها؟».

«لو اي حزنت لما تركتها. كنت المسؤول الوحيد عن نفسي. ربما شعرت بوطن يشدني اليه. لكن ماذا عنك أنت؟». مد ساقيه بكل في اتجاه النار، وقال ليلهبها عن الاهتمام بشؤونه الخاصة:

«لقد عشت في لندن طوال حياتك، اثنا فهمت من كلامك انك لا تعتقدينها كثيراً».

«ليس كثيراً».

توقفت محنتارة. هذه فرصة لتأخذ رأيه في مشكلة شفتها، ولا مفر لها في النهاية الا ان تأسأ أحداً. وميريك فيتندي، ب رغم تعليقاته المهيأة على رحيلها، كان آنس الجميع، فهو عايش أيامها لسنوات طويلة، وبالتالي يعرف جون أكثر مما تعرفه. عزمت على سؤاله فقالت بسرعة قبل ان تغير رأيها:

«الأمر يتعلق بشقيقي، فانا لا اعرف ماذا أفعل بها. اذا تركتها فقد لا أجده شقة أخرى في اعتدال ايجارها وأخشى الا أجده أخرى مناسبة على الاطلاق».

الفكرة الى رأسك؟».

«الا تعتبرين نفسك مسؤولة عن اي شيء؟».

هل يلمع الى غيابه المذكر ام الى الجزء الاخير من عبارتها؟ رفعت الوقوع في الشرك واعتبرت تعليقه تابها، فقالت تتابع كلامها السابق: «انا شخصياً احب السكن هنا، لكنه يرفض بحث الموضوع كلباً». «اخبرتك سايقاً انه يحتاج الى وقت». «لبيثنا يتعاقب؟».

«اقصد انه يعجز في الوقت الحاضر عن الارتباط بالماضي اذا انتقل الى الكوخ، فيما اذا بقي معي، في البيت الكبير، فلن يشعر باضطرار للارتباط بأي شيء».

«عندما يكون مرتاحاً، يصطبغي الى غرفة الجلوس ليتأمل لوحة جدتي، وكأنه اذا قارن بيتنا يقعن نفسه باني ابنته فعلاً». فتح خزانة وتتناول منها فنجانين وضعاهم على الطاولة: «انقصدين القول بأنه لا يشعر بآبوته الحقيقة تجاهك؟». «اجل، اذا اردت ان تضعه في هذا المقال اعلم انه لا يعيشه لكنه يودني ويشعر نحوه بنوع من القرى العاطفية، ولا شيء غير ذلك». «وانت تتوقعين مثاعر اقوى وروابط امنّ؟».

«انا لا اتوقع شيئاً، كانت لي اعمال معينة في السابق، والآن لا استطيع تفسير مشاعري».

قطب حاجيه فتحضن جيبيه يشكل جذاب اقل سو، فيما رف جانب فمه باسلام، غابت الحركة عن ضيق صدره الواسع. قال: «اسمعي يا سو، قد يكون من الافضل لك ان تنظرني الى الموضوع من هذه الزاوية، افترضي نفسك يتيمة او ابنة بالحضانة - سبق ونصحتك بهذا واكتفي بأن نظرني علاقتكما بالتدريب. اذا كان بينكما ود مشترك فهو أساس جيد تبيان عليه العلاقة. ولكن تخلصي بحق النساء من كل ما لديك من عقد نفس ومشاعر ذنب».

«المشكلة ان لم اعد طفلة، كما ان الاطفال، بصورة عامة، يتقبلون الاوضاع على علاتها، ولا يمكنني ان افعل هذه».

«فهمت، تريدين الاطلاع على اشياء معينة. هيا، اطرحني اسئلتك،

٥ - تعالى معي

نهضت سو وتعمعت الى المطبخ، ورسغها ما يزال منتملاً من ضغط اصابعه، وسرعان ما امتد الخدر الى ذراعها. كل غزيرة فيها اهابت بها الا تشاركه شرب القهوة في هذا الكوخ العتيق، حيث يتولد بهوله جو من الحميمية تود ان تتجبه. كانت تدرك احتمال الخطأ من جراء احساسها القوي بوجود ميريك فيتللي، لكنها استبعدت جداً ان يكون لديه اي اهتمام شخصي فيها.

فاتها ان ترى المطبخ خلال جولتها الاستطلاعية، ووجدهه الان صغير الحجم، كالذى في شقتها، بالكاد يتسع لشخصين يتحركان فيه براحة. حدقت حورها تظاهر بالترىج، وهي لا تشعر الا بالرجل الواقف قرها، وفي عمق عينيه وميض هازى، يتحداها ان تراجع. بقيت مكانها، يل لم تخرّ على الاعتزاز عن القهوة كي تعطي ميرراً لبقاليها. ولشدة ارتياكلها، راحت تبرر وجودها بطريقة اخرى فتقول:

«استشرت اي في مسألة رجوعنا للسكن هنا فلم يظهر رغبة في ذلك. لا اقدر ان افهمه كما يجب».

فأدبر ميريك بصره الى الابريق الذي ملاه لتوه، وأشعل الغاز ثم رکز الابريق على اللهب العاري، وقال بطفق:

«هل يعني هذا انك لا تريدين العيش معن تحت سقف واحد؟».

تطلعت اليه مستغرقة تفسيره وغير وائقه من موافقته عليه. لكنها رفعت ان تزوجه ميريك واحد لشك. ورددت بمحماة باللغة:

«انك مخطئ تماماً، فتحن بالكاد نراك ولا ادرى ما الذي ادخل هذه

اما لا تمنعني اذا عجزت عن اجاية بعضها.
«اووه!».

هتفت سو وعيها يزداد اشتعالاً وقد تأكدت من نواياه تماماً. ثم
اشاحت عنه وقالت:

«اعتقد انا نتحدث عن شيئين مختلفين كل الاختلاف».

«لكن كليهما ملتصق بالآخر يا صغيرتي الجبانة».

منذ دقيقة وصفتها بالجمال فارتجفت، والآن يسميها جبانة! تراجعت
قليلًا وركبت عليه بصرًا مليئاً بالاسيء وقالت:

«انا لا اشاطرك هذا الرأي. ولو ان مشكلاتي تحضر في وحدي لما
تطرق مطلقاً الى الموضوع. لا ابغى الاصامة الى احده».

عاد يتفحص وجهها وضاق بها المطبخ فجأة. احت حرارة تعبر
جسمها، فارتعدت يدها لا شعورياً الى ياقه قميصها نفك الزر الاعلى
فيلتمع اسلق عرقها ناعمًا يضأ. كان لديها شعور غريب بانها تختنق. ما كان
يجب ان تتوقع منه نصيحة منطقة، ولا توجد معاونة حقيقة في ذيتك

الحجاجين المقوسين بوقاحة، ولا في تبتك العينين الساخرين!

وقف يسد مدخل الباب وكأنه حزر رغبتها في الهرب وقال بصوت
متكملاً:

«لا اعتقد انك تشبهين املك في اي شيء». فهي برغم سيراثها، كانت
ولا رب امرأة واحدة لا تخشى التخاذ القرارات وهذا غير موجود فيك، اذ
تعلمين من الغير دائمًا ان يقرروا شؤونك بالنيابة عنك. حسناً، لبدأ
بالشقة التي يمكنك اخلاؤها فوراً، واذا اردت ايجاد اخرى سأجدها لك.
ثانياً، لا تفكري في ايجاد اي عمل في الوقت الحاضر، ولا في الانتقال من
البيت الكبير للسكن هنا. هذا النوع من القرارات لا يستعصي على
ذكائي، لكن لا تطمعي كثيراً بكرمي لانه محدود، فضلاً عن وجود اشياء
لاحقة يجب ان تقررها بنفسك».

«ومثلاً؟».

خرج السؤال كشهقة غافية من غرفة المتأهي بدل ان تشعر نحوه
بالامتنان.

أخذت تبتعد عنه، فقبض على خصرها وقهقه عالياً ثم قال:

«شكراً، لم اكتب قائمة بالاستلة لدى فقط واحد يحبني. اريد ان
اعرف اي حل حقيته - في العمق، لسهول على امور كثيرة ربما».

ترددت، وهي تعني غطرسة وجهه الصخرية اكثر من اي وقت آخر. ما
صعب الكلام وتلك النظرة المفرزة تسلط عليها! تشرت وهي تحاول
صياغة افكارها المكتومة في كلمات:

«امي... لم تؤمن ابداً بضرورة اظهار عواطفها. لا اذكر انا
احضرتني مرة او احاطتني بعطف. لم تكن تعطف على مطلق انسان. احياناً
كنت اسرح في تحليلي، فاعتقد انا متجمدة جزئياً وعاجزة عن الدفء
والافتتاح، وعن كل الاشياء الطبيعية العاديّة التي يجب ان تتوفّر في
الامهات. لكن يبدو ان عاجزة عن التفاهم العاطفي مع والدي ايضاً.
«وانت ترفضين هذا الوضع، فلا تتوافقين عن الغوص والخلف
والتشريع، وتسائلين الان عما اذا كنت ورثت رجماً، خصائص مضادة عن
كلّيهما؟ عليك اذن ان تقني رأسك الجميل بان التجارب القاسية كالتي
عانتها والدالك، من شأنها دائمًا ان تترك جروحاً بدون ان تؤثر بالضرورة
على اولادها. فما الذي يجعلك على الاعتقاد بذلك باردة وعاجزة عن كل
التجاوزات الطبيعية؟».

«انك تجنّي على بدل ان تساعدني، كنت اشير فحسب الى احتمال
معين».

«وانا كنت اشير فقط الى انك تدينين قادرتين على التوافق معني وبالتالي انت
انسان طبيعية. لكن اذا اصررت على متابعة الاستقصاء، فهناك استلة
يجب ان تظرّجها على نفسك... مثلاً، كيف تتجاوزين عندما يعانقك
رجل ما؟ هذا سؤال قد استطاع ايجادتك عليه».

طفت السخرية على صوته واهبت صراحته وجنتها.

«لا افهم ما ترمي اليه؟».

غمغمت وهي مدركة تماماً لقصد، اما عاجزة عن الاعتراف له بانها ما
احست يوماً اية اثارة في موقف كهذا. اترى البرودة هي السبب؟

تأملها بحثث، وقال:

عياها الشاحب:
«لقد نجحت في اثارة فضولي وغضبي معاً، وهذا العمرى مزيع خطر،
اليس كذلك؟».

خجل اليها اتها شعرت بذراعيه قبل ان تعلقها، فحاولت يائة ان
تحافظ على تخلص جسمها، لكن التوقع شوش ذهنياً وشحد تجاوتها في
الوقت نفسه، فتركت قوتها وكانت مصممة على بعثرة بقايا مقاومتها حين
شدتها اليه وعيناه تعلقانها فيها اغمضت هي عينيها هرباً من قسوته.
ومع ان الغريرة اهابت بها الا تقاومه، فقد رفض جسمها البقاء جامداً
بين ذراعيه، وارتفعت يداها تجاهلان دفعه عنها، فلم تصل الى ابعد من
صدره حيث يدد ملمس عضله القوية كل صمود وتعقل. احست شيئاً
يغجر فيها كذا الزجاج المنططم ويحملها لف ذراعيها حول عنقه، فتلمسان
المفرق بين الشعر والجلد في اسفل رأسه.

اخيراً ابتعد عنها قليلاً ليتأمل وجهها العاين وهو يزيح الخصلات
المتأذية على جسدها، فاحتست سو ما تملكه يده من خبرة في منعطفات
الحب، واحستها في ذلك الخط الرفيع الفاصل بين الشبان الاغرار الذين
عرفتهم وبين هذا الرجل الذي يعرف ماذا يفعل. كان قلبها يخفق بتزامن
مع نبضات عروقها، حين رفعت اهادياها الكثيفة وحدقت اليه مذهولة.
لقد اثارت ذراعاه نوعاً من السحر المجنون، كما الطيران على ظهر شهر
لامع، وفجأة ودت لو يستمر. فقالت هامسة:
«ارجوك...».

لكنه تراجع قليلاً وقال:

«عماذا تطالعين يا آنسة فريزر بتكرار الفعل ام باطلاق سراحك؟».
صوته دل على تهمك خفي وعيناه العميقتان تقولان عكس ذلك. وبرغم
ذلك اجهلها سؤاله، وجعلها تعود الى رشدتها وتكتم الاعتراف بانها لا
ترغب الا في البقاء بين يديه. لكنها قالت وهي تحاول التخلص منه:
«كنت اطالبك باطلاق سراحى ! على كل، اذا كان عتاقى قد امتنعك،
فاعتبر ذلك ثمناً للوقت الذي صرفته في الاستماع الى حديثي السخيف».
«مهلاً يا آنسة البلاهة والجليدا ان اللواثي يستمتعن بعنقى قلياً
بسطعن، بعد العناق، ان يلقين محاضرة طوبية كهذه. يبدو ان يدأت افند

«مثلاً، عندما تلتقين الرجل المناسب يا عزيزتي، سو، وحيث انك لم
تتأكدي انه كذلك، فلا اريدك ان تهربين الى تطمين النصيحة».
غامت عيناه الرماديتان بغضب عاجز وهي تحاول الافلات من اصابعه
القاسية والرد عليه بضحكة مماثلة، فاختفت وقالت تثريث:
«لا احسبني سازعجك عندما يحصل هذا، فانا قادرة تماماً على اختيار
اصدقائي».
«اشك في هذا، فضلاً عن ان اختيار الصديق مختلف عن اختيار
الحبيب».

كان صوته وقحاً كتبه على حصرها. توقفت عن المقاومة اذ شعرت
بضعفها امام قوته الخارقة، الى جانب شعورها بأنه كان متلذذاً
بحرقتها، ربما لانه ينوي معاقبتها قليلاً على مضايقته بمشكلاتها، ولديه ما
يكفيه من مشكلاته الخاصة.

انكب صوته في اذها خافتًا متهدكاً وهي لا تستطيع حراياً:
«اذا احتجت الفرصة لتجاويباتك العاطفية ستجدينها سليمة على ما اظن.
لا يمكنك ان تخفيها في ثلاثة الى الابد».
استدارت كى العاصفة، تحاول الدفاع عن هشاشتها، وعيناه تشتعلان
بالعداء. هتفت بانفعال طالش:
«ليس من شأنك ان تحمل تركيبتي العاطفية. انت لست وصبا علياً.
وانا احتجت تصرفك في اي شيء، لكن بشمن معين».
«قد تكون مديرأ لوالدك اما لا تتوقع ان تديرني انا».
«اهذا رأيك اذن؟».

شمخ بهدب واضح وهو يحدق الى بشرتها الناعمة ولغان شعرها الاشقر
الكث، واضاف:
«اذا كنت اخطأت احياناً في فهم الناس فانا اكيد بالي لم اخطئ
فهمك. يبدو ان الكلام لا يكفي لاقناعك وهنالك طرق اخرى قد تمحنك
اكثر».
نقل يديه الى كفيها يتمهل وكأنه يعي حبس النفس في حلتها. كان
يسجنها بين الحائط وبينه، فاعتبرها ارجاعاً ارخي مفاصلها. غلت الماء في
الابريق فأطضاً الغاز باحدى يديه وهو ما يزال يحبسها قال وعيناه تفترشان

مهارلي!

«انت وحش!».

لم يسعفها ذهنياً بأكثر من هاتين الكلمتين، فجاء انتقامها ضعيفاً عديم الثناء، إذ استمر ميريك بتأمل عيالها الغاضب وشفتيها المرغفتين باقصى درجات الارتياب، ثم قال:

«لا داعي لأن تشكّي في تجاويماتك الماطفية من اليوم فصاعداً، وقد يأن يوم تعرفي فيه بفضل بالرغم من تعليقاتك المهينة».

«انت تثير الكراهية!».

تملّكتها الحزن والشعور بالذلة، فهو تسل يسأجتها وارضى غروره بتجاوزها. حاولت جاهدة الاقلات منه وألتها نفخات عرق في أسفل عنقها كان ميريك يراقبه باستراق وكأنه في زمن ومكان اخرين. ثم افلتها بفتحة فكادت تسقط ارضًا. استدار بسرعة الى الابريق الساخن، وشرع يسكب الماء في الفنجانين.

وضعها على صينية مع وعاء سكر وقال لها:

«اقتني الباب عنني يا شاطرة، وهي نشرب القهوة في هذه».

حدّجها بنظره ثاقبة فأحست دموعاً مقاجحة تلسع جفتيها. فتحت الباب كما طلب، وسبّته الى غرفة الجلوس قبل ان يلحظ دموعها.

عادت الى مقعدها قبلة الموقف، ولم تُنْجِ وجوده الا حين اجفلها هناف مكتوم جعلها تستدير في مقعدها مستطولة. اتابها الفزع حين وجدته يركز عينيه على الرسالة التي كانت تكتبها الى تيم. تذكرت كلماتها واحدة واحدة فقلقت وقت لو أنها خيّبتها بشكل ما. الآن فات الأوان! قرأت في وجهه الشك والازدراء حين تناول الصفحة.

«ومن يكون تيم؟».

سأل وهو ينظر بطرف عينيه الى وجهها المضطرب الصامت.

فتمت لوعبر او تشق الأرض وتتلعها. كان يقف كقاض جبار، يشتت ذهنها وهي في اشد الحاجة اليه، وفي الاخير، غمضت قائلة:

« مجرد صديق».

فرد في حفاف متنه وهو يتفحصها كـ النسر:

« مجرد صديق... لماذا تكتفين بهذه الطريقة، وكأنك ربحت جائزة

مالية كبيرة!».

فاجابت متلعثمة:

«لا ادري... كيف توصلت... الى هذا الاستنتاج».

فهمت سو قصده تماماً لكنها خشيت الاعتراف له بذلك وهو على تلك الحالة من الغضب. لم تكن تقصد كتابة تلك العبارة، وكانت على وشك تزييق الصفحة. فانطلق صوته قائلاً:

« يؤسفني ان لا اصدق كلامك، ليس بعد ان لست تجاويمك بين ذراعي، فالتي تجاوب هكذا، لا تحلو حياتها من الصداقات الحية!».

«ليس الأمر كما تظن».

«انا لست مغفل ولا غبياً. ما هي خطوطك التالية؟ اهي استدعاء عزيزك تيم ليعلن ارض الميعاد؟ ليعرف الى اينك العظيم؟».

«كيف تحرّر على هذا القول! انك مخطئ تماماً في افتراضاتك الرهيبة! كل ما في الأمر ان تيم كان صديقاً رؤوفاً بعد وقوع الحادثة».

«من السهل على مطلق رجل ان يكون رؤوفاً وهو بين ذراعيك ياسو».

«انت لا تتحمل، وتتعذر صلاحياتك!».

باسها الشديد جعلها تقذف هذه الكلمات بجرأة، وتفضيف مرتفعة الرأس ثانية:

«لم يطب لي عناقك كما تعتقد، وقوتك الوحشية هي التي اضطررتني للامتناع».

سمعته يضحك في غموض. فشعرت للمرة الثانية يابها اثارته للحظة عابرة. قال:

«افضل الا اتهمك ببعض الكذب ياسو، وفي مرة مقبلة، سأعمل على امتعاك».

«واني اكرهك احياناً».

«لا تهدر عواطفك بهذا الشكل».

قال هذا وهو ينظر بتوجههم الى وجهها الملتهب، لكنه اضاف بصوت متزن و كانه آت من مكان سحيق:

«ليتك تتظرين لتأكدكي من مساحة الاملاك قبل ان تفرغي جعبتك. كنت اتمنى دعوتك للقيام غداً بجولة على الاراضي، اذا شئت».

النطر يعلد زجاج النافلة. كانت الريح تساده، فترنح اعصان غابة الصنوبر
العتيقة القائمة على حافة الحديقة. كانت تغمر كل ما أمامها وتبعثر باكورة
الأوراق المساقطة على مروج الحديقة وتطرحها قطعاً رائعة من الذهب.
«اتقصد الطقم؟».

سالت سو وهي تثير بصرها من النافذة وتأمل بتكاسل اهطب المشتعل
في المقد. كان جون في صحة جيدة هذا اليوم برغم العاصفة في الخارج،
وقد قضيا معظمهم منشغلين في الكتاب وحيث أكملوا مسودة فصل كامل عن
تاريخ ثكنات روثن التي شهدت المرحلة الأخيرة للثورة اليعقوبية، وحيث
تجمعت متعردون من اتباع الملك تشارلز ادوارد، بعد معركة كاللودون، ليتلقوا
بعد ذلك الأوامر المؤلمة بالانقضاض. كانت طباعة سو على الآلة الكاتبة
تحسن يوماً، كذلك استيعابها لتفاصيل تلك الثورة، مما سر والدها
وجعله يعترف بأنه شرك مرأة في قدرته على انجاز فصل واحد من الكتاب.
الآن، وبعد ما ارتأحت، احست سو بالانتعاش فقررت الخروج للتزه،
واكبدت جلوس اتها لن تذهب بعيداً حين رأته ينظر بقلق الى انسكاب المطر.
داعبت اذني الكلب بروس وقالت:
«بروس اصيح كسوأ مثل ولذا سآخله مع».

لاحظ جون شحرب وجهها فأوهما موافقاً وقال:
اقصد الكلب، سوى الجلوس في سيارة اللاتردوفر، واشك انه فعل».
سامطحب كلب ميريك ايضاً، فهو على الارجح لم يفعل اليوم شيئاً،
ببروس نجح سريعاً في وقفه في المكان.

«حسناً، اذهب الآن، فالطقس يصحر أحياناً في هذا الوقت. متجلدين ركس في غرفة المكتب مع ميريك الذي يراجع بعض الحسابات». قفزت سو على قدميها، وحاولت إخفاء لفتها وهي تخرج مهرولة لكنها لم تستطع كبح خطواتها الراقصة. لم تر ميريك إلا ملماً منذ لقائهما في الكوخ، وبالرغم مما جرى يتيماً لم توقف عن التفكير فيه. من المستغرب أن يعيشَا في بيت واحد ولا تراه إلا نادراً. كان يتعشى عادة خارج البيت ويترزود بساندويتش للغذاء، أما الافتطار فكان يتناوله باكراً جداً وقبل أن تنهض هي من النوم. ولذا، وجدت نفسها أحياناً، ترقق إلى حلول الشتاء وسهراته الدافئة المكتونة حيث سيضطر ميريك لالتزام البيت. وفقت عند الباب تنادي بروس، وتقول سلون باسمة:

وهل لدى خيار آخر؟». يكفيك الرفض اذا استطعت اعطاء عنده مناسب لجون الذي يصر على وجوب هذه الجولة. انا لا احب ان ارغم احداً على رفقتي، لكن البراري كثيرة وغير آمنة لتجوالك فيها بمفردك، اضافة الى انك لا تعرفين حدود الاراضي».

لقد اهملت هذا الأمر طويلاً. تيم ماسون، كان يعرف على الأقل كيف
يعاملني - كيدهة.
والفضل، لأننا نك.

ثم نظر الى الرسالة واضاف بصوت ساخر:
 «لكن تيم استفاد عل ما ييلدو من صداقتكما البريئة. اغا اخربين، الا
 تتعين ابداً من معاملته لك، كيدة؟».
 «ربما كنت تعتمد اسلوبياً اخر في جنوب افريقيا قد لا يعجب كل
 الفئات».

كان صدرها مفعماً بالخيبة والمرارة، فتاقت إلى ذكر كارلوس بالإضافة إلى شكرها الخفية، لكنها لم تخرق . تبخر غضبها فجأة، فأشاحت عنه متيبة خائفة، ثم اضافت ياخصار وبيكل ما ثملك من كرامة: «اعتقد انه من الأفضل، لنا ان نترجم الى البيت».

فهز كضي العريضتين وخلت عيناه من السخرية ومن الغضب. طوى
الرسالة بعنابة وناوحاها ايابها، ثم اطلاع المدفعاة وقال وهو يستعملها في
الخروج:

«اذا خطر لك ان تبعثي رسالة ثانية الى لندن، فاكتسي الى عاصمتك بدلاً من نيم واطلي اليه ان يدرس موضوع الشقة».

تأجلت الجولة المرتقبة في غلينروتون بسبب الطقس. فخلال الأيام القليلة التي تلت لقاءها العاصف بميرييت، هطلت الامطار في تواصل ولف الصباب العلالي. بدا الشتاء مستعجلًا في الخلوى والخريف في بدايته، لكن جون طمأنها بأن أيام الصحو آتية ولا ريب، فما بين تشرين وتشرين صيف ثان، تبعاً للممثل.

«كل هذا هو جزء من طبيعة اسكتلندا». علق فاللا وهو يجلسان في احدى الامميات في غرفة الجلوس، يرافقان

هنا.

وللمرة الثانية، التمعت الشمامة في عيني كارلوت، وبدا ان سبب انتظارها كان ذا شقين اذ فاجأت سوبقوطاً: «انا وميريك صديقان قدیمان ولطلاً تعيشنا معًا. لا اعرف مركزه بالضبط بالنسبة الى جون والي غلينزرودن، لكن بما انني سارت كل شيء في يوم ما، فلن انقضه الان في سير الأمور».

حدقت اليها سو في جود، وقد احست بالبدلة ان تصريح كارلوت كان نوعاً من التحدي، اذ شعرت ان الوقت حان لتعلم سو على مكانتها الحقيقة بالنسبة الى الارث، ولتحذرها في الوقت نفسه من مغبة الوقوف في طريقها. لكنها كانت تحاول ايضاً ان تستكشف مدى اطلاع سو على اوضاع الاملاك الحقيقة.

هذه الفتاة لا تتوان عن اي شيء لتحصل على المعلومات التي تريده، ولا يهمها اي اسلوب ملتو تلجم اليه لتحقق مأربها. اجابتها سو في برود: «الذى اعلمه يا كارلوت، ان ميريك فيندلي هو مدير الاعمال فحسب، وليس في الأمر اي لغز. لذلك اذا كنت تعنين الى زوج ثري، فتصبحي ان تبحثي عنه في مكان اخر».

ساد صمت ثقيل حين تراجعت سو خطوة الى الوراء، ووقفت تنتظر بجمود وتهذيب رحيل كارلوت. جمر عرك السيارة، وحين اغلقت كارلوت الباب وانزلت زجاج النافذة، كانت لديها عبارة اخيرة قالتها بشقة كاملة لولا التردد البسيط في خديها:

«الليك بهمة صغيرة يا آنسة فريزر، انا ما احيي ابداً من يقف في طريفي، تذكرى هذا جيداً والا كنت الخاسرة!».

الرسالة التي انتظرت سو عبيتها من لندن ووصلت صباح اليوم التالي وبأسرع مما توقعت. قرأت مضمونها بسرعة، وكانت عل وشك الانتهاء من فطورها حين اطل ميريك ودخل المطبخ.

شملت نظرته الرسالة ووجهها المفكر فقال: «ارجو ان تكون الاخبار جيدة؟».

رفعت وجهها اليه وقد استغربت عبيته في هذا الوقت. لاحظت خطوط ارهاق حول فمه وتعجبت خفيناً في عينيه. لا شك انه سهر طويلاً ليلة امس!

شعرورها في معظم الاحيان بانها غريبة وفاقدة تماماً للدفة والراحة اللذين تزودهما علاقة اعمق. ليس امامها الا حل عاقل واحد هو الرحيل، وقبل ان تنهوس كلها بغلنزيرودن وسكنها. لكن هذا الخل، اقرت بقناعة كاملة، كان ايضاً طريقاً اخلاقياً!

لدى عودتها، استغرقت ان تمهد كارلوت جالسة في السيارة تنتظر قدومها. لقد تأخرت في الرجوع، وهدرت الوقت في محاولة فاشلة للتخلص من اضطرابها. كان المطر قد انتقطع تقريباً، كما تكهن جون، فسارت متهملة في الغابة المظللة الجافة. الشمس اطلت خفيفة من بين الغيوم الكثيفة، وليلت اشعتها رؤوس الجبال بلون وردي واخر اصفر، فأخذت شبكة برقة كما القيساء ظهرت من بين اغصان الصنوبر. كان في هذه الغابة جمال خاص احبته سو وكرهت ان تتركه. لقد حدثها جون مراراً عن الغابات وعن خازنها بحياة بريئة خاصة بها، لكن سو لم تر اثراً للطيور والحيوانات التي وصفها لها. رغم لم تعرف اين تبحث عنها، ولعل الجرأة تواترها، فطلبت الى ميريك ان يرها ايها، في يوم ما.

وصلت مبللة الثياب قلم ترحب بمرأى كارلوت الجالسة في السيارة، لكنها ابسمت لها في ادب وقالت:

«لقد سرقني الوقت ويجب ان اسارع في تهيئة العشاء». وقبل ان تلجم لسانها سمعت نفسها تتفصّل وتلعوض ربما عن تقصيرها السابق في الفيادة: «هل تيقن لتناول العشاء معنا؟ سيكون الطعام بسيطاً لكن اهلاً بك ومرحباً».

ابسمت كارلوت بدورها، وكالعادة، لم تصل الابتسامة عينيها، وقالت:

«لا داعي لازعاجك لأن ميريك دعاني الى تناول العشاء في بيرث. سيفعل بعد ساعة، لذا لست وحدك المتعجلة».

احست سو بوجهها يتصلب فجأة. فكارلوت ما انتظرتها الا لتزف اليها هذا الخبر! كان يجب ان تعلم ان الانتظار لم يكن مجرد بادرة محنة. هزت كتفها واجابت:

«لن اوخرك اذن عن موعدك. عل اي حال، ان ميريك قلماً يتعشى

«الرسالة من المحامي وليس فيها ما يزعج».

انتظر بحاجين متسلحين، فأضافت بعد تردد:

«انه لا يهدى اية صعوبة في تأجير الشقة مجدداً لأن هذا النوع من الشقق مطلوب بكثرة، لكنه يرتأي ان اعود الى لندن كي اشرف بنفسى على بيع بعض الاغراض الخاصة. كلها لن تساوى كثيراً، اقصد عمل صعيد الاشياء المستعملة، اذ لم نكن نملك اية ثغف. لكن هناك ملابسي وكتبي وأشياء اخرى مختلفة على ان افرزها بنفسى». «هذا طبيعى».

قبل شرحها الشوش ب أيامه مختصرة وسكب لنفسه فنجاناً من القهوة الجاهزة على النار وقال: «انا تلقيت ابضاً رسائل من لندن هذا الصباح، وفيها ما يضطربني للذهاب الى هناك. قد تكون فكرة جيدة ان تساورني معى، بعد يومين ان شئت».

الطاولة التي أفلتها من مطار تورنهاوس، بدت مليئة برجال الأعمال والساح الائرياء. جلأت سو بسرعة الى مقعدها، ليس بدافع التعب، بل لأنها لم تأت مع ميريك بمفردتها، اذ كانت معهما كارلوت. لقد مرّا عليهما في بيرث بالسيارة، وها هي تحملس أمامها مع ميريك وشعرها الأسود يلامس كتفه.

في الواقع، لم يكن ميريك المسؤول المباشر عن بغي «كارلوت»، وهذه الحقيقة شكلت ذرة التمزية الوحيدة التي استطاعت سو أن تخفيها من حصاد الوضع الفاشل... كارلوت جاءت أمس تزورهم، فتحدثت جون عفويًا عن رحلة سو المقررة، وذكر ان ميريك سيذهب ايضاً. وهنا، تصنعت كارلوت، الحاضرة البديهة دائمًا، اليهجة، وقالت انها فرصة مثالية لتزور أنها القاطنة في كرت ولستمع برأفتها.

استغربت سو ان تعلم بوجود أم كارلوت على قيد الحياة، ثم تذكرت ان الفتاة أتت على ذكرها حين التقىها وميريك لأول مرة في ادنبره، حيث كانت ستذهب برفقة ميريك لزيارتها. لكن سو تساءلت لماذا لا تعيش مع أمها، ولما طرحت السؤال على حون، وكانت كارلوت خرجت تبحث عن ميريك، أجاها في اختصار:

«أمها تزوجت ثانية، ولكن كارلوت، لتب او لأخر، لم تترجم مع زوج أمها، فانفصلت عنها في السكن. هي وأمها تتزاوران بالطبع وعلاقتها تقف عند هذا الحد. ربما كان ذلك أفضل للطرفين لأن كارلوت تحب السيطرة».

لأوياً شفتيه بسخرية وما يشبه الابتسامة، وقال:
«اعتبرني ظنونك غيره اذا كان هذا يزعجك يا سو، وهناك اخريات كان
يسعدهن جداً اعتقادهن باليأس أغار عليهم». .
«أنت تغافل؟».

رفعت حاجبيها لتُصبح عبارتها باحتقار شفاف، ففُت نظرته البراقة بما
يشبه التهديد.

ووجهاً، تحولت ابتسامته الجافة الى ضحك، وقال في مرح ساخر لم
يحاول اخفاءه:

«عندما افكري في ضربك، أجذب في الوقت نفسه، ارغم في شيء آخر
لندع الى حديثنا السابق كي تأمن السلامة».

وفيما كان قلبها يتخطى بين جنبيها، راح يتحدث في راحة حول الطيران
الى لندن في ظرف يومين، قائلاً ان الرحلة من ادنيره تستغرق ساعة فقط ولم
يقل شيئاً عن التكلفة! لم تكن لديها آية فكرة عن المبلغ الذي ستدفعه،
وعندما سأله ذلك لتجس بيضه، قال:

«لا يقلقتك موضوع التكاليف، فريع غلينزروdon سيتكلف بها. لقد
عملت بجد في الأسابيع الأخيرة، واعتبرني مصاريف الرحلة دفعه من
راتبك».

تعلمت يداها يغضب في حضتها. كم يجب ميريكل ان يسيطر بعنف
على مشاعر الآخرين! تعليقاته القليلة المبهمة، افهمتها بوضوح انه على
علم بوضعها المادي الشحيح. ودت وقتها ان ترفض عرضه بجرواب ثائر
ووقع، الا ان شيئاً مجهولاً كبحها، فانقضت اللحظة التي كان يمكن ان
تسجل رفضها، واكتفت باعراض آخر، خرج من شفتيها ضعيفاً:
«هل يصح ان ترك أي معاً وهو مريض الى هذا الحد؟».
«الى هذا الحد؟».

ثم أضاف:

«أجل، انه انسان مريض، لكنه قد يستمر هكذا لستوات طويلة.
حالته ليست خطيرة فصحته تحسن ما بين نوبة وأخرى، وأعتقد انا
نستطيع تركه ليومين في رعاية السيدة لينوكس، فهي سبق واعتلت به من
قبل، وهناك عمال كثيرون سيساعدونها اذا احتاجت الى آية مساعدة».

وقالت سول نفسها، وهي تربط حزام المقعد تلبية لتعليمات المضيف،
من الواضح ان لكارلوت عذرها شرعاً لرحلتها. واحتراماً للحقيقة، لا
يجب ان تسميه عذرآ بل ميررا، فالفتاة تزور أمها كثيراً ومفردها، وربما
احبت هذه المرة ان تosopher معها لشتناس برفقتها.

كل هذا التعلق من جانب سو، لم يمنعها من التطلع في حسرة صوب
ميريك لدى افلال الطائرة. كانت لأول مرة تسفر جواً، وبالرغم ان
ميريك لا يعرف هذا، فقد ودت لو انه جلس الى جانبها. كان جارها
سالحاً يدو عليه التعب ونصف نائم تقريباً، مما دل على اعتياده السفر
جواً. أغمضت عينيها بشيءٍ من الخوف حين ارتفعت الطائرة الضخمة في
الفضاء، وحاولت تركيز افكارها على شيء آخر.

لم اقترح ميريكل ان تسفر معه، وكان ذلك في المطبخ قبل أربعة أيام، لم
تفتح في سهولة، وما تزال حتى الان تشك في صوابية قبوها. فتحت عينيها
بسرعة وحدقت الى رأسه وكفيه، تذكر نقاشهما وكيف حاول اقناعها
بمرافقته... قال آنذاك مؤكداً:

«يقضى التعلق ان تسفر معاً. فقد تحتاجين الى مساعدة ما، وصديقك
تيم ماسون قد لا يكون موجوداً او يكون مشغولاً».
فوجدت نفسها تعارض بحرارة ويدون ان تقصد:
«يجيب ان يعلم تيم...».
«يعلم ماذا؟».

«بابي سأخل عن الشقة، فهو كان يطل عليها في غيابي».
«هذا يعني انه يحمل مفاتحها».
«ليس الأمر كما تظن! لم أجد احداً سواه يعني بالشقة».
«هذا ما تقولته لي باستمرار يا حبيبي سو، وأخشى انك بدأت
تستهلكين طاقتـي، على العصدقـين».

أمس مساء، سمعته يقول لكارلوت «حبيبي». أليس هناك حدود
لغروره؟ أجات حينها بجمود:
«فكرة بالطريقة التي تريد اذ يدو انك تبني اسوأ الظنون على مطلق شيء».
«أعلمـه».

فحملـت اليها للحظة بدت طويلاً متوتـة، ثم تخلصـت من مزاجـه الاسود

ومع ذلك لم تستطع طرد مخاوفها، وفي الوقت نفسه، لم تقدر ان تقاوم فكرة السفر معه. السبب الحقيقي للذهاب بذاهباً خامضاً، وداخلها شك، حاولت طرده، بأنه قرار الذهاب ليؤمّن عودتها بنفسه. من جهة أخرى، قد يكون جون هو الذي طلب اليه مرافقتها. وبغض النظر عن السبب، كانت وقتها في حالة نفسية سيئة جعلتها تتعلق بحاجات هواية.

كانت الطائرة مريحة ودافئة وقد سرّها هذا، لأن معظمها كان رقيقاً جداً بالنسبة الى برد اسكتلندا الخريفي. ستان بثابها الشتوية من الشقة، وستكتفي بها، برغم خروجها عن الموضة، لينما تشغله فتحمّن من شراء ثياب جديدة. بعد الاقلاع، بدأت تستمتع بالرحلة، فهذه أول سفرة جوية تقوم بها، واثارة التجربة ازالت بعضها من وجومها السابق. كان مشهد الجزر البريطانية الممتدة تحت أعينهم يبهر الأنفاس، وقد بدا من هذه الزاوية مختلفاً تماماً. وبرغم أنها فشلت في تحديد معالم كثيرة إلا ان المشاهدات استحوذت عليها واغلبتها عن التفكير في الشخصين الحالين أمامها.

وصلوا بسرعة الى غاتويك، بعد ثلاثة ساعات وقليل من مغادرتهم غلينبرتون، وهذا يعني ان الرحلة من ادنبره استغرقت ساعة فقط. كان الوقت صباحاً ولم تكن تشعر بأقل تعب، وفي خلال وقت قصير أوصلتها ميريك الى شقّتها في كنسفون.

طلب الى سائق التاكسي ان يتّبع ورافقها الى البوابة. دعوه الى الدخول فرفض، لكنه بقي في مكانه ينتظر وهي تتنفس في حقيبتها بحثاً عن المفتاح. سأها وعيّنه تركضان على وجهها الشاحب:

«هل ستكونين في خير؟».
«طبعاً».

أخذته ونظرها يتجه بلا تعمّد الى حيث كانت كارلوت تتّبع في التاكسي. لا جدوى من الاعتراف له بأنّ هواجس كثيرة غيط بها من جراء عودتها الى هنا. فخلال غيابها عن لندن، لم يكن صعباً عليها ان تنسى موت امها المأساوي، اما الآن، فالذكرى عادت تلاحقها، وتعمّلها تردد في دخول الشقة. لكن كيف يمكنها ان تشرح له كل هذا، وبخاصة ان وجود كارلوت معها لا يتبع له التأثر، فضلاً عن أن ايجادها للكلمات

المناسبة قد يكون مستحيلاً.

كذلك شعرت فجأة انه غريب عنها. فلأول مرة منذ عرفة، كان استبدل تصوره ببدلة كحلية، بدا فيها جذاباً جداً ولكن بطريقة أخرى مختلفة، وحيث تغير الزي أهوى عليه أناقة عصرية غيرها. اجل، كان واضحاً انه رجل عالم بأحوال الناس والحياة، ودونما حاجة لأن يؤكّد شعره الآتي ووجهه الخلوق هذه الحقيقة.

قطب قليلاً وهي تقف تنتظر دعاه، وقال:

«لا تنسِ انك سترزّلن الليلة في الفندق الذي زورتك باسمه وعنوانه. قد أتعش في مكان آخر، لكنني سأمرّ بعد ذلك على الفندق لأنّا نكّد من وصولك».

آدمات سوبصمت، وتابعته بنظرها وهو يرحل في التاكسي وعلى شفتيها ابتسامة ثابتة. كانت متّاكدة من انه سيمضي السهرة مع كارلوت، مع اهلاً لم تقل له هذا، كذلك لم تظهر كارلوت استعجالها للذهاب الى «كنت» حيث تقطّن امها! انتابها يأس شديد وهي تغلق باب الشقة خلفها.

خلال الساعة التالية، حاولت بقوّتها ان تستعيد مشاعرها القديمة تجاه الشقة لكنها بدت غريبة عنها فاختارت بالعجز عن ربط نفسها بهذا المكان الذي أقضت فيه قسماً كبيراً من حياتها. لقد تجولت بلا هدف من غرفة الى أخرى ولم تقدر ان تعرف في أي منها الى الحقيقة. لدى دخوها اعتراضاً الخوف لكنه زال في سرعة وزال معه كل شعور بالوحشة لغياب امها. كذلك في غلينبرتون، تضاءل حزنها سريعاً، وعزّت ذلك الى تغيير الجو والمكان. اجل، كانت تنساها تماماً وكأنّها لم تعش معها ابداً. وكالعادة، اخذت سوّي بحث عن نقص في تصرفاتها وخلفها قد يبرر قساوة قلبها الواضحة.

كفت في الأخير عن تغلييل ردود فعلها وباشرت مهمتها. كانت الغرف صغيرة، لكن بعد ان تفحصت الأثاث وجدته مريحاً وذا نوعية عما تذكرت. كل ذلك كان بفضل النفقة الشهرية التي كان أبوها يرسلها بانتظام وكرم. أحسّت بمرارة وقت لو أنها وعٌت من قبل هذه الحقيقة، كذلك أحسّت بخسارة بيع الأثاث بسعر بسيط. جمعت أغراضها الخاصة ووضبتها في حقائب، ثم قررت ان تخابر تيم وتسأله اذا كان يرغب في قطعة معينة من

الذى تتحدثين عنه، يبدو من النوع الجدير بالمرaqueة في خصوـه الظروف التي وصفتها».

«لكنـى لم أصنـف أيـ شـيـء ياـ نـيم! انـكـ تـولـفـ هـذـاـ بـنـفـسـكـ. أـطـلـعـتـكـ فـقـطـ عـلـ الـوقـائـعـ الـعـارـيـةـ. ايـ رـجـلـ مـرـبـيـشـ وـأـنـاـ لـمـ أـحـاـوـلـ التـجـسـ». «اذـنـ كـانـ يـعـبـ انـ تـفـعـلـ يـاـ حـيـبـيـقـ، حـقـاطـاـ عـلـ مـصـالـخـكـ. اـنـاـ لـمـ يـعـنـيـ اـفـادـتـكـ مـنـ خـلـالـ خـبـرـتـيـ. لـقـدـ اـعـتـدـتـ القرـاءـةـ مـاـ بـيـنـ السـعـورـ حـقـ اـصـبـحـتـ جـزـءـاـ مـنـ مـهـنـتـيـ». «أـرـجـوكـ».

«تـقـولـيـنـ انـكـ سـتـخلـيـنـ الشـقـةـ وـسـتـرـكـيـنـ لـنـدـنـ نـهـاـيـاـ. فـيـ عـاـيـ انـ اـفـكـرـ، اوـ اـفـعـلـ؟».

تأملـتـهـ فـيـ اـسـ وـأـجـابـتـ:

«قـبـلـ ذـهـابـيـ إـلـىـ اـسـكـنـلـانـداـ قـلـتـ بـنـفـسـكـ ايـ قدـ أـجـدـ قـرـبـاـ مـسـاـ فـيـ حاجـةـ إـلـىـ الرـعـاـيـةـ وـالـاهـتـمـامـ، وـقـدـ صـدـقـ كـلـامـكـ. لـكـ ايـ اـصـبـ بـالـمـرـبـيـشـ قـبـلـ وـصـوـلـ بـزـمـنـ طـوـيلـ، وـاعـتـدـتـ اـنـهـ فـيـ حاجـةـ كـبـيرـةـ إـلـىـ وجودـيـ. اـنـاـ عـازـمـةـ عـلـ الـبقاءـ مـعـهـ مـاـ دـامـ يـرـيدـيـ هـوـانـ اـيـقـيـ. لـقـدـ اـحـبـتـ غـلـيـتـرـوـدـنـ عـلـ رـغـمـ مـنـ، اـمـاـ مـسـأـلـةـ اـخـلـاءـ الشـقـةـ، فـالـوـاقـعـيـةـ تـفـرـضـ عـلـ ذـلـكـ، وـاـخـلـاـتـهـ لـاـ يـعـنـيـ اـنـ لـنـ اـعـودـ إـلـىـ لـنـدـنـ فـيـ يـوـمـ ماـ». «استـبعـدـ جـداـ انـ تـعـودـيـ. فـهـذـاـ المـدـيرـ...».

فتـقـاطـعـتـهـ بـحـدـنةـ:

«لـيـكـ تـرـقـفـ عـنـ مـهـاجـهـ! اـنـهـ يـقـومـ بـعـملـ رـائـعـ، وـلـاـ اـعـتـدـ اـنـهـ يـطـمـعـ فـيـ اـمـلاـكـ ايـ. وـفـيـ الـوـاقـعـ، جـاءـ مـعـيـ الـيـوـمـ إـلـىـ هـنـاـ». «وـيـاـ الـهـيـ!».

ازـاحـ طـبـقـهـ وـكـانـهـ فـقـدـ شـهـيـهـ فـيـ الطـعـامـ وـأـضـافـ:

«أـتـرـبـنـ ايـ صـادـقـ فـيـ اـتـهـامـ؟ مـنـ الـواـضـعـ اـنـهـ لـاـ يـخـتـمـ اـبـتـعـادـكـ عـنـ بـصـرـهـ، وـرـبـماـ يـعـتـقـدـ اـنـهـ سـيـسـتـوـلـيـ عـلـيـكـ مـعـ الـاـمـلاـكـ عـنـدـمـاـ يـمـوتـ الرـجـلـ العـجـوزـ».

حـلـقـتـ فـيـ وـكـانـهـ صـفـعـهـاـ، ثـمـ قـالـتـ فـيـ بـرـودـ: «لـاـ يـعـقـ لكـ اـنـ تـقـولـ أـشـيـاءـ كـهـنـهـ. لـكـ اـنـ تـفـكـرـ فـيـهاـ اـذاـ شـتـ، اـنـاـ اـرـجـوكـ اـنـ تـحـفـظـ بـهـنـهـ الـاـرـاءـ لـنـفـسـكـ. لـقـدـ فـسـرـتـ لـكـ الـوـضـعـ بـكـامـلـهـ، وـاـذاـ

اتـ لـهـدـيـهـ اـيـاـهـاـ، وـلـتـشـكـرهـ اـيـضاـ عـلـ كـلـ موـاـقـعـهـ الطـلـيـةـ اـزاـءـهـاـ. لـكـنـاـ ثـرـتـ فـجـاءـهـ اـنـ التـلـفـونـ وـالـكـهـرـبـاءـ كـانـاـ قـدـ قـطـلـاـ فـيـ اـثـاءـ غـيـابـهـاـ، وـفـضـلـتـ تـرـجـيـهـ مـخـابـرـتـهـ لـخـيـنـ موـعـدـ الـغـدـاءـ بـدـلـ اـنـ تـذـهـبـ اـلـآنـ إـلـىـ الـكـشـكـ فـيـ الشـارـعـ.

ابـتـهـجـتـ يـمـ لـذـىـ سـمـاعـهـ صـوـتـهـاـ، وـأـصـرـ فـورـاـ عـلـ دـعـوـتـهـ اـلـىـ الـغـدـاءـ. مـاـ جـلـساـ مـقـابـلـيـنـ، قـالـ هـاـ مـعـاتـبـاـ:

«كـانـ يـجـبـ اـنـ تـعـلـمـيـ بـاـنـكـ آـيـةـ. كـنـتـ اـنـتـظـرـ يـوـمـاـ اـنـ اـطـلـعـ عـلـ مـصـيـلـ مـعـاـمـرـتـكـ الـعـقـيـمـةـ وـفـجـاءـهـ اـجـدـكـ هـنـاـ مـنـذـ مـلـدـةـ وـأـنـاـ اـحـاـوـلـ الـحـصـولـ عـلـ اـجاـزـةـ اـضـافـيـةـ. كـانـ مـنـ الـمـكـنـ اـنـ اـذـهـبـ اـنـاـ مـنـ طـرـيقـ وـتـأـيـنـ اـنـتـ مـنـ يـقـيـ اـخـرـىـ. فـلـاـ تـرـىـ بـعـضـنـاـ!».

لـقـدـ اـنـ بـهـاـ مـلـطـعـ ذـاـهـبـ ذـاـهـبـ فـيـ الـغـدـاءـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ الـحـارـ لـقـدـ اـنـ تـقـابـلـ مـحـامـيـ اـمـهاـ. اـنـذـاكـ طـلـبـ اـلـيـهاـ الزـوـاجـ فـرـفـضـتـ، اوـ اـحـرـىـ، حـاـوـلـتـ اـنـ تـذـكـرـ بـصـدـقـ مـوـجـعـ، اـنـاـ مـاـطـلـتـ فـيـ الـجـوـابـ لـاـنـاـلـمـ حـمـسـ لـلـفـكـرـةـ. مـنـ الـغـرـبـ اـنـ تـنـسـيـ حـادـثـةـ مـهـمـةـ كـهـنـهـ. اـمـاـ فـيـ هـذـهـ حـكـمةـ. فـتـشـعـرـ فـقـطـ بـالـفـلـقـ لـاـنـهـ حـاـوـلـ الـلـحـاقـ بـهـاـ اـلـىـ غـلـيـتـرـوـدـنـ، وـلـذـاـ يـاتـهـ قـاتـلـةـ:

«لـاـ اـحـبـ ذـهـابـكـ اـلـىـ هـنـاـكـ. لـيـسـ اـلـآنـ عـلـ الـأـقـلـ». اـنـشـغـلـ بـطـلـبـ الـطـعـامـ، لـكـنـ نـظـرـعـاـ السـرـيـعـاـ يـهـ اـخـبـرـتـهـ اـنـ جـوـاـبـهـ مـسـاسـهـ. لـاـ دـاعـيـ لـاـنـ تـغـوـصـ فـيـ اـعـمـاـقـهـ كـيـ تـقـرـأـ وـجـهـهـ كـتـابـ. اـجـابـهـ بـوـيـزـ شـفـيـهـ:

«ذـهـابـيـ اـعـتـقـدـهـ ضـرـوريـاـ لـاـدـرـسـ الـأـمـورـ بـنـفـسـيـ. فـالـرـجـلـ الـثـرـيـ الـمـرـبـيـشـ تـقـلـبـ يـحـاجـجـ اـلـىـ مـعـاـمـلـةـ دـقـيـقـةـ، وـبـالـتـالـيـ، يـجـبـ اـنـ يـكـوـنـ اـلـ جـوـارـكـ مـخـصـ بـرـعـعـ مـصـالـخـ».

«لـمـ اـقـلـ اـبـداـ اـنـ رـجـلـ ثـرـيـ يـاـ نـيمـ». بدـأـتـ تـقـولـ رـدـاـ عـلـ عـبـارـتـهـ الـمـوجـيـةـ بـيـوـلـهـ الـمـادـيـةـ، لـكـنـاـ اـسـتـدرـكـ تـلـلـةـ:

«اقـصـدـ.. . . رـبـعـاـ هـوـمـيـسـوـرـ اـلـىـ حـدـ الثـرـاءـ لـكـنـيـ لـاـ اـعـرـفـ أـيـةـ تـفـاصـيلـ عـنـ دـيـ ثـرـاءـهـ». دـاـنـ عـلـ حـنـ اـذـنـ! لـقـدـ خـدـعـكـ بـسـهـولةـ، يـاـ عـزـيزـنـيـ سـوـ. ذـلـكـ المـدـيرـ

كان صحيحاً عليك ان تقبله... .

فهز كتفه وقال:

«أعرف ذلك تماماً، وأعرف اي أضيع فرصي بعثاني».

احس بالندم، فاتحتي صوتها عبر الطاولة، أخذأ يدها في يده، وقال

نظرة توصل القرآن:

«ما فكرت الا في مصلحتك يا سو، فأنت لا تجهلين حبي لك منذ زمن طوله».

خbir جديد بالنسبة اليها، الا انها لم تقل شيئاً. صحيح انه عرض عليها الزواج لكنها عزت اليب جزئاً الى رغبته في ان يسكن شقة مرحبة، ولطالتها ابدى اعجابه بيتها الجذاب، وربما كان متجلباً ايضاً الى زوجة ذات دخل عالٍ وهي مهنية ثقافية تتبع لها عملاً ذا واتب جيد. اضافة الى ذلك، لم يلمح له رئيسه مراراً، يأن الزوجة المناسبة تزود الرجل بالثبات المطلوب لترقيته في عمله؟

ومرة أخرى، شعرت بالخوف حين قال في نعومة:

«اذا كنت ستردين املائكي جليلة، او اي نوع آخر من الاملاك، ستتحاجين الى شخص يرعى مصالحك، وهذا المدير...

ميريك فيندلي لا يهم اي شخصياً اذا كان هذا مقصداً؟».

«اتوقعين مني ان اصدق ذلك؟».

«لم نات بمفردنا. جاءت معنا فتاة يعزها ميريك كثيراً.

اووه. فهمت».

تراخت اعصابيه المتشددة، ولاحت على شفتيه ابتسامة ذات مغزى، وقال:

«هذا أفضل، فأنت تعرفين معية تقارب بهذا يتطلب يقطلة شديدة، وما كنت ابداً فتاة مجرية في هذه الامور».

قطع كلامه ونظر الى ساعته وقال:

«الوقت داهسي يا سو، يجب ان اذهب فوراً. سأمر عليك ماء لتعيشي في مكان ما، من المؤسف انك لم تلمني بعودتك. لقد أحرجت موقفني بالنسبة الى ضيق وفقي».

تجاهلت تأنيه وقالت:

«لا يأس يا تيم. لا تنس انك وعدت بالقاء نظرة على الآثار».

«سأفعل». احب في الواقع ان اسكن مكانك في الشقة لأنها أكثر راحة من شققى، لكن عقدك لا يسمح لك بتاجريرها بالبدل نفسه، وكمساحر جديد، اخش ان يطلب المالك بدلاً مرتفعاً لا أقوى عليه في الوقت الحاضر».

ذهن تيم، يفكّر دائرياً، قالت سو لنفسها وهو يخرج من المطعم، انه يحور ويدور ويرجع للتركيز على نفسه. على كل، يبقى صديقاً تعرفه، ولاإول مرة شعرت بأنها وحيدة في لندن، ووددت لو انها قضايا العصر معاً. لكن ما يزال لديها عمل كثير... . لقد حزمت معظم الاشياء التي فررت الاحفاظ بها، وميريك سيرت مسألة نقلها في القطار، لكن هناك بعض الأغراض الصغيرة، كالكتب والأواني العتيقة التي لن يشتريها احد. ربما تأخذها للرجل المعجوز في كوبين ستريت كي يتصرف بها ما دام يملك حقوقها لبيع وشراء الأغراض المستعملة. خبارته فوافقت على شرائها ووعد ان يذهب بعد ساعة لسلم الأغراض. شكرته وتابعت سيرها الى الشقة من الفضولي ان تفرغها اليوم لتسليم المفتاح غداً الى المحامي، وقد يعطي سعر الآثار أجرته.

عند احدى الروايات، توقفت مبهورة امام متجر صغير كان يعرض قميص نوم من الشيفون مع روب مائل لونها وردي رائق. حدقت اليها مأخوذة، وتخيلتها يسجمان في جمال مع شعرها الأشقر وعيونها الرماديتين. انا لا تلك ثياب نوم كثيرة، فعدا قميص من النابليون ارتدته طوال الصيف، كانت ترتدي عادة بيجامات صبيانية، تباعها امها رخيصة في مواسم التصفيات. كان يريح سوان ترتديها، لكن هذا القميص في الواجهة من نوع خاص. ليس عرائس تماماً اما حلو جداً.

دخلت المتجر تأسى عن سعره وتتفاجأ بارتفاعه. سارعت البالعة وازلته من الواجهة وقالت لسو بحماسة:

«انه جيل حقاً يا سيدى. انطري التخريم الغضي الدقيق حول الخصر. لقد صنع خصيصاً لفتاة جبلة القوم مثلث».

حساباتها اوحى اليها بعدم الشراء لكن ملمس القماش الناعم جعلها توافق على ابتنائه... . بعد ان تدفع ثمنه يبقى لديها مبلغ يكفي فقط لشراء

سروال.

تناولت الرزمة من البائعة وهرولت خارجة قبل ان تغرسها على شراء شيء آخر. قد لا يكون قميص النوم واقعياً بالنسبة الى الشفاء الاسكتلندي، الا أنها، في هذه اللحظة الفرحة، لم تأبه لشيء على الاطلاق.

احست بالشعب قبل ان يمر عليها تيم ساعات. عادت وايده الى الفندق، وتركه يشرب قهوة في قاعة الجلوس وصعدت لستحتم وتبدل ثيابها. وعندما اقترح ان يتناولا العشاء في مطعم الفندق الفخم، وافقت في سرور، لكن دعوته في ما بعد الى السهرة ازعجتها، اثنا نظرة الحية في عينيه اضطرتها للقبول.

رجعاً بعد متصف الليل، وبرغم تعها الشديد لم يؤسفها التأخير. فالنادي الليلي كان مفعماً بالحيوية والفرح مما ازال الكثير من توتراتها السابقة، فضلاً عن ان تيم كان رفيقاً مبهجاً ذكرها بتصوفاته الدمشقية. وحين دعها خارج الفندق شعرت نحوه بتعاطف لم تشعره طوال ذلك النهار. كان في صباح الغد ميذهب مع رئيسه الى ديفون في مهمة تتعلق بتخمين الفراب ولذا لن تراه ثانية قبل ان تغادر لندن. قال لها وهو يودعها: «لا تنسى ان تكتبي لي وتخباريني والا قللت عليك يا سو».

نهدت بما يشبه الارتباح وصعدت الى غرفتها بعدما اخذت مفاتيحها من موظف الاستقبال. وما ان اغلقت على نفسها الباب حتى شعرت بالارهاق برئتها ولم تشه الا النوم الفوري. كان لا بد من الاغتسال فامتحنت بسرعة، وانعشها الماء الدافئ قليلاً، فارتدت قميص نومها الجديد. صعدت اخيراً الى الفراش، ولم تكدر تلقي رأسها على الوسادة حتى طرق الباب. خفق قلبها بقلق، وانتظرت قليلاً لكن الطرقات عادت فنهضت متسامة، وساربت متشردة دون ان تشعل النور.

فتحت الباب بعنف وفوجئت بروبة ميريك واقفاً في الممر. لقد تعمدت طوال النهار ان لا تذكر فيه ونجحت. حتى عندما تهمج عليه تيم رفضت ان ترکز عليه اكثر من الدقيقة التي استغرقتها ل الدفاع عنه. تذكرت الان انه وعد بالمرور على الفندق ليتأكد من وجودها هناك وقد نسبت ذلك لسوء الحظ.

قالت في اندھاش، قبل ان يتكلم:

«اذا انتظرت قليلاً، سأضيئ النور وارتدي روبي».

فرد متهدكاً:

«اختراني الذي يعجبك. لن يضرني الانتظار بضع دقائق بعد الوقت الطويل الذي صرفه اذرع ارض هذا الطابق والطابقين الاعليين، هذا ان لم اذكر اهتماماً حداثياً».

كان يرنكم الى مقبض الباب، باسترخاء وعفوية، لكن صوته كان مزرياً بالتهمكم.

الفت عليه نظرة واحدة ثم هربت. راحت اصابعها تبحث عن زر الكهرباء، وبيدها الاخرى التقطت روبياً من على السرير. اضاء مصباح السرير الغرفة بنور خافت وكاف في الوقت نفسه. احست فجأة بشفافية الروب الوردي، فحضرت كتفها وصدرها بذراعيها واستدارت صوب الباب لترى ميريك يدخل من قائلًا:

«دخلت لامتنعك من المبادرة الى تشبيط شعرك او الى اي شيء اخر تفعله النساء حين يواجههن رجالاً لم يتوقعن قدمه»، واضاف مغمضاً: «حق لو كان رجلاً يتفرق منه».

اثارها غروره كما في مرّة سابقة واجابت غاضبة:

«لم افعل اكثـر من الضروري، كما ترى».

«الذي اراه يعجبني ويسرقني لأن انتظاري لم يذهب عبثاً».

«هل جئت قبلـاً الى هنا؟».

«لا تقولي انك نسيت؟».

«قلت انك ستتأكد من وجودي هنا».

«وهذا ما كنت افعله طوال الساعة الماضية. لم يخطر لي انك ستآخرين الى هذا الحد».

«قضيت السهرة مع تيم ماسون».

«هذا ما حسـنه تماماً، كذلك خطـر لي ان تلك اصدقاء آخرين ولا رب، وتساءلت عما اذا كنت اعلمـتهم بقدومك؟».

حاولت استيعاب عبارته وتحليلها، فاتسعت حدقتها، وهـست من حلق متفلصل:

محاول طرد مشاعرها والتركيز على كلامه. غلينز ودون مهم جداً بالنسبة إلى ميريك وقد يفعل أي شيء من أجل حياتها. إنه يرعى تلك الأملاك كطفل صغير وغشى عليها من التبسم العابر. لكن، لا يرى أنه يزكي الآخرين بهذا التصرف؟ هتفت والنار ترسي فيها وتقلص عضلاتها: «لا يمكنك أن تحكم على كل شيء بقواعد ثابتة، بل يجب أن تتبع المجال للعنصر الانساني».

«العنصر التمثيل فيك؟».

«هناك معزة مشتركة بيني وبين تيم، ولا يسعني أن أكون عديمة الرقة مثلك».

فقال بنظرية هازلة وحدرة:

«لا تبددين لي كفتة يطير بها الحب عالياً، لكن، قد تسعدين أكثر إذا ثبت قدميك على الأرض».

التحممت نظراتها بغضب واجابت:

«لا شأن لك بحياتي العاطفية يا ميريك فيندلي!».

«أعتقدين ذلك حقاً؟ أني أذكر مناسبة معينة بذوق فيها منجمة عاطفياً بين ذراعي. أخبريني، هل تقولين لي، أرجوك، بعد أن يعانقك؟».

انتاب كليهما توتر يراق، كهرب الهواء في ما بينهما، فاطلقت نفاساً مسماعاً عبر شفتيها الورديتين المفرجتين، ثم قالت في شبه هذيان: «أني متعبة وفي حاجة إلى النوم».

فأضاءت وجهه ابتسامة متأنقة، وقال متأملاً قوامها الرائع:

«هل اعتبر ذلك دعوة لي؟».

كانت أصابعه تحرقان كتفيها من خلال القميص الرقيق، فيلتهب دمها يحمر لم تعرفها أبداً من قبل. أرحتها صدمة الاكتشاف، فلجلأت إلى الكلمات لتضبط ارتجافها:

«ماذا تجد لذة في تخویر معانٍ كلمات؟ لا ادرى سب محثك الليلة، لكنني واثقة من أنت لم تأت بسب الجذابيك إلى».

«أنت لساحرة يا آنسة فريزر، فلا تستهين بما لديك من مفاتن ولا بقدرتك على الاستئناف بمحابي الحياة الحسية. لا تقولي أن تيم لم يعانقك

وما كان في وسعه أن أفعل هذا، ولم يفكر باقامة حفلة». هز كتفه وابتعد قليلاً عنها فيما راح ظله يتراقص على الجدار. ودت متاخرة لو أنها أضاعت نور السقف لأن ضوء المصباح الخافت كان حينها أكثر من اللزوم. راقبته مرتبكة وهو يستدير في هدوء ويواجهها. رفعت رأسها تنهياً لفجومه، فضحك وقال:

«اذن، ركزت على رجل واحد، على تيم، موظف الشرائب! فما رأي حضرته بقضية الشقة؟ هل وافقك على إخلائتها يا ترى؟».

كان في ذقنه غمازة، محفورة في عمق تحت شفتيه، فحدقت إليها سوكبي ثعب من سخرية عبّه المشتعلين. أخذت نفساً طويلاً، وحاوت أن تبادله ذاته الهائلة نفسها وهي تقول:

«قد تبنت لي مشكلة ضرائية فاستعين به، وهو، على فكرة، خدوم جداً. ثانياً، أنه لا يعبد كثيراً فكرة رحيل، إلا أنه لم يعارضها. هل تقنعك هذه الأرجوحة؟».

«ليس تماماً، لكن بما أنا لا أعرف صديفك شخصياً فلا أعرف كذلك كيف يشغل عقله».

إذا كان بالفعل لا يعرف تيم شخصياً، فكيف درى أنه يعمل في مصلحة الشرائب الداخلية؟ لا جدوى من سؤاله، لأنها ستلتقي جواباً مراوغأً على الأرجح. ثم ان رجلاً كميريك فيندلي يهم جداً كل شيء من شأنه أن يمسه ولو بطريق غير مباشر، ولا ريب أن فترة وجودها في غلينز ودون زودته بعذر كي يراقبها في شمول ودقة.

اجابت مغمضة ودوعاً اكترات: «إذا كنت قد حذفت أية معلومات ضرورية، فانا أكيدأة من أنت متعرض لهذا التقص».

ودونما اكترات أيضاً، الفر يديه على كتفيها، ليؤكد وجهة نظره حين قال:

«من الأفضل أن تقرري نهايأة، إن الرجال أشباء تيم ماسون، لا وزن لهم في المجتمع. ليس مما يتعلق بك بالذات... . يجب أن تودعيه غداً وتبدي أحياناً حياة جديدة. إنقطع علاقتك به نهايةً هو طريقك الوحيد». اجتاحتها صعف مروع حين لامت بياده كتفها، وتململت قلقة، وهي

في الواقع حاول تيم ذلك لكنها لم تكن في وارد العنac. هذا على الأقل، ما قالته نفسها وهي تبعد عنها متذمرة بالتعب. وبالطبع، لن تعرف ليبريك بذلك! سأها ان يسأل، فلاذت بالصمت، الى ان تحرك يدها على ذراعيها، فعادت المشاعر السابقة تنسها كل شيء.

قرأ افكارها وقال:

«اذن تشعرين بالحزمان، ربما تودين ان اعوض انا عن تقصيرها؟». شد ذراعيه حوطا الى درجة الايلام، ثم طبع على جبينها قبلة خاطفة وقاسية، وكأنه يعاقبها على اعتراضاتها السابقة، وافلتتها وهو يقول بصوت متوتر:

«هذا يثبت وجهة نظري بانك لست قطعة ثلج كي تتظاهرين». ابتعد عنها فجلست منهارة على حافة السرير. كل ما يزعمه ليس صحيحاً، وحتى لو كان فيه شيء من الصحة، فلا يعن له ان يفرض آراءه بهذه الطريقة.

تحول تصرح وجهها الى شحوب وخفق قلبها وهي تحدق اليه. حاولت جاهدة ان تجمع شتات ذهنها الذي تاه منها في تلك اللحظات المجنونة بين ذراعيه. وسمعته يقول «اما»:

«لو اتيت تعقلت وعدت باكراً لما كان حصل شيء من هذه». «اذن انا الملوم؟».

«اسمعي يا سو، لست مستعداً للدخول في جدل. لا احد المسؤول عنها حدث». وهنا ابتسم قليلاً واصاف: «قد نضع اللوم على الشخص الذي ياعل هدا الناس اللي المغربي».

القى لها كلامه انقضاطها، فقالت كاذبة: «أعتقد ان ابنته خصيصاً! لقد غسلته عدة مرات لغاية الان». تائق وجهه بتألمه، وقال وهو يتقدم نحوها فجأة: «انت تكذبين، الا اذا كان لدينا بطاقات اسعار قابلة للغسيل!». وسرعاً، مد يده واقتلع بطاقة صغيرة من بين كشكش اليافه ليبريك ايها.

احشر الماء في حلتها فقدت صورها. لكنه لم يعطها فرصة للجواب،

وتناسى الحادة بجزء كتف قصيرة قبل ان يضيف: «اضطررت لرؤيتك هذه الليلة يا سولاني سأشغل غداً موعد مهم وسأذهب الى المطار فور انتهاء الاجتماع. لقد ربت كل شيء هنا، وغداً بعد الظهر سيرسلك سائق التاكسي ليأخذك الى المطار. لم اعرف كيف سارت امورك، وخشيتك ان تكوني صادفت بعض المشاكل فجئت لاطمن على احوالك».

سار الى الباب، وادار مقبضه وهو ينظر اليها. قالت لو يمضي بسرعة، متاجلة مشاعرها الجياشة التي كانت تتحقق بقامه بدورها. تمالكت نفسها في صعوبة، وقالت:

«في الصباح لدي موعد مع عามي والدتي، وحيث سأواقع بعض الاوراق. سأسلمهم مفتاح الشقة، وسيتهم بأمر الاخلاع وغيره. لقد حزمت اغراضي الخاصة كما اشرت علي...». وغاب صوتها اذ لم تجد شيئاً اخر تقوله.

«حسناً، غداً نلتقي في المطار اذن... يوصي ان يضيق وفتحي بهذا الشكل، وربما في رحلة اخرى، نرى بعضنا اكتر».

ارتعشت حين اخضى بسرعة، وطلت لدقائق تحدق الى الباب المغلق... لو ان ما رأته كان حلمها، فاستيقظها كان فجئاً قاسياً، لا قبل لها بالاحتمال. قفزت واقفة فتهاوي شعرها على وجنتها. سارعت الى حقيبة ثيابها والفت بمحظيتها على الأرض، ثم نزع القميص والروب ياصابع مرتجفة، وارتدت بيجامتها القديمة. كانت قصيرة قليلاً وصيبارية لكنها شعرت فيها بالعودة الى شخصيتها المترفة السابقة.

اندنسـت بين الاغطية وهي غسـن تعبـة غـريبـة. غـداً صباحـاً تـضع قـعـصـنـ النـومـ فيـ سـلـةـ المـهـلـاتـ اوـ تـقـدمـهـ هـدـيـةـ إـلـىـ عـالـمـةـ الفـنـقـ ذاتـ الـابـسـانـةـ الـخـلـوةـ. لـنـ تـأسـفـ كـثـيرـاً عـلـ ضـيـاعـ نـعـنـهـ وـلـنـ تـقـلـقـ عـلـ مـصـيرـهـ، فـقطـ لاـ تـرـيدـ انـ تـرـاهـ مـرـةـ اـخـرـىـ!

مبين بأنه قد يسيطر عليها أكثر إذا لم تأخذ الاحتياط الكافي في المستقبل.

تهنّدت وغمغمت بتأثرٍ:
 «ما أحل العودة إلى الوطن. اسكنلندًا حققت كل أحلامي بها. ما غبت عنها يومين حتى افتقدها».

استدار إليها قليلاً وقال:
 «الاحلام خطرة احياناً».

ما به؟ هل تعرّفت اعماله في لندن؟ وسأله:
 «هل ساءك أن أعود معك هكذا؟».

«ولماذا استاء؟ لك مطلق الحق في العودة، والذك يحتاج اليك».

ووهدت لو تضيّف: «لكنك لا تحتاجني». تذكرت في اس، مواقفهما العاطفية، وانتفلت إلى صداقته لكارلوت. هل يعقل انه يلهمها بها معاً ولبيتها يتضح له من منها سترت غليزرودن؟ هل سيجد صعوبة في الاختيار؟ قد يعيش جون لستوات طويلة، وربما لا يعيش. اخافتها افكارها فحاولت الا تغوص في المستقبل. أنها لم تُحب امها ابداً في عمق ومع ذلك تفتقدها احياناً، وابوها كذلك، تخاف ان تفقدك بيدما عثرت عليه. ما نفع ان تحب الناس اذا كان القدر سيختطفهم فجأة خلفين وراءهم فراغاً مؤلماً؟ حتى اهتمامها المتزايد. ميريك فيندلي قد يكون دعوة إلى العذاب.

ادارت بصرها وحدقت إلى المتأجر وح羂 الناس على الارضية. لماذا تسمح للحظات عناق قصيرة وخلفيات قلبها المجنونة ان تسبّ لها كل هذا التمزق؟ ميريك يجب ان يبحث عن التسلية في مكان اخر، وهي يجب ان تتعلم كيف تقسي قلبها.

اوْقَفَ ميريك السيارة أمام أحد الفنادق، وقال وما يحيطان منها:

«للعاصمة مظهر دراميكي مؤثِّر، الا تعتقدين هذا؟».

النفت إليها، لم يبد عليه اي ازعاج من صمتها المفاجئ.

تطلعت إلى فوق، قوْعَ بصرها على خيال القلمة الصخرية المشيدة منذ ألف عام، وعلى ظلال ادنبره القديمة الواقعة خلف حدائق بورنسين ستريت. كان مشهداً رائعاً يسرّ النظر.

وقال ميريك:

«عندما نستغني عنك ليومين، يمكنك ان تفضّلها هنا لتعزي في جداً الى

٧ - غابة بدون اشجار!

لدى عودتها إلى ادنبره، حاولت سو اعتبار الحادثة ك مجرد خدعة لعبها الليل على مشارعها الحساسة جداً. فميريك فيندلي ليس من النوع الذي ينخس في مغامرات عابرة كهذه، وشخصيته تعزز هذه البررة، ولكن حياة مطلق رجل لا تخلو من بعض لحظات التهور. لقد كان متعملاً مثلها على الارجع، والذي حصل لم يحدث عن تعمد او تنفيذاً خططة مرسومة. هذا التحليل، برغم دنيويته، اراحها مؤقتاً، فتعلّقت به تعلق الغريق بخثبة. وصلاً مطار تيرنهاوس قيل الغروب، واصر ميريك على ان يتawa الشاي قبل موافقة السفر إلى غليزرودن، وشرح السبب بقوله:

«وانها مسافة بعيدة وانا لا احب التوقف على الطريق».

استرقت إلى النظر وهو يدخلان ادنبره ولم تعلق. لقد استمتعت بالمرحلة الجوية أكثر من المرة الماضية. فكارلوت لم ترجع معهما، وميريك جلس إلى جوارها، يعرّفها إلى العالم المختلفة التي لم تستطع معرفة اسمها في المرة السابقة. اجاب على كل استئنافاتها بمهارة المسافر الخبر.

ومع اهالى تر ميريك كثيراً في لندن، الا ان اشرافه الدقيق على شزوها كان واضحأ.

فتقطبه الصارم، واصراره على توضيب كل عرض يتعلّق بحياتها السكنية في كنفستون، ومن ثم الشحن والبيع والتصريف، كل ذلك تم في وقت قصير، وكأنما بقيادة عرك لاسلكي. لم يغتر بها مطلقاً ان تعارض سلطته او تناقضه لكونه تخطى صلاحياته وأخذ عنها معظم القرارات.

كانت تحافظ ذاتاً على استقلاليتها، ولذا احست بشيء من القلق، بشعور

ادنبره».

ابتسم قليلاً وقادها عبر الشارع نحو الفندق، ويده تحضن خصرها وقال:

«حسارة انتالن تبقى هنا وقتاً أطول، إنما من الأفضل أن تتابع السفر». العودة إلى البيت لم تستغرق وقتاً طويلاً، أو هكذا خيل إلى سولما تذكرت سرتها الأولى الموحشة في أغسطس / آب. معظم الطريق بدا ميريك متشللاً بافكاري، فوجدت نفسها تغفو بين حين وآخر. وفي كل وصوفهم نفقت عنها ذيول التعب والنعاس لتسأله عن موعد عودة كارلوت. فأجاها في اختصار: «تست إد إسالها وهي لم تخبرني. إنك ستعيشين بدوتها لبضعة أيام. فلا تخفى».

«لا داعي لتهكمك. حبيتك مستاءل لماذا لم أسائلك».

«لم أتساءل، وهي لا تعجب عادة لوقت طويل».

هز كتفه بحركة لا مبالغة واحتلسا إليها النظر من طرف عينه. كلها كان شاعراً بوجود الآخر إنما لم يرحب في الكلام. هذا التوتر أحرز سو وحيرها، فاستدارت تأمل القفار غير النافذة، وبقايا المطر تغمرها بالرطوبة والوجود. احت بوحدة الطبيعة تلمسها وتشعرها بالراحة وسط اسوداد الغروب. لا جدوى من الأفكار بأن ميريك لا يريدها وكذلك كارلوت. لكن غلينزرودن أصبحت بيتها ووطئها ولن تغادرها منها واجهت من مناقسة.

الآن، وقد قصرت النهارات، قررت السيدة لينوكس ان تأم أيضاً في البيت طيلة فصل الشتاء. الدكتور ماكريورتس لم يكن مطمئناً إلى صحة جون الذي كان ينزل يوماً بعد يوم، فعرضت المرضية ان تقدم مزيداً من المساعدة، فصلاً عن ان الطريق بين غلينزرودن والقرية، كانت تتقطع أحياناً في الشتاء لدى فيضان النهر، فخشيت السيدة لينوكس ان تخجز في القرية لأيام متالية بسبب ذلك.

شعرت سو بالامتنان لهذا الترتيب الجديد، إنما كان على المرضية ان تنظم امورها في القرية استعداداً للبقاء في غلينزرودن، فشاهدت سو في اعمال اضافية في البيت، كذلك استمرت تساعد ايها في الكتاب.

وعلت السيدة لينوكس على ذلك بقولها:
«احياناً اتساءل يا عزيزتي، من الذي يؤلف الكتاب، هو انت؟
فلولاك ما استطاع ان يكتب ابداً».

«هذا العمل يشغل ذهني وبعده عن التفكير في امور اخرى».
اجابتها سو بابتسامة غامضة. وبالرغم من نظرية المرأة المتسائلة، لم توضح ان «الأشياء الاخرى» تعنى بمعظمها ميريك فيندلي. فعل الرغم من وجهة نظرها الخاصة بأنه مخامر جريء يسعى إلى تأمين مصالحه المستقبلية، استمر ميريك يذهب قلبها. وإلى جانب شعور الاحتقار، كان يثير فيها أحاسيس أخرى هي في غنى عنها. كانت كلها رائحة، تذكر في خجل مذنب، أنها حين قابلت المحامي في لندن، كانت على وشك ان تأخذ رأيه في اجراء تصر قاتلها عن اوضاع ميريك وطريقه لا تثير الشكوك. لكنها لسبب ما، وجدت نفسها عاجزة عن عرض شكوكها وغناوتها أمام المتعلق القانوني الصارم. بل ان مجرد فتح الموضوع يداها نفسها على عيابها لأن الفرصة قد لا تسعن ثانية. من جهة أخرى، لم تكن لديها اية فكرة عن مغبات اجراء كهذا، وحافظت من التنتائج التي قد تثبت خطأ ظنونها. لم تكن تبدي ميريك من كل شيء، إلى جانب سعيه الطبيعي إلى تأمين مستقبله مادياً، لكنه قد يرحل عن غلينزرودن إذا اقدمت على شيء بلا مبرر منطقى، وطعنته في الصميم.
ومرت الأيام، واستمر ميريك يشرف على رحلات الصيد، لكن متزه العربات كان يمقفل أبوابه مع انتهاء الموسم في اواخر اكتوبر / تشرين الأول، او هكذا اخبرتها كارلوت لما عادت من لندن. قالت:
«قررتنا للعام المقبل ان نستصلاح بضعة دوغات اخرى قرب الخليج بوجب رخصة بالطبع. وإذا حصلنا عليها، فقد اقضى الصيف المقبل في غلينزرودن. فميريك، على ما يبدو، لا يمكنه الاستغناء عن خدماتي. لن تكوني هنا على الارجح، لكن احسبك تودين معرفة ذلك».
كان في وسع سوان تحبيب يانها لا تود ان تعرف، وبيانها لم تشغل الخبر، الما كان من المحموم جداً ان ترك غلينزرودن، على الرغم من كل ما قد يحدث، لذا يقيت صامتة، تستمع في تهذيب الى ترثة كارلوت،

«جمع ايل هو ايائل يا بلهاء، وليس اوائل».
فبادلته الفصحى وردت في جرأة:
«الشاطر حسن! هكذا كان نسمى التلاميذ اللامعين في المدرسة».
فبادلها مزاحها يأقسى منه:
«عرفت نساء كن يطلقن على اسماء الطف. انا اسمى ميريك، ولم
اسمعه من قمك سوى مرة او اثنين».
اشاحت بصرها صوب الجبال البعيدة واخذت نفساً عميقاً، ثم قالت في
جديبة: «عندما تصرخ وديا تكون لطيفاً جداً، لكن هناك اوقاتاً تلقي فقط
مناداتك «اليد فيندلي».

«بالنسبة الى خطيباي، يسرني ان اعرف بان البر ردود فعل ايجابية في
بعض الاحيان. الا توافقيني رأيي يا حلوق سر بناء على تجاربنا
السابقة؟».

«تحصر حديثنا في موضوع الغزلان».
«اووه، الغزلان».

ثم ابتسם ساخراً واضاف:
«منذ ايام حواء، وللمرأة استاذة في قن المراوغة. لكنك، في يوم ما،
ستتعلمين شيئاً واحداً يا سو، وهو انك لن تستطعي المرب الى الاید.
لكن في الوقت الحاضر، لتكلم فقط عن الغزلان، كما طلبت».
ازدادت تورداً وخضن قليلاً وهي تقول:
«حدثني عنها اذن».

فاجابها في ليونة، وهو ينعلق بالسيارة الى الطريق العام:
«اوود ان اريك ايلا او اكثير، وقد ترين بعضها من امثالها».
«هل سراهم على اراضي غلينبرون؟».

وعنها تنبهت، واصافت في سذري:
«اقصد ان لا اعرف الكثير عن غلينبرون. هل هي املاك واسعة؟».
تشبث بحافة المقعد في عصبية، وقد تعرقت يداها من الحرف. أنها
تكره الاتجار بجهلها، ومع ذلك، لا تجد غضاضة في قهر كربانها، لتعرف
المزيد عن هذا المكان الذي بدأت فيه.
لكن ميريك لم يستغرب سزاها ورد قائلاً:

عاولة ان تعطى الانطباع بانها لا تكترث اطلاقاً لما سيحدث في
السنة القبلة في هذا الجزء من العالم!
اخبارتها كارلوت كذلك، ان ميريك دعاها للعشاء خارجاً، مما زاد من
مرارة سولكونه لم يفكر مرة بدعوتها، بل كان يتعمد الابتعاد عن طرفيها.
وفي الاخير، ذكرت كارلوت ان مدرسة قرب بيتهما قد تطلب معلمة شابة
للعمل عندها بعد عيد الميلاد، فثبتت سوبالفكرة، وطلبت الى الفتاة ان
تتأكد من الامر وتعلمهها به فوراً.
وفي احد الايام، قرب نهاية الشهر، اصطحبها ميريك في الجولة
الموعودة. فقد فاجأها في احدى الامسيات بتجديد دعونه، وقبلتها في
سرور برغم اتها كانت عازمة تقريباً على رفضها.
كان صباحاً صافياً برغم هبوب الريح، وكان ميريك قد نبهها الى
وجوب ارتداء ثياب دافئة، بقوله:
«الدروب وعرة والطقس متقلب، فلا تمسكي بالملوحة وتل nisi تورة
ويبلورة رقيقة. اذا فعلت ذلك سأعيديك الى غرفتك لترتدي المطلوب».
كان في نبرته تهديد خفيف جعلها تبرع الى خزانتها وتحتار سر والا
معيaka وقميaca دافناً وكتزة وقبعة صوفيتين.
السيدة ليتوكس شاركت بدورها في العمل على انجاح الرحلة، ففيات
ساندويشات وضعتها في حقيبة ظهر خفيفة، اعطتها لسو متنمية لها رحلة
ممتدة.
ابتسمت سو وهي تركض الى حيث كان ميريك يجلس في سيارته،
وحالما صعدت الى جانبه ادار المحرك بفروع صبر وانطلقا.
نظر اليها وقال باسمها:
«تبدين متألقة هذا الصباح».
«ولقد نفذت تعليماتك بمحاذيرها كما ترى. انا مستعدة لكل شيء».
«وربما ما حللت هذا بالغبطة، لكن طالما نحن ذاهبان في مطاردة،
فالثياب الثقيلة آنس».
ففقر بصرها الى وجهه الاسمر وسألت في لففة:
«مطاردة؟ انتم انتا سطاردة الغزلان الاولى؟».

«الجواب نعم على كل الرؤى». فغلنبرودن شاسعة تبعاً لبعض المقاييس، مما لا يخلط بين الحجم والارتفاع المادي. إنها تضم غابة غزلان، مستنقعات تعيش فيها طيور القطا، والخليج الذي رأيته. أما في الأودية، فلدينا تلال ترعرع فيها الأغذية وبعض حقول الحبوب والخضار والدرية (كالبطاطا والفجل الخ). هذه الحقول هزيلة بغض النظر، ونعتني بتحبيبها عاماً بعد عام، يد أن الأرض ما تزال صخرية».
لم تقنع تماماً، فقطعت حاجبيها وتساءلت:

«تقول إن الارياح ليست كبيرة، فلماذا، ما دامت الأراضي واسعة وكثيرة؟».

«ولأن هذا النوع من الأراضي لا يتبع المجال لرياحه، اعطيك مثلاً، إذا كانت لديك غابة غزلان، فهي تحتاج إلى عناية مستمرة، لكنها تتكلف مالاً كثيراً . . . غابتانا نحن، بدأنا تندربينا بعد أن تعاقدنا مع الفتق على استجراره في موسم الصيد، أحياناً يتم الصيد وفقاً للأصول، وأحياناً يكون الموسم كارثة، وذلك حين لا يعرف الصيادون أي نوع من الغزلان يقتلون. في هذه الحالة، الجما مع مسؤول الغابة إلى الاتساع على كل شيء في ضوء خبرتنا ومعرفتنا بواقع الحال».

«لتفهمك أنت تدع الناس يقتلون الغزلان؟».

«ليس قبل أن تقوم بعملية الفرز».

«يعني إنكم تقتلون قسماً منها! هذه قسوة!».

«يجب أن نقتل عدداً معيناً من الغزلان كل سنة، كي نضع حدًّا لتكاثر القطيع».

استغربت هذا المقطع المغاير للواقع، فحوطها أرض هائلة، أميال واميال من التلال والوهاد المتبددة حتى حدود البصر وليس فيها من مخلوق، إنها تسع حتى لفات الغزلان!

تعلمت على مقعدها، وسألت:

«لماذا تمنعون تكاثر القطيع؟».

«لأن الغذاء محدود. غابتانا جلية بربة، وهذا يعني أن القطيع يجب حصره في أعداد معينة، والا ماتت الغزلان جوعاً لينها يعود العشب إلى النمو في الربيع».

«فهمت».

فكرت في قحل المرتفعات فبدا كلامه منطقياً، وهي لم يخطر لها ان تسأله عن طعام تلك الحيوانات البرية.
كان قد وصلاً مقطعاً للنهر على الطريق وحيث يتابع جريانه صوب الخليج. وبعد عبور المخاض اتجه ميريك بالسيارة بينما وراجه يصعد دربأ ضيقاً بجانب النهر، ومتابعاً مجرأ الصخري عبر غابة من اشجار البولا.

«شكري جداً».

هض ميريك حين تمايلت السيارة انزلة سبعة، حملت سو غبل بدورها وتقطدم بكتفه. ابسم واستدتها بذراعيه حتى استعادت توازنها، ثم قبس عل المقدود بكلتا يديه ليضبط الدواليب الدائرة على نفسها.
انكمشت سو في الزاوية، تحاول ابعد مشاعرها عن ملمس عضله وصلابة قبضته، ففضلت ان تترك افكارها على موضوع الغزلان. ثم سالت:

«الا يمكنكم اطعامها أغذية اصطناعية، كما يفعل المزارعون مع البقر؟».

ارجا الجواب حتى استقام الدرج أمامها، فاسترخت يده على المقدود وقال:

«لستعرض المشكلة من البداية. غابة الغزلان قد تبدو كبيرة على الخارطة، إلا في الواقع هناك أماكن معينة فقط تصلح للمراعي، وبالتالي، لتغذية عدد معين من الغزلان. هذا العدد ثرثرة واستدعاً واحداً ونعرف انه يأخذ كفايته من الزاد».

«الا تحتاجون الى اطعامها شيئاً آخر؟».

«أجل، نطعمها فاصولياً وبطاطاً وملحاً يابساً، الا اسلاً نجعل ذلك إلا في شتاء فارس جداً، لانه يكلف مالاً، ونحتاج إلى مردود سوري لستطيع تزويدها بهذا الطعام سنوياً. لكن الغزلان تعلق نفسها عادة بشكل جيد».

«لماذا قلت «عادة»؟

«لانه ليس دائماً يكون الشتاء قاسياً ومثيراً للمشاكل، وحيث يتجمع الثلج عميقاً في الجروفات العثيبة التي تزمن الغذاء للأياتل. وبحرين يتعتمق

نم اطلق شعرها ودفعها عنه في خشونة، فتكررت قربه ترتجف وتحلق كالخساء إلى الطريق. ثنت لو تبخر، او نكتب، بطريقة سحرية و- جسماً ضحباً، كيلاً تحس كل هذا القزم والعجز أمام ضخامتها وقوتها. لم يلتفت إليها وحاولت هي أن تمالك اعصابها، لم تجد جواباً ذكياً لعبارة الخشنة، ومررت الدقائق صامتة لينتها استطاع ذهابها المذهب ان يستعيد طاقتها الفتية.

كانت البرية على الجانبين تزداد توحشاً، وكانت شجيرات الخلنج تكاد تلتهم الدرب الضيق إمامها. يدت لها الطريق طويلة جداً، فسألته وهي تغطي ارتكاكها بطقة من المهدوء:

«هل ما تزال المسافة طويلة؟».

فأجابها بصوت أملس وكأنه أحسن ارتكاكها، واراد، برغم ذلك، ان يعادلها قليلاً:

«ليس كثيراً، إنما أرجو أن تكوني قد استعدت عافيتك تماماً لتمكنك من السير والسلق. أنا لست مستعداً لحملك، حتى لو أمرتني بذلك».

نظرت إلى اصابعها كيلاً يرى وجهها، وقالت:

«أني استحق جواباً كهذا».

دواهاماً نويت أن أساعده بهذه السهرة، لكننا متقطضي بقية اليوم معاً، ولست بارعاً في لغة الإشارات».

مزاحه البسيط كسر حدة التوتر وجعلها تضحك من قلبها، ثم تقول مازحة:

«بما انك تكيل الصاع صاعين، فإن مناداتك لي «بالأنسة فريزر». أحدثت التأثير المقصود من جانبك».

جوابه المتوقع ضاع في اللحظة التي توقفت فيها السيارة فجأة داخل مرآب طبيعي منحوت في جوف الصخور. فهافت سو متعدة الحدقتين: «يا المي! ما أروع هذا المكان!».

«هنا يتنهى الدرب وترك جميع السيارات».

تطلع في عينها يبحث فيها عن امارات ذعر فوجدهما تألقان بالاهتمام. أوما بامتنان وقال:

«من الآن فصاعداً ستعمل أقدامنا، والطريق وعرا».

فعلاً الطريق وعراً جداً، لكن سو فضلت الموت على التلغر، بالرغم من شعورها بالاستماع. سبقها ميريك قليلاً، حاملاً شنطة الطعام على ظهره، وكان بين حين وأخر يتوقف حتى تلحق به. كان الفباب ما يزال يلف جوانب التلال، ومع ذلك مضى ميريك قدماً لمعرفته الجيدة بالطريق. عندما صعدا أكثر فاكتئر بدا المشهد رائعاً، جبال، صخور، أودية خضراء وجداول متفرقة، فأضفت سو إلى الخير وكتأنه موسيقى يسأها الهواء. ثم سرعان ما انتفع الفباب، وهب نسيم عليل، فيما انتصب التلال ورسمت على زرقة السماء قمة جريئة محززة.

بعد ساعة من الصعود خرجا من حقول الخلنج إلى جانب التل العالي. كان حاراً بلا ظلال مما ازعج سو، لكنها انتشت حين وصلت كتف التل واحت الربيع تفتح وجهها. وكم شعرت بالامتنان عندما توقف ميريك وسمح لها بأن تشرب ماء عذباً بارداً من أحد الجداول.

نظر إليها متأملًا، فلا يلاحظ لطخة سوداء انقطعت على جبينها حين ازاحت عنه خصلة شعر بأصافيف ملطخة بشحوار الصخور. مد يده ونفث عن بعض التراب الرملي وقال ياسماً:

«عشت كثيراً يا سو؟ ربما انت في حاجة إلى الاغتسال أيضاً». انفتحت الماء العذب، فبادلته النظر والابتسام وقد انتهت بهجة الصعود عدامها السابق تجاهه. كانت في قمة الحيوية، يغمرها افتتان كلي ببروعة البرية، فقالت:

«الهواء رائع. انه يجعلني اسلق التلال لساعات بدون ان اتعب».

«عظيم، لكن امامنا مسافة طويلة وانت لا تملكون المثانة او الخشونة الالازمین لهذا النوع من السلق، فلا تهنى نفسك قبل الأولان».

كم يجب تحيط العزائم! قالت غاضبة:

«هل تفضل رفقة امرأة مسترجلة؟».

انقدت عينيها وحاولت جاهدة ان تبقى موضوعة. انه على الارجح، يقصد النساء اجمالاً وليس فقط اثنى عدمة الخبرة مثلها، ومن واجبها ان ثبت له خطأه.

«امرأة مسترجلة».

ردت بفروغ صير وراحت تنتظر جوابه.

«انا شخصياً لا افضلها. كنت انكلم عن وعورة الارض وليس عن».

شقا طرقها على كف الجبل، صاعدين بين صخور ومتدرجين بين حجارة. الريح التي تهب على وجهيها صارت الآن تترنح خلفها فتصغر من خلال الشرق الفيحة بنواح غريب. ارتجفت سو وقالت من خلف ميريك:

«صوت الريح غيف».

وانه مكان موحش، لكن افواه رائع كما قلت».

لم تستطع سوان ترى شجرة واحدة حولها او فوقها، فسالت متسائلاً:

«اين هي الغابة؟ اقصد غابة الغزلان؟».

فضحك ميريك وهو يعدل بندقيته على كتفه، وقال:

«اما اخيك احد يا سوان لا اشجار في غابة الغزلان؟».

غضت ثغتها وتابت سيرها خجلة. يبدو انها لن تفوز عليه، فهي شعر فوق هذه التلال يانها جاهلة كلية، ولا عجب ان يضحك منها ويزأ.

استد كوعها بكفة، وقال لما لاحظ وجهها الحاذب:

«لا عليك، كثيرون يقعون في الغلطة ذاتها. لكن لا تأسلي ماذا يسمونها غابة والشجر قلباً ينت فيها».

ازالت كلماته اللطيفة كريٌّ وتابعت السير خلفه. كان الدرب شديد الانحدار وحجرية، لكن سرعان ما انعطف حول منكشف صخري واتجه عند حاجز حجري ضخم. وصلت الى حيث توقف ميريك ووجده يضحي بالتلال من خلال منظاره.

«انتظري يا سوان اعل. هناك ايل. انظري كذلك الى «بن كرواد» انه يقف على مدخل الوهدة العثية. اذا حالفنا الحظ سنرى الايل من مكان اقرب. خذى النظار لترى بنفسك».

اربكتها لسة ذراعه فتناولت النظار بيدين مرتحفين قليلاً، وركبتة على البراري بحب تعليماته ولم تلبث ان لحت شيئاً بنياً يتحرك.

وسالت بلهفة وهي تعم النظر اكتر:

«اهذا ايل؟».

«اجل. انه ايل كبير. نحن ابعد من ان نرى قرونـه لكنه ضخم».

«الا يمكننا الاقراب قليلاً؟».

«الاقراب صعب».

ثم اضاف بصوت خافت:

«الريح في صالحنا لأنها عادت تهب صوبنا، وفي هذه الحالة لا يمكن الايل من التقاط راحتنا. فالغزلان، لعلك، لديها حاسة شم حادة والى درجة تشم فيها الانسان من مسافات بعيدة جداً. ولكننا سناحول الاقراب».

ازاح ذراعه عنها وابعد قليلاً، فادركت سو بخيبة، ان بادره تلك كانت لا شعورية لحظة فقد كان مستغرقاً في مراقة الايل وغير شاعر بوجودها. سارعت الى كبت رغبة مقاومته في البقاء تحت خيمة ذراعه، وهي تهبط خلفه باحتراس المنحدر المخيف. كان الاقراب صعباً بالفعل، فاقلل ارتظام بخجر قد يجعل هذا الحجر يتدرج، ويدخرج منه كومة من الحجارة، ينهي الايل الى وجودها، ولذا وجدت صعوبة بالغة في الهبوط الصامت على السطح الوعر.

لكتها اخذت تراقب دعسات ميريك الخيرة وتقلدتها، وسرعان ما اتنقت الصنعة فشعرت بالاعتزاز. ميريك يدا معججاً بها ايضاً، اذ كان يهدئها ابتسامة سريعة كلما استدار اليها ليراقب تقدمها. وصلا نهاية المنحدر

وقطعا الرقعة المستقيمة ثم اخذوا يصعدان جانب الجبل. اختفى الايل لفترة عن نظرها، لكن ميريك طمأنها بأنه حدد البقعة حيث كان يرعن. كان كل شيء ساكتاً جداً، حتى ولا ورقة عث تحركاً صمت جديد بالنسبة الى سو، المعتادة على عجمة الشوارع الكبيرة. نعم اصبحا يزحفان ببطء على ايديهما وركبيهما، حتى وصلتا حافة ربوة صخرية تطل على واد ضيق، كان في منتصفه جدول ينساب بين الحجارة، اغاً لا اثر لوجهه الايل.

هس ميريك في اذتها:

«انا اكيد من انه انتقل الى الجزء الاعلى من الوادي. آني اعرف مراجعه جيداً، وعشبها لذيد تسعـي اليه الغزلان».

«آلت مناكم تماماً؟».

تقدمت الى حيث يقف، ورمته بنظرة جانبية متلهفة، يدا قوية ومتنظم الانفاس بعد كل ذلك الصعود الشاق، فيما كان جبينها حاراً متعرقاً.

فُتُورَتْ بِالْحَلَدْ

استمر يعذق الى التحدّر ثم اجابها:
 «اجل متأكّد. هناك غرين الجدول وجد
 نصل حاجزاً صخرياً يسد الممر، لكن يامك
 حافته. لن تكون الزاوية مناسبة لاصطياده.
 واصلاً هبوطها الى حيث الجدول، ويد
 ترى الممر بين الجدول وسفوح الجبل. اجت
 من الشاعر المكيوّنة والتلّهقة في آن واحد،
 الواقع معها. هكذا اعترفت لنفسها.
 «الآن نصعد سفح الجبل».

قال لها ميريك بليونة وهو يشير اليها بأن تتبّعه عن كثب.
كانت الشمس تدقُّ الصخر، والفجوات مغطاة بالعشب وبرك
صغيرة من الماء. بعض الأماكن كان لرجاً، فرحبّت سويد ميريك التي
امتدت تساعدها، وتلعلقت بها في قوة وهي تهض واقفة من كبوتها. حدثت
الله عندما يلغا القمة، اذ كانت مقطوعة الانفاس ومتعرقة وشعرها مبعثراً
على وجهها، ولما نظرت الى تحت، رأت قبعتها الصوفية معلقة على غصن
شجرة ياسة.

قرها ميريك منه واسع لها مكاناً قريه . ومن مكانها عند منتصف الجبل ، تكنا من روية قمة الوادي . كانت صغيرة المساحة ومكتظة بصخور سقطت على الارجح من صخور اعلى . بدا العشب ندياً الخضر ، وغرياً بالنسبة الى هذا الوقت من السنة . وسرعان ما انجذب بصرها الى الحيوان الذي كان يقضم العشب ، وهو غافل تماماً عن الغربين المحدقين اليه . كان ايلا جيلاً بي اللون وذا فرن مشتعب .

٨ - هل انت بلهاء؟

في غمرة لفتها، ثبتت بنراغ ميريك، لكنها تذكرت وجوب الكلام

«ما اجل هذا الحيوان!».

شهقت في خفوت، وعيتها تسعن اعجاباً لأول مرة في حياتها شاهد
أيالاً خارج الأفلام والصور، ولذا راحت تراقبه مسحورة من مكمنها العالي
على الصخرة. كان يبعد عنها مسافة مئة ياردة، ويرفع متقدماً في بطء
صوبها، فاستطاعت ان تُحصي عشرة فروع في قرنه. ولما استفسرت ميريك
عن صحة احصائها، وافقها عليه واضاف:

«انه ليس من الايائل الملوكية، فهو لا ينتمي لفروعهم في ائل عشر فرعاً، ولكنه رابع، واقدر عمره بسبعين سنة. لن ترى واحداً افضل منه».

ولكي يتبع لها مشاهدة افضل ، فرد ساقيه ، ووضع بندقيته على سطح الصخرة . جلس سو قربه ، حواها صمت عميق ، مكتها من سماع حواري الایل وهو يركل الحجارة . كان يتقدم نحوها في بطيء شديد ، وفي غفلة تامة عن وجودها .

«قد يكون هناك أكثر من واحد». هس ميريك وهو يعدل جلسته في الميز الضيق. كان قريباً منها حتى تكاد ترى وجهها منعكاً في عينيه السوداويين. وخشيته ليرهه ان تتحرك او تتكلم او تفعل اي شيء من شأنه ان يعكر احساسها باللاحقة. فاتحة الطويلة القوية العضلات تكاد تلامس ساقها، وانفاسه تلقم خدها بذلة

واحدة، وقطعه بوابة اخرى ليختفي في ثوان في اسفل الوادي . سرعته
اللامعقولة اذهلت سو، فشققت، ثم خيم صمت ثقيل ، قطعه ميريك
حين نهض برشاقة، وقال:

«عساك فهمت الآن لماذا ي تعد الناس ذاتياً عنهم».

فتهافت بدورها وقالت في وجوم:

«اعتقد الى كثت اوفر حظاً من سوائي».

«أجل كنت مخطولة، ويجب أن تكوني ممتهنة لوجودك مع مطارد غزلان»

«ما حبك من عناق الامتنان يا سيد قيندل».

وَإِذَا خَاطَبْتَنِي بِالْسَّيْدِ فِينَدِلِي مَرَةً أُخْرَى، فَلَمْ تَعْرِفْ مَا ذَهَكَ إِلَيْهِ
بَعْدَ أَنْ تَفْضِيَ مِنَ الْأَغْرِيَاءِ!

رقصت على شفتيها ابتسامة لا مبالغة، وقالت:

«انك تفيس اليوم بالتهديدات الخففة! معظمها فارغ على الارجح لكنه، لا انتقم للخوف بغيره».

لم يكفل نفسه عناء الرد. اكتفى بجزء كتف، واستدار يتابع هنوطه، تاركاً إياها تتدبر أمرها. القت نظرة حزينة على مكان الأيل الحالى ولحقت بغيريك متشرة، فإذا بها تنزلق على الصخور وتسقط في كومة مخجلة عند قدميه.

لم يسد اية خوالة لساعدتها، بل قوس حاجيه وغمغم هازتا:

‘هذه طريقة جدة من طرق القوط’.

شخصت اليه في اختصار وهي تلملم نفسها وتهض. كانت يداها مخدوشتين حيث حاولت التثبت بضمير، كذلك احست المأوى في احدى ساقيها. لكن كل هذا، لم يحرك فيه عرقاً من العبر ان تقذفه بآية عبارة لاذعة لانها سترتد كما الكرة من على جدار غرفة القاسى! حتى الان، هي تنفس الغبار عن ثيابها وهو يلتقط معطفه وينظر الى ساعته... قال: ولتناول الطعام وبعد ذلك تنهياً للعودة. الساعة تقارب الثانية واماتا مسافة طبلة».

سار على الدرج الحجري بخطوات عريضة ثم توقف قاتلاً.

وَلِلْأَعْمَالِ الطَّيِّبَاتِ يُجَدِّدُ مَكَانَ حِيدَرَبَادَ مِنْ قِبَلِهِ، إِنَّهُ أَكْثَرُ رَاحَةَ مِنْ

عندما يتكلم . كان قريه لاهياً، يصرف ذهنه عن الحيوان الراعي قبلتها .
تفتت بعنة . **قالت سارة :**

تنفس بعمق وقالت بسرعة:

«يغيل إلی ان الاياتل تشابه، کما الخراف».

ولا تقولي هذا الكلام امام المسؤول الاول عن القطبيع، فهو يعرف
معظم الايات من عبرد النظر اليها. اتنا نجمع قروتها احياناً لتحديد
تطورها، وهي تستدل قروتها كا، سنة بقرون حذبلة.

وفي احدى المرات استطعت، انا ودونالد، ان نجمع ثلاثة قرون على مدى ثلاث سنوات متالية للايل نفسه. كان في الثامنة من عمره، والقرون تلك اظهرت خصاً ملحوظاً بالرغم من ان عدد الفروع لم يتغير.

سرها ان میریک جسم بتطور الحیوانات الحیان کا هتمامہ با صطبیادہ،
و عم ذلك سائے پتہ لوم خفیہ:

«كيف تخذلون الآيات الواجب قتلها؟».

ونختار عادة ذوات القرون المشوهة لأنها لا تصلح للتسلسل الاصيل بصورة عامة. ثم هناك النوع الذي ليس له قرون على الأطلال، بل كتل عظمية قاسية يدل القرون».

«كَتَ احْبَبَ أَنَّ النَّاسَ يَفْضُلُونَ اصْطِيَادَ الْأَيْلَ الْمَلْكِيَ عَلَى سَوَاءٍ».
«لَيْسَ دَائِيَاً، تَنَا لَا نَصْطَادُ الْكَثِيرَ مِنْ هَذِلَاءِ، وَلَكِنَّ، قَبْلَ أَيَامٍ، حَظَى
أَحَدُ الصَّيَادِينَ بِوَاحِدٍ رَائِعٍ مِنْ ذُرَى الْأَنْثَى عَشَرَ فَرْعَانًا، يَصْلَحُ ثَامِنًا
لِلْمَاتِطَاءِ، ارْسَلَهُ إِلَى مَخْنَطِ حَيَّاتَنَاتِ فِي مَدِينَةِ دَنْدِيِّ لَكُنَّ لَا تَحْسِيُّ إِنَّ
جَمِيعَ نَزَلَاءِ الْفَنْدَقِ يَرْغِبُونَ دَائِيَاً فِي الْاِصْطِيَادِ، فَكَثِيرُونَ مِنْهُمْ يَطْلَبُونَ فَقْطَ
إِنْ يَشَاهِدُوا وَيَتَعَلَّمُوا، مُثْلِيَاً تَفْعِيلَنَّ اَنَّ الْآنَ».

اشاحت عنه وقالت ناظرة الى الابال:

«لم اعرف بأنك ستيم في هذه الفرصة الا بعد خروجنا يا سيد فنيدل».

فأجابها في سخريّةٍ فاعنة:

«هذا جزء من الخدمة».

اغاعتُها نيرة صوته، فاستدارت بحده، وبيت في تدرج حجر صغير، بالكاد تقدر الاذن البشرية ان تسمع صوت مقوطه، لكن الايل توقف فجأة، ورفع راسه منصتاً، ثم امال بذنه اليراق جانباً، وراح يتثني لهواه. وقيل ان يتحرك احدهما من مكانه، ركض الى الجلول بقفزة

الجلوس على الصخور.

مشت وراءه محاذة الجدول صعوداً، ولما توغلنا في الوادي الصغير،
احست بالارة العزلة، وكأنها رائداً يسكنها سحابة من العالم
ويرحلان على ارض يكروي. اطلقت لخيالها العناد، فراح يعلو في كل
الاماكن التي ناقت لرؤيتها والتي لن تراها على الارجع. احست الوادي
مكاناً عيناً، تحت عناصر الطبيعة ياروع التقوش، وتضافرت الشمس
والربيع والامطار على جعل صخوره قممأً وشقوقاً وفجوات. اعترتها رجفة
باردة حين اطبقت عليها العزلة كحبيب يرفض اخلاء سبيلها... هنا، قد
يغيم المرء لسنوات قيل ان مجده عابر طرق.

وسرعان ما وصلت البقعة التي ذكرها ميريك، وكانت عبارة عن حلقة من الصخور المفلترة، ذات ارضية مسطحة مغطاة بعشب عملاق يابس، لكنه كان سعياً لكتفاته مربرم للجلوس.

هل يُغيّر هذا بالغرض؟

سأله ميريك ياسماً وهو يناوها حقيقة الطعام. وبدون ان يتضرر موافقتها، استد بندقيته الى صخرة ملساء، ثم نزع سترته الجلدية ولفها كوشادة قيل ان يستلقى . وفي الاخير، مدد ساعيه وقال: «هيا، قدمي الطعام يا امرأة».

تأملت طوله يشيء من الحق ثم اعتراها خضوع غريب جعلها تندد طلبه. حاولت اقناع نفسها بأنه يستحق الخدمة بعد مشقته وليس لأن قلبها لم يعد قادرًا على مقاومة هذا الرجل المغرور الوسيم. بدا لها أمرًاً جدًّا طبيعيًّا أن يرتاح هو وتقدم له هي الطعام الذي هياته السيدة لينوكس. استعاضت عن المائدة بسخرة مطبعة قريبة، ووضعت عليها ساندوتشات اللحم والفتور.

جلت قرب ميريك، ففتح عينيه، وارتکز علی مرفقه حين ناولته
الساندوش فلاحظ آثار التسلل علی وجهها، وكانت غسلته بماء الجدول.
ناما مشتا الزاهة، وقال:

«انت خادمة بارعة، ولو كنا في عصر اخر لفكرت في ابتكاعك». «هذا اطراه عل ما اعتقد. لكن هل كنت مستاوم على في سوق لتخasse؟»

«ربما، بداعي الاغراء». .
«حق لو كان السعر باهظا؟». .
احتواها بنظرية كسلة، فعيقت من شيء لا يهم تراوي لها في عينيه،
وجعل حلقها يتضيق. ففضحك وقال:
«انت التي قلت ذلك، وليس انت يا حلوق سو. قد تجعلين الرجل في
لحظة ضعف، لا يفكر في السعر اطلاقاً». .
«لكن من الجائز ان تندم على ذلك في وقت لاحق!». .
أي غباء يهدوها على متابعة هذا المخوار الحاوي والذي يشبه السقوط في
هوة بلا قرار؟ استمر يرمي بها بسخرية، وقال:
«قد يتوقف الندم على عدة امور، لأن سعر بعض الاشياء يفوق قيمتها
الحقيقة يا سو».

اندلعت فيها شارة غضب فاطفاتها بقضم تفاحة بأسنانها اللزوية. ثم
قالت:
«إنك لا تحب النساء كثيراً، أليس كذلك يا ميريك؟».
«إن لك موهبة عظيمة في طرح الأسئلة السخيفة يا سو. بالطبع لا أكره
النساء. لكن رأيي فيهن... هو شيء آخر بالمرة... هل تقصدين النساء
بصورة عامة؟».
ماذا يقصد؟ لن نطلب إليه أن يشرح قصده، لأنها تدرك غريزياً أن
الحكمة تقضي بتغيير الموضوع. هرت كثفيها التحيطتين، وتظاهرت
بالشلوب مللاً، ثم تناقلت بسك القهوة.
«لقد استمتعت اليوم تماماً.

اكدت له في تهذيب جم وهي تصفي السكر الى فنجانه، وتابعت:
«الليل كان رائعاً... وكذلك هذا المكان».
رفع حاجيه لفهمها انه وعى تجاهلها لسؤاله الآخرين، وغمغم بلا
اكتاف:

«طللا سمعت هذه المعاشر وهذا الكلام من قبل». «ليس غريباً أبداً، ان يقع المرء في حب مكان في خلال وقت قصير». فأعاد فنجاته في نكاسته وقال بصوت لطيف: «ومن هذه الاماكن البرية الوعرة، لا تناسيك ياسو، انت انسنة طيبة وحيلة

الذى يطمئن به حيواناً صغيراً وهو يأسره بين ذراعيه. وهنا، شعرت نفسها مضطربة إلى القول:

«هل من عادتك قبض الشمن، بهذه الطريقة؟».

«وهل هناك طريقة أكثر ارضاء من هذه؟».

صمنت تفكير في عبارته فلم تتعجبها كثيراً. كانت تدرك مدى قسوتها أو اراده استعمالها، وتدرك خطورة مناورته، وبرغم ذلك لم تكترث. صحيح أن سكرها الخام قد يكون مدعاة للمشاكل، غير أن انسجامها العاطفي ينذراعيه بدا صعب المقاومة. أنها تعانقه ليس الا، وقد آن لها، وقد بلغت الحادية والعشرين من عمرها، ان تخل قليلاً عن روادها العاطفية السابقة. لكنها تهتدى يأس وهي تمنى لو أنها تحمل بعض الارشادات المناسبة!

ودعوا توقع، ارتكز ميريك على مرفقه، وقال متأنلاً:

«لماذا تنهدين يا حلوي سو؟ اترك عبارة في كيفية التصرف ازاى؟».

ون صوته هازناً متسلياً، فاحت مقاومتها المثلثية تعود إلى التصلب، وكانت نافية النهاية باستثناف:

«لم افكر في ذلك اطلاقاً».

ولكي ثبت صدق كلامها، نظرت مباشرة إلى عينيه، لكن ابتسامتها الصغيرة لم تتجدد تماماً، اذ قرأت في نظره شيئاً جعلها ترفع رأسها متهددة، وفي اللحظة نفسها، انحني بخاتمة العطف والرقة، وعانتها حاولت الانفلات، لكنه امسك برأسها من خلف وجده عتفها، ثم راح يداعب شعرها ويبيح عصارات المزينة عن جبهتها وادنتها عانقته تلقائياً، ومررت اصابعها في شعره الأسود، ثم ابعد وجهه فجأة، وغضّم:

«يا لسو المكينة التي حبت اتها ستحسن التصرف!».

لستها كلما نهضت بعجزها عن مقاومة ارادتها العاطفية الخاتمة، فاجابت بشهقة مبهورة:

«قد استطيع التصرف اذا اطلقت سراحي، فلولا قررت

الوحشية...».

فبرقت عيناه وهو يقول:

ولكن لا توهى نفسك بذلك، فالنباتات التي تنمو في بيوت زجاجية خاصة يجب ان تبقى فيها، وان لا تسمى الى الازهار حيث اقصى النباتات تقدر فقط ان تخبا».

«لقد رافقتك اليوم الى هنا، وتغلبت على كل تلك الاراضي الوعرة، وبرغم ذلك تخرب على هذا الكلام!».

تجاهل شهقتها الغاضبة فنهض وحمل فنجان القهوة الى الجدول حيث شطتها، وعاد ليقول وكان شيئاً لم يكن:

«من النادر ان يكون الطقس حاراً هكذا، وكأننا في يوليو / تموز».

رأقته من تحت اهدايا الكتبة، وقبضت بالرغم منها على حجر كبير وكانتها تزوي رجه به. لماذا يستمتع باثارة غضبها، وباثارة خليط من العواطف قد لا تستطيع فرزه ابداً عن بعضه البعض؟ وهفت تهمة حاتمة:

«انت لا تشعر نحوى يأى ود، ايس كذلك؟».

وحالما نطقت العبارة، احست أنها قالتها له من قبل. استدار وجلس قرباً في هذه واجاب:

«قد يكون صحيحاً ما تقولين. لكن ليس من الضروري دائماً ان يكون الود عنصراً في العلاقة بين رجل وامرأة. ام ترك لا توافقين؟».

عيناه قسرت قصده حين راحتا تأملانها كلها، ثم جذبها الى ذراعيه في قوة ويطه، عيطاً خصرها بذراع، ومستدرأ رأسها وكتفها بالآخر.

بعد ذلك بفترة طويلة، تسللت سولاناً لم تجدول الهرب، ثم وضعت اللوم على شدة الحر التي بلدت حواسها جزئياً، وعل صمت المكان المغناطيسي. كذلك الشعور بانها وميريك فيندلي كانوا منعزلين عن العالم فاعتبرته استمراً طبيعياً للبيحة التي غمرها في الصباح.

تملئت قليلاً، اذ احست خطراً خفياً من البقاء حيث هي، لكنه منعها من الحركة، وقال يأمرها بصوت كرسول، ودفعه تصفيط على رأسها:

«لا تتحركي! تذكرني انى عبرت لي قبلًا عن امتنانك!».

هل يقصد؟ حاولت الكلام فالتصقت الكلمات في حلقاتها. كان هناك استمرار غريب لشعور سابق يتغلب عليها وينعمها من الاعتراف. اما ميريك، فكان يغضبها بلطف، وكانه يعني تعطيبها، بالشكل نفسه تقريراً

«لماذا تلجمين ذاتي الى الاعذار يا سو؟ قد تلتزمين بعد قليل، بانك تحملين كرها اساساً لهذا النوع من التحجب». كان ذهابها يتحقق في خباب، ففضلت الاعتراف باتصاف الحقائق، ولذا اجابت:

«ليس تماماً، لأن ذلك يتوقف على الذي يكون معي». «تم ماسون مثلاً؟ ان لاتسائل، هل تكتفين ذاتي الى هذا الحد؟». «أنت لا تصدقني، أذن؟». «اصدقك كم اصدق الشيطان!».

غمغم بخشونة وهو يضمها مجدداً الى صدره، فنسبت كل آرائه، فيها، وقد فقدت الشعور بكل شيء الا ب حاجتها الى حبه ودفنه. احسها ترتجف، فرفع رأسه قليلاً وقتنم:

«كيف كانت أيامك الجامعية بالنسبة الى الحب؟». «لا عليك من ذلك».

سمعت نفسها تحيط من خلال ضربات قلبها المدوية. لقد عادت تكذب. مدفوعة برغبة مجنونة في البقاء بين ذراعيه، ولأنها اذا اعترفت له ببراءتها، فلن يعود راغباً فيها، وهي لا تتحقق في هذه اللحظة الا ان يكون لها.

«سو؟».

هتف اسمها في خشونة، فحبته سبحة من هذه اللحظة التي تتظرها طوال حياتها، اللحظة التي قد تسعم فيها باغرق العقل في بلجة لاحساس الخارج، الا انه شدد عنقه، فاختفت ظنونها وارخت العنان شاعرها.

«حببي؟».

هست بصوت مكتوم، لكنه سمعه على الارجح لكونه رفع رأسه على شنو، وبدا كأنه يتراجع، اذ هض واقترا بحركة رشيقة واحدة. انقضها معه برغبة وانتظر حتى استعادت توازنهما، وقال بصوت جاف شا فيه مسحة افعوال:

«ماذا توقعت هذه المرة، يا حلوفي سو؟».

تحمّدت عيناه الزرقاويان وهي تشخص اليه، فيما انعكس اضطرابها

الداخل في الاحرار الذي خصب بشرتها البشرة. فهيفت:

«أني اكرهك!».

كانت تحاول ان تتحداه في عنف، كارهة غروره، ومتمنية العودة الى ذراعيه في الوقت نفسه. قلص اصابعه على ذراعها ليتمكنها عن الحركة واجاب:

«لا، انت لا تكرهيني. لكنك قد تهققيني اذا بقيت هنا. بالله عليك يا سو، انضجني قليلاً!».

بدأ جسمها التحجيل وكأنه يذوي على ذراعه، وقالت بصوت خافت يمزوجه توتر وحيرة:

«هذا الحديث لن يفيدنا».

«لو جاريتك لما كت غفرت لي ذلك ابداً يا سو، بل قد تهمي بي باني تعمدت توريطك للاحصل على الاملاك، باني كنت احاول تقيدك الى بسلام لكونك وريثة».

«لا يمكن ان تكوني جاداً في ما تقول؟». ولبرهة قصيرة، استوقفه شيء ما في وجهها، لكنه سرعان ما ابسم بدماثة، وقال مبعثراً آمالها الصغيرة اكثر فأكثر:

«في الواقع، كلامنا يتصرف في حق يا سو، وكلانا لا يعجبه تصرف الآخر، انا ما تعمدت ايدائك حتى، ولكن، لتنـ ما حدث، طالما الصباح لن يأتي بجديد. على كل حال، يجب ان نعود الان لنصل غلينزرودن قبل حلول الظلام، ولا اعتقادك انك ستستعينين قليلاً بقضاء الليل معـ هنا».

احسـت ببرودة جليدية وهي تمشي خلفه على ضفاف الجدول، ومن ثمـ على منحدر التل الوعر، حيث اضطررت الى الركض احياناً لتجاري خطواته العريضة السريعة. كانت تحدق الى ظهره العريض في تعasseـ، وتحسـ خواءً شديداً ما احسـه مرة من قبل... حينـ كانت واياه على الجبل، وذراعاه تحميـانـها من قسوـةـ الشمس والربيع والصخور، لم تـهمـها العودة الى غلينزروـدنـ، اما الانـ، فلا تـرغـبـ الاـ فيـ ايجـادـ مكانـ تخـبـيـ فيـ وجهـهاـ، والـشيـءـ الرـحـيدـ الذيـ يـرـيمـهاـ، مـرـانـ سـيرـيكـ لمـ يـدرـكـ مـبلغـ الـآمـ الذيـ سـيـهـ لهاـ بـرـفضـهـ لـمواـطـفـهاـ.

فروحاً وارتياحاً عندما وقفت بها السيارة عند مدخل البيت. هبطت منها وقالت في حساسته:

«أدخل فوراً لاطمئن على أبي، فلا ريب أنه استوحش في غيابنا». لكنها اخطأت التفكير، وتنبأ في ما بعد، لو أن رجوعهما لم يصطدم بذلك الخبر!

استقبلتها السيدة لينوكس عند امفل الدرج الداخلي الفخم، وهتفت بشيء من الارتياب:

«أوه، كم أنا مسورة لعودتكما! لديك زائر يا سوزان، اسمه السيد ماسون، واحتضر ماذا أفعل بشأنه؟».

كان ميريك قد التقى بيده بخفة على خصرها وما يدخلان البيت، واعتبرتها مجرد بادرة ودية، ومع ذلك استمدت منها طمأنينة كبيرة وسعادة لا توصف. غير أنها احست بهذه تقلص، وللحظة عابرة استشعرت غبـة وتحفـظـة.

اسقط ذراعـه بسرعة فتملكـها حزن مزقـ. هل يعقل أن يكونـ تـيمـ هنا؟

وأجابـتها السـيدةـ لـينـوكـسـ علىـ هـذـاـ السـؤـالـ حينـ اـصـافـاتـ:

«ـوجـاءـ بـعـدـ الـغـداءـ وـبـداـ مـضـايـقاـ لـأـنـ لمـ يـجـدـكـ ياـ سـوزـانـ.ـ لـكـهـ اـنـسـجـمـ معـ والـدـكـ كـسـرـيـانـ النـارـ فـيـ المـشـيمـ،ـ وـاعـضـيـاـ الـوقـتـ يـطـولـهـ يـتـحدـثـانـ وـيـتـسـامـرـانـ.ـ لـقـدـ هـيـاتـ لـهـ غـرـفـةـ،ـ وـهـوـ الـآنـ فـيـهاـ.ـ آنـ سـيـعـكـ عـنـدـنـاـ بـالـطـيـعـ،ـ اوـ عـلـىـ الـأـقـلـ،ـ هـذـاـ مـاـ يـعـتـقـدـهـ السـيدـ فـرـيزـرـ».

فـأـوـمـاـ مـيرـيكـ بـرـأسـهـ وـقـالـ بـدـعـاتـ:

«ـطـبـعـاـ،ـ فـنـحـنـ نـرـحـبـ جـداـ بـصـدـيقـ سـوزـانـ،ـ اـرـجـوـ انـ تـكـوـنـ رـحـبـ بـهـ يـاـ سـيـدةـ لـينـوكـسـ».

كان يتكلـمـ والـخـيـرـ تـجـاهـ سـوزـانـ،ـ فـتـقـلـصـ اـعـصـابـاـ وـتـسـرقـ اللـونـ مـنـ خـدـيـهاـ.ـ لـاـ جـدـوـيـ مـنـ القـولـ انـ هـنـاكـ خـطاـ ماـ،ـ اوـ انـ الزـائـرـ قـدـ يـكـونـ شـخـصـاـ اـخـرـ فيـ حـيـنـ كـاتـ تـدرـكـ غـرـيـزاـ اـنـ هـوـ وـلـاـ اـحـدـ سـواـهـ.ـ وـلـكـنـ مـاـذـاـ قـطـعـ كـلـ تـلـكـ الـمـسـافـةـ لـيـاتـ اـلـىـ غـلـيـرـوـدنـ؟ـ مـاـذـاـ اـهـمـ لـهـ تـرـغـبـ فـيـ رـوـيـهـ عـلـ الـاـطـلـاقـ.ـ لـيـسـ الـآنـ عـلـ الـأـقـلـ،ـ اـتـبـهـتـ لـلـصـمـتـ التـقـيلـ الـجـاتـ حـرـيفـ.ـ فـرـطـتـ شـفـقـتـهاـ الـحـافـتـينـ وـسـأـلـتـ السـيـدةـ لـينـوكـسـ بـقـوـهـاـ:

«ـهـلـ ذـكـرـ مـسـبـ جـيـةـ؟ـ هـلـ بـرـيدـ شـيـاـ؟ـ».

كـاتـ السـيـارـةـ فـيـ اـنتـظـارـهـماـ حـيـنـ وـصـلـ الـطـرـيقـ الـأـقـلـ اـنـخـفـاضـاـ.ـ وـبـعـدـ انـ وـضـعـ مـيرـيكـ اـغـرـاضـهـاـ عـلـ المـقـدـدـ الـخـلـفيـ،ـ اـسـتـغـرـتـ اـنـ يـفـتـحـ هـاـ بـابـ السـيـارـةـ وـشـرـعـ بـسـاعـدـتـهاـ عـلـ الصـعـودـ.ـ وـفـيـ هـنـاكـ،ـ اـسـتـدـارـتـ بـسـرـعةـ وـنـظـرـتـ اـلـيـهـ...ـ خـشـونـهـ اـخـفـتـ عـلـيـهـ وـسـامـةـ ذاتـ نوعـ خـاصـ.ـ عـيـنـاهـ السـرـيعـاـنـ الـلـاحـظـةـ،ـ فـمـهـ اـتـمـاسـكـ وـحـنـكـهـ الـقـدـامـ،ـ شـعـرـهـ الـكـثـيفـ الـأـسـدـ وـالـلـنـعـمـ حـيـوةـ.ـ اـدـرـكـتـ فـيـ تـلـكـ الـلـحظـةـ اـهـمـ،ـ فـلـأـرـخـتـ اـهـدـاـهـ،ـ كـيـلاـ يـقـرـأـ مـاـ تـحـتـهـ،ـ وـشـعـرـتـ بـشـيـءـ مـنـ التـعـزـةـ لـكـونـ تـصـرـفـهـاـ عـلـ الـخـلـيلـ،ـ لـمـ يـصـلـ حدـ الـإـبـتـالـ،ـ بـلـ كـاتـ مـدـفـوعـ بـعـاطـفـةـ قـدـيـةـ كـمـ حـوـاءـ،ـ لـكـنـ اـكـشـافـهـاـ يـاـنـيـاـ تـحـبـهـ،ـ اـنـهـلـلـاـنـ الـلـحـظـاتـ،ـ فـهـيـ لـاـ يـكـنـهـاـ اـنـ تـخـبـرـهـ ذـلـكـ عـطـلـ طـرـيقـةـ،ـ وـعـلـيـهـ اـنـ تـحـمـلـ التـائـجـ فـيـ حـالـ ظـنـ يـاـ اـسـوـاـ الـظـنـونـ.ـ كـانـ يـسـطـرـ صـعـودـهـاـ لـيـغـلـقـ الـبـابـ،ـ لـكـنـ رـفـعـ حـاجـيـهـ فـيـ سـخـرـيـةـ وـقـالـ بـنظـرةـ فـضـولـ:

«ـاـخـيـرـيـ يـعـاـدـاـ تـفـكـرـيـ،ـ اـدـفـعـ لـكـ قـلــاـ».

«ـاـنـكـارـيـ لـيـتـ لـلـيـعـ».

«ـلـكـنـ وـجـهـكـ كـانـ يـعـيـرـ عـنـ اـهـيـاهـ».

«ـاـحـسـيـ كـتـ اـحـلـ فـيـ الـيـقـظـةـ.ـ اـهـاـ اـحـلـامـ غـيرـ مـهـمـةـ عـلـ اـيـ حـالـ».

«ـقـدـ اـطـلـ بـكـ مـنـكـ غـدـاـ اـنـ تـعـلـمـيـنـ عـلـيـهـاـ بـالـتـفـصـيـلـ.ـ اـمـاـ الـآنـ فـيـجـبـ اـنـ تـنـحـرـكـ لـلـاـ يـقـلـ جـوـنـ،ـ وـبـخـاصـةـ اـنـ اـلـفـنـيـ عـلـ حـرـاسـتـكـ».

لـفـظـ الـعـارـةـ الـأـخـرـيـ بـمـحـيـةـ زـالـةـ جـعـلـتـ قـلــهاـ يـقـزـيـنـ خـلـوـعـهـاـ.ـ كـاتـ مـعـتـوبـاهـ مـرـفـعـةـ لـسـبـ ماـ،ـ وـلـمـ يـجـهـلـ اـخـفـاءـ سـرـورـهـ.ـ هـلـ تـرـاهـ يـجـبـهاـ قـلــيـلاـ وـهـيـ لـاـ تـدـرـيـ؟ـ كـانـ فـيـ ضـحـكـهـ رـيـةـ وـدـ،ـ لـاـ تـجـرـرـ عـلـ التـفـكـيرـ فـيـ خـشـيـةـ اـنـ تـكـوـنـ وـالـهـ فـيـ مـاـ سـمـتـهـ.ـ اـوـمـاتـ بـرـأسـهـ،ـ وـلـمـ تـعـلـقـ بـشـيـءـ حـيـنـ اـغـلـقـ بـاـهـيـاـ بـلـطـفـ وـصـدـ الـيـجـانـيـهـاـ.

كـانـ الـظـلـامـ يـتـجـمـعـ لـلـىـ اـنـتـرـاـبـهـاـ مـنـ الـبـيـتـ،ـ لـكـنـ اـتـنـاءـ مـرـورـهـاـ بـالـخـلـيـجـ،ـ كـاتـ الشـمـسـ الـغـارـيـةـ مـاـ تـرـازـ قـرـصـاـ اـمـرـيـقـاـ يـتـوـعـجـ عـلـ الـلـاءـ مـنـ بـعـدـ.ـ اـخـرـيفـ فـيـ الـرـيفـ،ـ يـثـرـ وـحـشـةـ الـخـيـنـ عـنـدـمـاـ تـلـوـيـ الـبـاتـاتـ وـتـشـبـحـ اوـرـاقـهـاـ.ـ وـقـيـ خـيـابـ الـصـبـاحـ الـخـامـسـ،ـ وـالـخـيـومـ السـرـاءـ فـرـقـ الـتـلـالـ،ـ هـنـاكـ حـزـنـ وـتـأـمـلـ،ـ وـاحـسـاسـ بـالـتـهـاـيـةـ مـعـ اـقـرـابـ رـحـيلـ الـخـرـيفـ.

شـعـرـتـ بـدـعـمـ حـارـةـ تـلـسـعـ باـطـنـ جـفـنـهـاـ وـتـقـلـصـ حلـقـهـاـ،ـ ثـمـ كـادـتـ تـهـفـ

جعلها علاقة عميقة ثابتة، وكل هذه المبادرات، كانت تضفي سو لدلي احتجاكها اليومي مع ايها. متعتها الشركة الوحيدة انحصرت في اعداد الكتاب، وعدا ذلك، لم يطرأ اي تغير مهم كفيل بتعزيز علاقتها. كانت تسمعها بتحدى ويفسحكان في انسجام، فيبدو لها ان ذلك يثبت شكوكها، بأن هوة السنوات التي فصلتها عن بعض كانت اوسع من ان يستطيعها تقريرها كما يجب. وبانه ان لم يحدث تغير ما، فلن تقدر ان تشعر بشعور الابنة الحقيقة لهذا البيت، او تقبل باحد اي حصة من غلينروdon في حال وفاة جون.

تيم من جهة، لم تساوره قلقون كهذا... بدا، كأيها، دائم الاستغراب لشبيها الشديد بعائلة فريزر، ولم يفوت اي فرصة ليجهز باستغراقه هذا. كان يوقنها باستمرار امام لوحات العائلة، لوحه اثر لوحه، ويتصفح معها الالبومات السيمكية المتضمنة صور العائلة الفوتوغرافية ليزك شبيها لهم بوجهها وقوامها معاً.

في صباح اليوم الثالث على وصوله، كانت واياه في غرفة الجلوس وقد حال المطر والربيع دون خروجها، فهتف تيم ضاربا على الوتر اياه: «ما عاد لدلي اي شك يا سوزان في انك ابنة فريزر. كم كنت حكينا عندها سمحت لك بالحربي الى غلينروdon. في اي حال، اخبرني جون ان محامي درس التفاصيل وتأكد من بتوتك بجون تماماً. يكفي ان تنظرى الى لوحه جدتك لتأخذني الجواب الصحيح».

استرسل في ثرثرة، فاستمعت اليه مرغمة وهي تحببه بجزء كتف وامامه رأس بين حين وآخر. لماذا احست بلمسة حية لما سارع تيم الى مخاطبة ايها باسمه الأول بمتنه السهرولة؟ صحيح ان والدها يكره المجاملات واستعمال الالقاب، اما كان يجدر بتيم ان يتمهل قليلاً في رفع الكلفة. ساءها كذلك، ان يكتب ناقة جون بسهولة مائة، وبعد يومين فقط على وصوله، صار يعرف عن غلينروdon اكثر بكثير مما حاولت هي ان تعرفه على مدى اسابيع طربلة... و ايضاً، صار عند جون شبه انطباع بأنها وتم سبتو وجان، وكلما حاولت افهم جون عكس ذلك كان يعزز اعتراضها الى خجل الفتنيات الطبيعي حيال موضوع الزواج.

عيّل صبرها من ثرثرة تيم فقالت اخيراً:

استلة سخيفة وغير لائقة ما كان يجب ان تتطلقها، وكانت مسترسل، لولا شيء رانه في وجه ميريك وهو يرميها واجأ، فجعلها تتوقف.

وقبل ان ترد المرضية، غمم ميريك في سخرية: «لا تطمحني استلة سخيفة ياسو. من الواضح ان الرجل لم يستطع الانتظار فجاء، واكرر ترحينا به لبعضه ايام اذا شاء، وفي الواقع، قد تستمتع بوجوده، اذا احسن التصرف».

كان في تبرته عنجهية لعنها وحستها بأنه شخص غريب وليس ميريك الذي احاطها بذراعيه في البراري، واوجد لذها انتباعاً، في طريق عودتها، بأن علاقتها كانت ترتفع بحلق الى مستوى اخراً لم يسعها اللحظة، الا ان شخص اليه يقلب مثلث، وهي تحاول لا شعورياً ان تبرر تصرف تيم: «ارجع انه اخذ اجازة وذكر ان يقضيها هنا ليفاجئني. لم يخطر له ان زيارته قد تكون في غير علها».

فقطاطعتها السيدة لينركس وهي تحيل بصرها بيتهما: «ليس في زيارته اي ازعاج يا سوزان، فلا تدعني بذلك يقلفك. اذا كان السيد فيندلي لا يعارض، فسأتعاون واياك على عمل البيت الاضافي». «الامر لا يعود الى السيد فيندلي!». ما قصدت ان تقول هذا، لكن الكلمات ازلقت منها في رعونه، «سوا».

صفعتها صرخته القصيرة فارتبتكت، واستدارت تبعد عنه، ثم عادت تنظر اليه لتجاذجاً بشحوب وجهه الشديد. لم تكن تدرى انه لولا وجود المرضية، لكان فقد اعصابه. لكنه اندفع من امامها في احتقار حق وصل نهاية البهرو، وقال بصوت متوتر وظهره اليها:

«اذا احييت دعوة ضيوف في مرة مقبلة، فارجوك ان تعلمينا مسبقاً بقدومهم، من اجل راحة والدك على الاقل».

لكن زيارة تيم لغلينروdon لم تحدث تائيراً سيناً بالنسبة الى جون الذي بدأ مستمتعاً برفقته، وحيث كان الاثنان يضيّمان فترات طربلة بتحدىان معاً، ما اشعر سوان صداقتها كانت تتطور في سهولة منهلة، بعكس صداقتها مع جون التي كانت ترسم بمحاولات مفتولة لترسيخها وتجهود مضنية

«بدأت اتساءل عن من سيكون الأكثر اتزاعاجاً من سواه! لكن لا تعمري او تقليقي يا سوزان فانا لا ابني الا المحافظة على مصالحك».
فأجابت في خدم وغفت:

«ليست لدى اية مصالح تحتاج الى رعاية يا تيم، لذا ارجوك ان لا...»

«ان لا ماذ؟ الا ازعج ميريك فيندلي العظيم؟ هل تخافين منه يا سوزان؟ يبدو لي انك تتحرقين بكل قواك للوقوف في صفة اهلاً فاجابت في اصرار:»

«ادفع عنه لانتلا نستطيع ادارة الاملاك بدونه. اما قولك باني اخاف منه، فهو فكرة مضحكة لا ادرى من اين أتيت بها يا تيم. اني نادرًا ما اراه». [١]

لم تبعد كثيراً عن الحقيقة، فميريك بالكاد اقترب منها، الا في اوقات الطعام التي صار يواضب على مواعيدها. وعدها ذلك، كان يتجاهلها ويقصر كلامه على التحيات العابرة، هذا الوضع يبيها كان نتيجة الحادثة على الجيل اكثر مما تنتج عن مجيء نيم وحيث تزامنه كان فقط من باب المصادفة. لذلك لن تزداد علاقتها السيدة سوما بسبب اي شيء قد يفعله نيم او يقوله، ولكن من اجل الحفاظ على صحة جون، عليها ان تحاول الحفاظ على المعاملة المهنية التي ما زال ميريك يمارسها تجاهلها.

وراحت ترافق تيم وهو يروح ويبحي ، مفكراً في ارجاء الغرفة ، متضحضاً
اللوحات الرايغة والتحف الشنية في خزانة الآثريات ، والمنصة بشكل
تزيني على رف الموقن الجميل .
وقال فجأة .

«هناك رجال آخرون، لديهم القدرة على إدارة الأموال بنجاح. عندما نزوج يا سوزان، سأبحث عن شخص أقدر من ميريك». فاجأته ثانية:

وأنا أكيدة بأنك ستفعل ! .
استدارت عل عقبيها لتخرج ثم سمعت حركة عند الباب، فتحت
شقة فزع حين رأت كارلوت كريمة تقف عل العنة وتحلق بها

«اعرف انك عل صواب يا تيم، لكن ارجوك ان تكف عن هذا الحديث الذي تخربت به اذاًنا حتى كاد يرهقنا. انك تصر عليه وكأنك تحاول جاهداً ان تقنع شخصاً معيناً بهذه الحقيقة».

تغیر وجهه وقال: «أي شخص؟ ذلك المدير مثلاً؟ انه يحتاج الى من يضعه في مكانه، وقد

اعمل هذا اذا طالت اقامتي هنا». «لكنك لن تكثت اكثر من اسبوعين... اليك هذا ما قلته انت؟ على كل، لست متأكدة تماماً من مركز ميريك الصحيح...»

«اذن قد حان الوقت للتأكد!»
كان صوته يحمل تهديداً غريباً، فتعثرت النفس في حلقاتها، واحتبر عرشة حروف لم تفهم لها سبباً، حين رأت في وجهه تصميماً عيناً.
وارجوك!»

هـت وهي تهدى اليه وتحاول تنظيم افكارها، تصرفه هذا، يغمرها
مـتـحـوـفـ مـتـرـاـيدـ وـحـمـلـهـ عـلـ الـاقـارـارـ بـاـنـهاـ ماـ عـرـفـ الاـسـترـخـاءـ منـ حـيـنـ
جـيـهـ، فـعـادـتـ تـسـمـنـ، لـلـمـرـةـ العـاـشـرـ رـعـاـ، لـوـ اـنـهـ لـمـ يـاتـ اـطـلاقـاـ. تـيـاـ هـلـهـ
الـاـجـازـةـ غـيرـ المـتـظـرـفـ وـالـمـتـعـتـةـ بـالـنـبـةـ اـلـيـهـ وـالـقـيـدـ بـدـأـتـ تـحـوـلـ خـيـةـ ذـرـيعـةـ
بـالـنـبـةـ اـلـيـهـ. جـاهـ يـقـضـدـ اـنـ يـنـاجـهـاـ، كـمـ حـزـرـتـ مـنـ قـيلـ، وـلـمـ يـلـاحـظـ اـبـداـ
اسـتـيقـاـنـاـ القـاتـلـ. كـانـ مـشـغـلـاـ باـكـتـابـ وـدـ جـونـ وـالـسـيـدـ لـيـتوـكـسـ، اـمـاـ
ميرـيكـ فـكـانـ يـعـاملـهـ بـبـرـودـ وـتـهـذـيبـ اـرـجـاعـيـ كالـذـيـ يـدـرـ منـ زـائـرـ مـهمـ تـجـاهـ
خـامـ فيـ الرـبـةـ السـفـلـ، فـتـشـعـرـ اـحـيـاـنـاـ بـالـكـماـشـ عـاجـزـ اـمـامـ نـبـرـةـ صـوتـهـ.
ـمـاـذـاـ تـرـجـعـ ؟ـ

«كُتْ سَاطِلْ مِنْكَ لَا تَحْاولُ التَّدْخُلَ يَا تِيمَ، لَأَنَّ مِيرِيكَ فِي تِيلِ، لَا
يَسْتَغْفِلُ عَنِهِ فِي عَدْدٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ، إِنَّكَ لَمْ تَفْضِ الْوَقْتَ الْكَافِيَ لِلَّتَّأْكِيدِ مِنْ ذَلِكَ
لِنَفْسِكَ، لَكِنَّ حَارِثَ أَنْ تَتَذَكَّرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا أَنَّ وَالِيَّ مِيَثَاهَ إِذَا
عَلِتْ شَيْئًا مِنْ شَائِهِ أَنْ يَزْعِمْهُ».

قال تيم وعيناه ترکزان في ارتياح عل معيها العائق، فيها لاحظت سو
نه بدا غير مكترث بالسب الذي جعلها تدافع عن ميريك. وتابع بنظرة
اللة:

٩ - رقصة وحيدة

كم من الوقت مر على وقوفها هناك؟ قالت سوزان نفسها وهي ترفع يدها الى وجهها في محاولة فاشلة لاخفاء الارتكاك الذي صبغ خديها بحمرة قانية. اما كارلوت، فكانت تبتسم بمرح، ولم تعط اي دليل على انها سمعت شيئاً ولكن ما اصعب التأكيد من تصريحات كارلوت! «الا توين ان تعرفي الى صديقك؟».

طرحت السؤال بلهجة استغراب، وارسلت بصرها داخل الغرفة ليستتر بغضول على وجه تيم الناظر اليها بغضول مماثل. تمالكت سوزان نفسها، وقامت بهمة التعريف برهناتها، بيد ان افكارها كانت تتلاطم وهي ترقب تيم يصافع كارلوت ووجهه يغيب بالدود والشاشة. تذكرت ما قاله لها لحظة وصول كارلوت فاجتاحتها الغب. كيف تجرأ على احراجها بهذا الشكل حين افترض بانها تلهف للزواج منه؟ لماذا، اوه... لماذا لم تفهمه رفضها القاطع يوم سألها الزواج في لندن بدل ان تماطل في الجواب لعدم اقتناعها اذاك بجدية طلبه؟ يجب ان تضع النقاط على الحروف في اسرع وقت، لكن من الصعب ان تفعل ذلك في حضور شخص ثالث. عادت الى الواقع لتجد كارلوت تخمس نبض تيم باصرار على كشف وضعه الحقيقي، اما كانت تخفي تصميمها تحت ابتسامة متألقة: «انت صديق سوزان من لندن، هذا ما كانت تحاول سوزان ان تقوله؟»

فاجاب تيم على الفور: «يمكنك ان تسمعي صديقها، الواقع، الذي امل في ان اكون اكثر من صديق، لكن ليس بيتنا ارتباط رسمي في الوقت الحاضر. هل تفهمين ما

اعني؟».

«بالطبع».

ردت كارلوت بسحمة ووسعـت ابتسامتها و كان النـا لـقـي صـدى طـيـاـ في نـفـسـهاـ، واـضـافـتـ تـقـولـ بـتـقطـعـيـةـ سـاحـرـةـ:

«لـقدـ عـدـتـ لـتوـيـ منـ لـندـنـ، وـاعـتـرـفـ بـأـنـ اـحـسـ بـعـضـ الـكـاتـبـةـ، لـكـنـ هـذـاـخـبـرـ الرـوـمـاـنـيـ اـنـشـيـ كـثـيرـاـ! هـلـ تـعـرـفـانـ بـعـضـكـمـاـ مـنـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ؟».

فـاجـابـ تـيمـ بـحـمـاسـ:

«اجـلـ، مـنـذـ وـقـتـ طـوـيـلـ. كـتـ اـهـتـ بـشـرـوـنـ سـوزـانـ وـاـمـهـاـ بـحـكـمـ جـيـرـيـ لهاـ، وـكـانـتـ اـمـهـاـ تـرـحـبـ دـائـيـاـ بـآـرـائـيـ وـتـوجـيهـيـاـ». حين تستقرـدـ كـارـلـوـتـ بـثـبـتـ قـالـتـ سـوـلـنـسـهاـ، مـسـطـرـحـ عـلـيـهـ كـلـ الاـسـنـةـ التي تـرـيـدـ، وـلـكـنـ كـيـفـ يـكـنـهاـ انـ تـقـعـلـ اـيـ شـيـ؟ يـحـولـ دونـ هـذـاـ اللـقـاءـ وـلـيـسـ هـنـاكـ شـيـ مـعـنـ تـرـيـدـ اـخـفـاءـ؟ اـنـ تـمـ اـنـسـانـ مـتـسـرـ، وـقـدـ يـكـونـ خطـاءـ الرـوـحـيـ اـنـ اوـجـدـ وـقـعـاـدـ بـعـدـ اـعـيـةـ تـيـجـةـ هـذـاـ الشـرـعـ، وـلـيـسـ لـاـنـ لـشـيـ بـطـبـعـهـ، بـلـ هـوـ اـنـسـانـ كـرـيمـ النـفـسـ فيـ اـعـمـاـقـهـ. اـمـاـ تـشـارـكـهـ الذـنـبـ عـلـ الـارـجـعـ، لـكـوـنـهاـ اـخـطـاءـ الـاعـتـقـادـ بـاـنـ غـيـابـهـ عـنـ سـيـجـمـلـهـ يـنـسـهاـ تـلـقـائـاـ. اـمـاـ الـآنـ، وـقـدـ جـاءـ فـدـلـاـ، فـكـيـفـ يـكـنـهاـ انـ تـعـلـمـ اـلـهـ الرـحـيلـ؟ اـزـاحـتـ خـصـلـةـ شـعـرـ عنـ جـيـرـيـهـ وـاـخـيـرـهـ تـعـدـهاـ. كـانـتـ كـارـلـوـتـ ماـ تـزالـ تـبـسـمـ وـتـبـدوـ رـاضـيـهـ كـامـاـ عـنـ نـفـسـهاـ. وـالـرـعـمـ مـنـ تـصـرـفـهـ الـوـدـيـ، خـامـرـ سـوـ شـكـ غـرـيـزـيـ فـيـ صـدـقـ تـلـكـ الـاـبـسـامـةـ، وـازـادـتـ اـرـتـيـابـاـ هـنـيـ قـالـتـ كـارـلـوـتـ فـيـ رـقةـ:

«يـجـبـ انـ تـذـهـبـ جـيـعـاـ لـسـهـرـ فيـ الـفـنـدقـ. مـيـرـيـكـ يـعـرـفـ موـاعـيدـ سـهـرـاهـ الـرـاقـصـهـ وـلـخـيـنـ تـذـهـبـ، قـدـ يـكـونـ لـدـيـناـ شـيـ؟ رـسـميـ نـحـنـفـلـ بـهـ، وـالـلـهـ اـعـلـمـ!».

ماـذاـ تـقـصـدـ؟ رـمـشـتـ سـوـرـاـسـعـتـ عـيـنـاـهـاـ حـيـنـ اـحـسـتـ خـيـةـ تـغـمـرـ قـلـبـهاـ. هلـ كـانـتـ كـارـلـوـتـ تـلـمـعـ الـلـمعـ الـوـجـودـ عـلـيـهـ مـعـيـنـةـ بـيـنـهاـ وـبـيـنـ مـيـرـيـكـ، وـلـيـسـ اـلـ عـلـاقـتـهاـ هـيـ بـتـيمـ؟ اـجـابـهاـ فـيـ حـدـرـ:

«سـأـفـكـرـ فـيـ الـأـمـرـ، لـاـنـ يـتـوقـفـ عـلـيـ صـحـةـ جـوـنـ بـالـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ». فـأـوـمـاتـ كـارـلـوـتـ موـافـقـةـ وـقـالـتـ:

وذكرتني بجون، فانا جئت في الاساس لاراء. كيف حاله؟». انتقال الحديث الى موضوع جون اشعر سو الامان، فطمأنتها الى صحته واردفت بلا تفكير: «كان يتحدث الى ميريك منذ قليل».

سرها الحير فافتلت شفاتها الحمراوان باتسامة شامته، وقالت وهي تستعد للخروج:

«تواعدت وميريك على النهاب الى بيرث هذا الصباح حيث سيحضر مزاداً علينا للمائية. سأعود معه مساء للعشاء هنا، فاللقاء». لوحظ بيدها مودعة فنظرنا اليها بصمت وهي تخرج وقال تيم في اعجاب حين سمعها نفتح باب جون وتغلقه: «انها تفكك بعقلها على الاقل، وتعرف من اين تؤكل الكتف، ام تراها يبدأت بالفعل تأكل كتفاً ما؟».

«لا اريدك ان تكلم هكذا يا تيم، انا اكيد من ان كارلوت لا تخفي دوافع مريءة، وانها تزورنا من باب المودة فحسب. وفي الصيف، هي تساعدنا في ادارة خيم العربات ولذا نراها كثيراً».

«خيم العربات؟ من يملك هذا المخيم، اذا جاز لي السؤال؟».
«يجوز لك ان تسأل، لكن ليس بهذه البررة! انه يقع ضمن الاملاك، وبالتالي اعتقاد انه يخصنا. لكنه قانوني منه بالثلثة ولو مكتب متكامل الشروط ويقدم تسهيلات عديدة. لذا لا موجب لان تشک في شرعيته».
فقطعلمها عندي ويشي من الدفاع عن الكرامة:

«اسكتني يا سو. انا لم المع الى شيء من هذا، بل اردت فقط ان الفتكت الى قيمة هذا المخيم كعقارات وكمورد للربح المادي اذا ادير بطريقة صحيحة، وانت تقولين ان ادارته متنفسة ومنتظمة».

«في مكان مثل عليبرودن، تتواءن المداخل مع بعضها البعض. فمع خيم العربات اضافة الى مشاريع اخرى، كمطاردة الغزلان مثلاً، يجب ان يعوض مادياً عن انعدام الربح من اقسام الارض الاصحى».

«يسعرون الغزلان ايضاً؟ اذن بوسعي ان ترئي اعلائياً قيمة يا سوزان. هل زرت الاملاك كلها؟ الديك فكرة عن مساحتها؟».
هزت رأسها صامتة، وقفت لو تحذر الجرأة على مطالبة تيم بعدم التدخل

في شؤون الآخرين امن الغباء ان تسمح له بافلاتها حق العمق، المحاكي توقفه عند حده من دون ان تخرج كرامته؟ ربما كان من الحكمه ان تلجم الى بعض الدبلوماسية... قال:

«واتذكر اني كت مع ميريك في الخارج يوم وصولك؟ وقتها شاركت في مطاردة الغزلان».

«اليس غريباً ان تكون تلك اول زيارة لك للاملاك، وقد مضى شهرين على وجودك هنا؟».
«ليس تماماً».

اذا كان ثمة تقصير من جانبي، فسيه خوفي على ابي يا تيم. انه معتل الصحة، ولم اشاً ان افعل اي شيء يضايقه، او يضايق ميريك فيندلي، فقال بقصوة ونزق:

«اني اتفهم جداً مراعاتك لصحة ابيك الذي احيته كثيراً، اما بالنسبة الى السيد فيندلي، فالمفروض منك ان تبني شخصيتك امامه والا دامس على مصالحك وطيرها كما الغبار».

شهقت معرضة فتجاهل ذلك واردف:

«لم تقل ابنة عمك كارلوت، انا مستذهب اليوم مع العزيز فيندلي الى بيرث؟ اذن، ما رأيك ان نستغل فترة غيابها ونلقي نظرة على المكان؟ احصل فقط على خريطة، ولا بد ان جون لديه واحدة في مكان ما، وانا سأتتكلف بالباقي. باستطاعتنا التوصل الى الاعاجيب اذا استمعنا بخريطة واصحة ويشي من الدهاء».

لم تعجبها نبرة صوته. فالفتت اليه قائلة:

«لكني... لا احب ان افعل كل هذا خفية عن والدي».
«اننا لا نقصد اي ضرر، ولا موجب لأن يعلم احد بالأمر اذا كان الكتمان يرتكب اكثراً من ناحية اخرى، لماذا لا تستمعين انت ايضاً بالخروج مثلما سيفعلان؟».

ادركت انه كان يتقصد تحريرها على مجاراته، لكنها حين وافقت اخيراً على اقتراحه، فعلت ذلك بدافع غيرتها من كون ميريك وكارلوت سقفيان النهار معاً، وليس بداعم الافكار المستحوذه على ذهن تيم. احسست، في لحظة صدق مع نفسها، بأنها لن تحتمل تخيلاتها الغبيرة اذا

فحت الوقت هنا في انتظار عودتها. من ناحية أخرى، ليس هناك ثمة سر من زيارة الأماكن، وتم كان مصباً على الارجح من الوجهة خطفية.

لكن حين دخلت غرفة جون، وجدت المهمة أصعب مما تصورت، وخاصة اضطرارها للمراءوغة بدل استعمال الصراحة. قالت: «أود أن أعرف تم إلى المنطقة. ولكن يسهل علينا التجوال، حيث سألك إذا كانت لديك خريطة لها تبين حدود غلينرودن وتقييماتها». فلاح تغير غريب على وجهه المتعب، ويرى مزاجه المعكر بأن كارلوت هتفت بشرتها، وبذا رافقاً لمزيد من الكلام. راعت سو وضعه فلم تلح السؤال، وقررت أن تخرج مع تم لفترة قصيرة ليستريح جون خلاها. لكن كان واضحًا أنه تضايق من طلبها للخريطة، وما عرضت أن تبقى

ـ، عاكس هذه الفكرة وقال بصوت مشاكس: «كان من الأفضل لك لو ذهبت مع كارلوت إلى بيرث حيث كنت متوجدين أشياء جديدة باهتمامك أكثر مما ستجدين هنا. اعتذر أن ميريك حفظ معظم الخرائط في مكتبه. لكن أيعين في الخزانة تلك، فلعلك تدين واحدة صغيرة».

وجلست الخريطة ونظرت إليها بخيبة، إذ كانت باهتة وشبه مهترئة، لمن تفاصيل منها كثيرة.

قالت:

ـ «اعتقد في مكان آخر واحدة من المكتب».

ففاجأها جون ببره الحاد:

ـ «لا، لا تفعل ذلك! أياك ان تذهب إلى هناك يا سوزان. اقصد ليس ون ان تستأنفي ميريك. لا أريدك ان تبعثر الأوراق وتعذبيه بتزييبها في هذه».

ـ «اعذر بالا اقترب من المكتب. لكن هل لك ان توضح لي الحدود على هذه الخريطة؟».

ـ «اذعني حيثما تريدين انا اتركيكي الأن يا سوزان. ارجوك! هناك أماكن بيرة يمكنك ارتقادها من دون ان تضييع طريقك فيها. ميريك اخذك الى جبل، لكنني لا اتصفح بالذهاب الي اليوم، لأنك اذا عدت فيه،

ـ ستجدين ان تم ماسون ليس ميريك فيندلي». احت سو بعض المهانة وانصرفت على عجل. لماذا يتعدد ابوها دائماً في شرح اي شيء عن غلينرودن؟ لا تذكر أنها القلت عليه مرة بفضوها، وإذا كانت الأماكن مرهونة كلها، او كان هناك اي شيء خطير من هذا النوع، فها عليه الا ان يخبرها ويهنى الأمر، فهناك اماكن كثيرة قد في مصائب وليس في ذلك ما ينجل. ليته يخبرها الحقيقة لتأكد على الأقل من ان كستانه ليس له علاقة بميريك. احتاجتها موجة حزن، وصعدت لتأتي بمعطفها.

ـ ناولت الخريطة لتم وقامت بعدمها خرجا من البيت: «سأأخذ سيارتي... ما زلت احتفظ بها لأنني افكر في ايجاد عمل وأحتاجها اذ ذاك».

ـ لن تخبره أنها في حاجة ماسة الى عمل لتحصل على شيء من المال، لأن سحبها تزعزع ويضحك لذكته!

ـ لكن تم كان لحسن الحظ مشغولاً بشخص الخريطة فلم يلق بالا الى ما كانت تقول، او بالآخر لم يسمعها بتاتاً، بل كان يتسام راضياً مسروراً، وقد استطاع على ما يبدو، ان يتفاهم مع الخريطة برغم اهتزائها وعمرها العتيق! وهتف وهو يدق الخطوط الباهتة باصبعه:

ـ «يجدر بك ان تهتم بهذه الاراضي بدلاً من تبحث عن عمل! فأبوبك يملأ مساحات شاسعة بموجب هذه الخريطة، ولا عجب اذن، ان يعجب السيد فيندلي هذه المعلومات عنك».

ـ (تم، ارجوك!) .

ـ (حسناً، اهدأي) .

ـ لم يعتذر ، ولم يد عليه اي ندم. بل قال رافعاً حاجبيه: «تعلمين ان املك اعتمدتك على في رعاية مصالحك، وانا احاول فقط ان الفتاك الى امر او اثنين، ان اياك في حالة صحية سيئة ، وليس مستحيلاً او مستغرباً ان يستغل الآخرون وضع رجل في مثل حالته».

ـ التزمت الصمت المطبق، فيكيفها عذاباً ان تفكك في الحقائق ذاتها ودوغما حاجة لان تصوغها في كلمات ... كانا يعبران خاصة النهر في طريقهما الى الخليج، حين اصر تم على زيارة خيم الغربات.

ـ قال متجاهلاً وجهها المتوجه وهو يتسنم بعنوية:

«سألني عليه نظرة سريعة فحسب، من يدري، لعلني أقصده يوماً
لا قضى فيه إجازتي».

توقفت، وراقبته ببطء من السيارة ويتقدم متوجولاً بين العربات. ثم
شد بصرها إلى الخليج حيث كانت ربع خفيفة تُحْرِج سطح الماء، وحيث
شجر الشربين والصنوبر يمادي الشاطئ «الرمل الزاهي تحت الهمام
الصانة...» الآن وقد توقف المطر، سيرسل الفضاء صقيعاً، كنكهة أولى
للشتاء. وتساءلت كيف سيكون الشتاء في جبال اسكندنافيا؟ فتحيلت
الآمسيات الطويلة المظلمة، والماواقد الحميمة، والعزلة التي لا بد أن تكون
جزءاً من هذا الشتاء. قد يظل وضعها غير محدد في غلينبروند، غير أن
الصورة التي تخيلتها سمعوها كل مثاعر التقصّ ذلك. الشتاء هنا يعني
ميريك وجون والستة ليتوكس، تيم سيكون قد رحل، أما كارلوت،
فرفقت التفكير فيها.

عاد تيم بمعنويات عالية من جولته في المخيم وبقى منشرحاً طوال اليوم.
ولدهشتها، أبت أنه قارئٌ خرائط من الطراز الأول واستطاع القيام بدور
الدليل، في أوعر الأماكن، بكل فعالية عظيمة. ولولا ذلك القلق المبهم في
خلفية ذهنها لاستطاعت أن تستمتع كلياً.
في أحد الأماكن، أصبحت الطريق مجرد درب وعر، يمر صعوداً في
مضيق صخري وعلى حافة هوة عميقة.

انبهرت سو وحبت انفاسها، فلعل تيم على شرودها في جفاف:
«ركزي بصرك على الطريق أمامك. متصل القمة قريباً، أهلاً لا أريد أن
اسقط في القعر».

كان المشهد من على القمة يستحق عناء الرحلة الخطرة. فخلف الخليج
والصخور، واجهتها الجبال وكانت رائعة على صدر الأفق. تمنت فيها سو
من بعيد، وخيل إليها أنها استطاعت تمييز الجبل الذي صعدته مع ميريك
بحثاً عن الإيل! حدثت تيم عن رحلتها الرائعة تلك وتساءلت لماذا
حدجها بنظرة هازنة.

سارا عائدين إلى السيارة، وقال تيم وهو يضع ذراعه على كتفها في
مودة:

«ستقدم قليلاً، ثم تنزل إلى الطريق العام ومنه إلى غلينبروند. هل

استمتعت بهارك؟؟؟».

«إذا كنت تقصد الجولة فقد استمتعت بها، ولو لا وجودك معي لضيغت
الطريق».

«هذا ما كنت أحاول إفهامك أيام اعرف إننا لا نتفق على أمور كثيرة،
ولكن دعني، على الأقل، أرشدك إلى بعضها، فانا لا أريدك أن تصابي
بضرر».

«أصاب بضرر؟».

صفق باب السيارة وكان صبره قد عيل من عنادها وعدم تعاونها،
وقال:

«اتسأله أحياناً يا سوزان، عما إذا كنت تعمدين الكتمان. لن يفيدك
ابداً أن تضعي ثقتك الكاملة في الشخص غير الجدير بالثقة».

«حسناً، هذا ما يقضى به العقل ولدي منه ما يكفي!».

كانت تحاول إبقاء الحديث في مجرى عام، لكنها احست بفشلها حين
سأل فجأة:

«هل أصيب جون بالمرض منذ زمن طويل؟؟؟».

«نعم، انه مريض منذ بضعة سنوات على ما اعتقد، هكذا اخبرني
الدكتور ماكروبرتس... عندما وصلت، كان تعرض إلى التواء في
كاحله، وفي الليلة ذاتها، أصيب ب绞مة قلبية حادة، ومن حينها لم يستعد
عافيه كما يجب. وقال الدكتور ان التواء كاحله وظهور المفاجئ قد
يكونان ساهماً في زيادة مرضه».

«الدكتور ماكروبرتس هذا، لا يعرف اللف والدوران!».

«صحيح يا تيم، لكنني طرحت عليه السؤال بنفسى فأعطيته جواباً
صادقاً. في كل حال لم تكن هناك فائدة من تجاهل الحقيقة، واحس باني
كنت مسؤولة جزئياً عن مرضه. لهذا لا يجب ان اسب له مزيداً من
القلق، وهذه النقطة تهمي جداً».

«فهمت، كنت دائماً تضعين اللوم على نفسك في كل شيء! غير أن
توقفت، في ضوء الظروف الحاضرة، ان تجدني سهولة في الاستقرار، اذا
حددت الأمور ووضحتها».

«كيف العمل ذلك؟؟؟».

«لو كنت مكانك، لقمت بمحاولة محددة لتنظيم الرفع بدون ان ارجع

جون. فلا بد ان هناك عقد عمل يختص بميريك فيندلي، قد تجدهن في مكتبه، وإذا استطعت ايجاده، فقد تعرفين منه حقيقة الاوضاع. هذه املاك ضخمة وبحذر بك ان تتحسسي بعض المسؤولية ما دام ابوك مريضاً الى هذا الحد».

كان ميريك قد خابر البيت في غيابها، واعلم السيدة لينوكس انه سيفنى مع كارلوت في بيروت، لتناول العشاء مع بعض الاصدقاء، وان هؤلاء سيوصلونه الى البيت في سباقتهم، ليوفروا على كارلوت مشقة ايماله ينتها.

واضافت السيدة لينوكس الى اخبارها قوتها:

«لم اكن، حسن الخطأ، قد باشرت تحضير عشاء كبير، لكن السيد فيندلي يراعي دائمًا مشاعر الآخرين ويخفف عنهم التعب ما امكن». ليس دائمًا هو هكذا، غعمت سو وهي تصعد لتنام. وبعد عشاء خفيف قررت النوم ياكراً، وتركت تيم يستمع الى الراديو اذ لا يوجد تلفزيون في غلينبرودن. وعادت تفكّر في ميريك الذي كان يغدق عليها الحب ساعة ثم يتجمّب التحدث اليها ل أيام و أيام. كان يثير مشاعرها الى حد الفلق ثم يتوقع منها ان تستمر هكذا، وكان شيئاً لم يكن! رىما بالنسبة اليه لم يحدث شيء على الاطلاق! هكذا الرجال دائمًا هرزاً، كثيفها بلا اكتئاث، فيها قلبها يتوجع. كم كانت غيبة حين تخيلت انها تستطيع قضاء الشتاء هنا... اهـ حتى استموت في خلاله! يجب ان تسأله كارلوت عن الوظيفة الشاغرة التي ذكرتها لها، فقد تجد من الضروري ان تتغيب عن البيت لترتاح قليلاً من عذابها.

بعد بضعة ايام، فاجأها ميريك بالقول، انه حجز طاولة لاربعة اشخاص لليلة التالية، واضاف موضحاً: «هناك فندق قرب بلدة بيللورجي ارجوان يعجبك، فهو يقيم كل سهرة بت حلقة متوعات ببيحة».

فأشرق وجه تيم، ووافق بصوت متواضع هذه المرة: «سيكون ذلك تغيراً للروتين، ويسعدنا انا وسوزان ان نذهب». وبالرغم من ان ميريك وجه الكلام اليها، الا ان تيم سلم جدلاً بان الدعوة تشمله ايضاً. ضاحيتها الطريقة التي حشر بها اسمها في جوابه، ومع

ذلك ما استطاعت كتم ابتسامتها، وهي ترقّب يلتهم البعض المقل ببلة، وقد ازالت وجومه ببهجة السهرة المتطرفة. انه لم يدرك بعد ان مسيرة الحياة في غلينبرودن كانت بطيبة جداً بالنسبة اليه، فمع الوقت سيفجره المدحه الى حد كبير، لانه، بخلافها، لا ينسجم الا مع حياة المدينة الصاخبة. في الليلة الموعودة، وصلت كارلوت متأخرة، ففأدروا اليت بعد السادسة. كان الغروب الخريفي بداً يتشّر، ومع ذلك، تمنت سو بالشاهد الرائع على الطريق.

استغرقت ان يصلوا بسرعة الى بيللورجي التي يرتادها السائح صيفاً، والواقعة في وادي تاميل المزین بالغابات البدوية. الى الشرق كانت الجبال التي بدت كظللاً بعيدة في عتمة الغروب، وفي وسط البلدة كان يوجد سد كلوني الشهير الذي يشكل قسماً من المشروع الكهربائي المائي المنضم غرف مراقبة وقنوات للاسماك.

وقال ميريك مخاطباً سو، وهم يتقدعون في شوارع البلدة: «يجب ان تأتي بitem للتخرج على بيللورجي قبل ان يعود الى لندن، فهنا ستجدان اشياء مثيرة للاهتمام اكثر من تلك التي رأيتهاها في جونكتيكا في غلينبرودن».

كيف عرف؟ حدقت بخيّة الى شعره الاسود وتساءلت... لا هم، ولا item، ذكرها الأمر لأحد، كذلك لم يشاهدا احداً خلال جولتها «الخبر» ذلك. وحين اعادت الخريطة الى جون، لم يكلّمها باتاناً، ولا ساحراً حتى كفّ فضيّهارها... عن وجهها وهي تحاول ان تتصور كيفية وصوله الى الخبر. هل هناك اي شيء يجري في غلينبرودن ولا يعرف بحلوته في نهاية المطاف؟ ضحكت كارلوت كاسرة الصمت، الا انها زادت الطين بلة بقولها: «هل ستروننا ثانية في عيد الميلاد يا سيد ماسون؟ انك مستمع كثيراً بالزيارة، وانا اكيدّة من ان سوزان ستتوخش جداً في غيابك».

وقبل ان يجيب item، انعطف ميريك بالسيارة فجأة، وعبر بوابة حديدية عالية ثم توقف امام فندق ضخم، وقال وكأنه توقع سؤال سو: «انه يفتح على مدار السنة، انا اعتمد في الشتاء على الزبائن المحليين». نزلوا من السيارة وتبعوه الى الداخل، حيث توجهت سو وكارلوت لتسليم معطفيها في غرفة السيدات وعادتا الى حيث كان الرجالان في قاعة

الاستراحة. كان ميريك رائعاً كالعاده في تنوّره، اما طوله وعرض كتفيه فقد جعلا سائر الرجال في الغرفة يذدون نافهين، وتبسم من الجملة. توجهوا الى قاعة الطعام واخذوا اماكنهم، وراحوا سو تأمل جال القاعة، وبخاصة مجادة التارتان الكبيرة، والتواقد العريضة التي تطل في النهارات وفي اشهر الصيف على مشاهد رائعة من الريف الاسكتلندي. كانت تجلس بين تيم وميريك، وطوال فترة تناول الطعام كانت تحس وجوده بكل جزء من كيانها... وعمراراً انجذبت عيناه الى عياه الوسيم واستقرت عليه لا ارادياً. كانت تلبس الثورة السوداء نفسها، اما هذه المرة مع بلوزة من الحرير الاسود ذات كعبين طويلين وباقية مستديرة تظهر عنقها البعض وكفيتها. اما شعرها الكثيف فقد سرت منه بحث بما دا كفيمة شقراء غوج حول وجهها وكفيتها وتسبك حوصلات منه على وجنتها.

جاذبيتها لم تغب عن ميريك، وانعكس اعجابه في الق عينيه حين استقرت على قوامها الأهيف، اما لم يعبر عنه بآي كلام، ومنت في حرقة لو يفعل ا تيم من جهة، اطري جاذبيتها علينا لكن كلماته لم تلسم قلبه المجرور.

توجهوا بعد العشاء الى قاعة الرقص، وتناولوا القهوة الى احدى الموائد الصغيرة المحيطة بحلبة الرقص. بدأ العرض بوصلة من موسيقى القرب، اداها ارتجاعاً رجل يرتدي الشاب الفولكلوري وتبعها رقص على ايقاع فرقة موسيقية جليلة. وبعد ذلك، وجدت سو نفسها تدور راقصة بين ذراعي ميريك، الذي غضم قائلاً:

«اشكرك على قبولك الرقص معي يا آنسة فريزر، واعجب لانك لا تخشين على اصياع قدميك».

فردت مبتسمة وضاربة على الوتر ذاته:

«لا داعي للاعتذار يا سيد فيندلي. وادا دمت على اصياعي، ماجد طريقة لارد عليك بالمثلل».

«الا تعلمين ذلك ذاتي؟ الا يمثل السيد ماسون طريقتك الاخيرة في ردك على بالمثلل؟».

فتعثرت قدماتها وكادت تسقط على صدره وهي تحجب:

«تيم؟ كيف يعقل ذلك؟».

«لأنه لا يرهق نفسه في سبيل ارضائي». شدد قبضته على خصرها وهو يطروحها معه، وتتابع بصوت بارد:

«قد اتحمل الوضع حتى نهاية الاسبوع اما لا اصم ضبط اعصابي الى بعد من ذلك».

شعرت بجزيج من الحمية والكدر فعيق وجهها، واجابت في جوده:

«اجازته انتهت، ومن المفترض ان يرحل يوم الاثنين او الثلاثاء».

«شرط ان لا يجدد زيارته او تطلبني اليه ان يعود ثانية».

«انت لم تجهد نفسك ايضاً في الترحيب به. اين ذهبت ضيافتكم الجليلة المعروفة عنكم؟».

«اما تبز بين ضيوف وضيوف فلا تستقبل الجميع بالاحسان».

«لكنك لا تقدر ان تقطع اعناق الناس هذه الأيام، مجرد انك لا تخيم».

«صحيح، لم يبق لدينا الا سلاح الكلمات، لكن من المعروف عنا، حتى في هذا العصر، انا نستعمل شيئاً اقوى منها».

ارتعشت قليلاً تحت سيف بصره... هل تراه يلمع الى رحلتها الجليلة لطاردة الغزلان؟ ذكريات ذلك اليوم عادت اليها حية، فصاحت جوابها بمحنة يأس غير مقصودة:

«لا أحوال ان تيم سيرغب في العودة، حتى لو طلبت انت اليه ذلك؟! لا تخافي، فلن ادعوه».

ثم قست عيناه فتأكد لها ان اخذ كلامها على محمل اخر. وتتابع يقول:

«انه لا يناسبك يا سو، ويختلف عنك كثيراً بعدم صراحته واخلاصه. لذا تقتضي مصلحتك ان تسارعي الى نسيان امره».

«يا لك من...».

استبد بها الغضب فحاولت الافلات من بين ذراعيه... لا تذكر اها هي نفسها ما اكترت كثيراً لتي، فمن حين زار اها لأول مرة، وكان وقتها شاباً دعماً من مكتب الضرائب، ثم صار يتردد عليهم بحكم العمل، اصبح ما يشه العادة في حياتها. ولكنها برغم كل شيء، مدينة له ببعض الولاء وحب اندفاع عن صداقاتها... قالت بصوت لاهٍ:

«في ملء الحق في ان ادعوه هو او ايام من اصدقائي الى غلينز ودند ساعة

اشاء، وليس لك ان تتعني!».

«ما عليك الا ان تحوّلي لطري التائج!».

ايسم هازناً يعثروها، ثم شدها اليه واخذ مقاومتها حين خفت الاضواء مع اقتراب رقصة الفالس على النهاية. احست نفسها تنهذ على صدره، وخردت من كل سلاح لما همس في اذنها وانفاسه تسارع: «كم يلذ لي ان اشاجر معك يا حلوي سو، واعرف من ما سيتصور». انتهى الفالس وعادت الاضواء، فتركه وبلغت كالعميم الى مقدمها فيها احست بسرورها متهملاً. وجدت تيم مستغرقاً في الحديث مع كارلوت، وهي تلقي يدها على ذراعه وتصفي اليه بكل حواسها. تذكرت سو بقلق لها حيثت مرة من امكانية استفراد كارلوت بتيم، واستطاعت الان ان تصور نوع الاسئلة التي تطرحها عليه كارلوت، وحيث لا حدود لقصوها وللهفتها الى جمع المعلومات عن سو.

لدي وصوتها نهضت كارلوت واقفة، وسألت بشيء من السخرية وهي تنقل بصرها بين وجه سو المتوردة وحيث توقد ميريك ليتكلم مع رجل آخر:

«الم تستمني بالرقص؟ يبدو انك تهربين من شيء ما».

فردت باختصار: «ما هربت من اي شيء».

ثم تفتق سو بعنف وتتابعت تحداها بصوت بليد: «انك تخبي اعطاء الانطباعات المعايرة للحقيقة».

فقالت كارلوت:

«انت التي اعطيت هذا الانطباع حين عدت راكضة وكان حيواناً مفترساً يلاحقك!».

ثم غيرت الموضوع وقالت في هذهة تام:

«ابدلت وتم حدثاً مختلفاً، وقد اخبرني شيئاً عن حياتك الماضية. في اعتقاده انك جئت الى غلينزرودن لغاية معينة. يجب ان اروي لميريك بعض هذا الحديث».

ثم سارت الى حيث ميريك لشاركه الرقصة الثالثة، فنظرت اليها سو بحيرة وذهول... انتها عندها لذودة ثغت قناعها، وكان من الغباء ان

تخدع بها وتحتطلب مساعدتها على ايجاد عمل لها! استمرت السهرة تخللها رقصات جبلية حتى حان وقت الانصراف. لم يشارك تيم في اية رقصة، بعكس ميريك الذي رقص كثيراً والى حد ادهش سو. لم يدعها ثانية الى الخلبة، لكنها انضمت الى مجموعة اخرى كانت ترقص جماعياً، ولم تحس اي تصور او ارتباك لانها كانت تلقت دروساً مسابية في الرقص الاسكتلندي الفولكلوري، كجزء من منهاج التدريب على اللياقة البدنية في الكلية، ولذا انتقت التعلم وساعدتها على ذلك خفة حركاتها. انضمت الى المجموعة في حماسة، ورقصت في اتفاق ورشاقة، عازولة اخفاء حبها الى ذلك الجيل الوسيم الذي يقى بعيداً عنها طوال الوقت!

لدى عودتهم الى غلينزرودن، كانت هي وكارلوت متعثتين فصعدتا فوراً الى غرفتها. كارلوت قررت النوم عندهم بسبب تأخر الوقت، وتساءلت سو عما اذا كان ميريك قد تعمد ابقائها لغرض عاطفي في نفسه، يهدى انه صعد الى غرفته بعد ما يقليل، وسمعته سوير امام بابها المغلق، ثم نسم الصمت الا من الريح التي كانت تهب في الواطي.

ما كانت الريح تزورها من قبل، بل عجز لها لتنام، اما الليلة، فاذكارها القلقة تسهدها، ومعظمها ترتكز على ميريك والتتصق به كما الحجم. لم يعد هناك اي مجال للشك في ائتها تجاهه مع ائتها تدرك جيداً عذاب الحب من طرف واحد. كانت بعض تصرفاته تزرع فيها آمالاً بسيطة، لكن هذه الآمال هوت الى الارض هذه الليلة حين تتجاهله وجودها معظم السهرة. ارتعشت ورفعت رأسها على الوسادة، معرضة وجهها للهواء البارد الطلق من النافذة. ظلت تتقلب على فراشها حتى تعبت، فكفت عن الحركة، وحاولت ان تذكر كل كلمة قالها لها خلال رقصتها الوحيدة معاً... لقد وعظها بالنسبة الى تيم، وحدد لها صلاحيتها في دعوة اصدقائها الى غلينزرودن. كان يتكلم وكأنه يملك المكان! وفجأة، انعطفت اذكارها الى الجهة اخر، فاستوت جالسة على فراشها.

قطبت وسط الظلام، وتذكرت ان تيم اقترح عليها ان تقتنش مكتب ميريك بحثاً عن اوراق تحدد مركزه الحقيقي. رفقت وقها الموافقة على عمل كهذا، ولم يأت يوم على ذكره مرة اخرى. اما الان، وفي هذه اللحظة

يُعْلَمُ ! كانت فكرة متسرعة ولدت في لحظة ضغط ، وادركت سو، ان المكتب
مهما كان فيه من اسرار، فيجب ان تتركها حيث هي . صحيح ان والدعا
يملك هذا المكتب ، لكن التفتيش التجسي ليس من طبيعتها . ليتها
تعقلت وادركت هذا من قبل ! وفكرت يائسة، اذا قصدت ميريك هنا ،
بعد ان يسافر تيم ، واستوضحت الحقيقة في صراحة ، فلربما اخبرها بنفسه
كل ما تود ان تعرفه .

بالذات ، وجدت الفكرة مغربية ، ليس من وجهة نظر تيم المرتزقة بل بالنسبة
الى علاقتها بميريك . فمن الناحية العاطفية لن يكون هناك فرق ، سواء كان
مدير الاملاك ام لم يكن ، اثنا من المحتمل ان يكون شريك ابيها قعلاً ، او
اسوأ من ذلك ، ان يكون مالكا لنصف غلينزرودن او اكثر من نصفها ! هذه
النقطة لم تخطر لها قبلًا ، واحت فجأة بضرورة اطلاعها على الحقيقة .
ازاحت الغطاء وقفزت من الفراش بحركة رشيقة . لم تتوقف لتبس
رورها ، وسارت حافية القدمين وفتحت يابها ببطف . لم تخرق على اشعال
النور لثلاثة مقدم بشيء فتحدث صوتاً .

لكن البيت الكبير كان ساكتاً ، وبرغم ذلك احست العرق يتر من كفيها
وهي تستظر قليلاً لتأكد من ان الجميع نائم . طمانها استمرار السكون
فغيرت الى المعر واغلقـت الباب باحتراس ثم هبطت الدرج ركضاً الى
الردهة .

كانت غرفة المكتبة التي حوطها ميريك مكتباً تقع في المعر الكائن خلف
الدرج ، فانسلت في المواجهة ، تستدل اليه بالغريبة والذاكرة ، فيما الظلام
يلف طريقها عدا صوت قمرى ياهت يتسلل من زجاج النافذة في اعلى
الجدران ، ولا صوت غير ضربات قلبها التي كانت ترن في اذنيها عالية .
توقفت عند باب المكتبة حين احست في داخلها شيئاً يتراجع ، لكنها
استجمعت شجاعتها ودفعـت الباب . عبرته وكادت تتعثر ، فتوقفـت حائرة ،
وندمت لكونها نسيت الایران بمصباح يدوي . كان في المطبخ واحد ، الا انها
خشيت البحث عنه في الظلام لثلا تسقط غرضاً من الاغراض فتحدث
دوياً . اضاءت الزر الكهربائي وانصت متخففة ثم تشجعت وقررت
المباشرة في البحث لنتهي بسرعة .

ارتعدت وهي تحدق في الغرفة حوطها . لقد زارتها مرة او مرتين من قبل ،
الأولى عندما جاءت لتأخذ كلب ميريك في تزهـة ، كارلوـت كانت معه
آنذاك ، والثانية حين حلـت رسالة الى ميريك من احد الزوار . تذكرت
طاولة المكتب اكثر من سواها ، وطفقت تتأمل رفوف الكتب العالية
والمقاعد المرعجة حول الموقف ، ثم ارجعت بصرها الى الطاولة الكبيرة المغطاة
باجلد . وعلى حين غرة ، راح قلبها يخفق بسرعة وثقل ، واتسعت عيناهـا في
حيرة . كان شيئاً غريباً ان تفقد رغبتها في البحث ، بل وتجد نفسها عاجزة

١٠ - حبيبي الى الأبد

في تلك اللحظة من التجل، والمحظوظ فيها ان تزود سو بالراحة والاطمئنان، احست نفسها فجأة تجمد بلا حراك، وادركت غريزيا ان هناك احدا يقف خارج الباب، وحين انفسح في بسطه محدثا صريرا عيناً لدى ادارة المقبض، دوى ذلك الصفير كالغمدار في اذنيها.

وللحظة، احست نفسها معلقة في فضاء شفاف، فاستدارت واسرة تقسيمها ذهول صاعق حين وقع بصرها على ميريك... فلصصها اليأس فنظرت اليه كالخرماء، وهي تسأله عن ما اذا كان يتوى خنقها... شجب وجهها حق الياس لما سمعته يعترض في شراسة، وكان مرآها واقفة قرب الطاولة افلت فيه عقال الغضب.

ولأول مرة منذ عرفة، رأته يعجز عن الكلام لشدة غضبه، ولكنها تستطع اتحمل الموقف اكثر من ذلك، فاتت بكلمات حية متلعنة وقليلها الخالق يدوى كالطبل:

«آسفة... لم اقصد ازعاج احد... لا ادري كيف عرفت اي هنا...»

«كنت انوي الاطمئنان على جون، ولما رأيت شيئاً يتحرك، تبعته على الدرج في القللام لان لم اشا ايضاً ان اشغل النور، ولم اعرف هوية اللص التسلل كالقطة حتى فتحت هذا الباب. حسبه صديقك السيد ماسون، يتحرى في الظلام».

«هل اصاب والذي شيء؟»

فأجاها في خشونة:

«انك تغيرين الموضوع يا سو، والدك ساءت حالته في الأيام الأخيرة

وانت تعرفين ذلك».

«كان يجب ان اطمئن عليه بنفسى فور عودتنا لكنى كنت شبه اكيدة بأنه نائم. ثم ان لم اغير الموضوع».

«حقاً؟»

كلمة واحدة قالها، الا انها عوضت عن مجلدات. تقدم خطوة واستر برقبها. خيم على الغرفة صمت ثقيل، فخشي ان يسمع خفقات قلبها المهووسه.

«لم تخبريني ماذا تفعلين في مكتبي؟»

«لم امس مكتبك».

كان ميريك ما يزال يتفحص وجهها، وعاد يلح في قسوة: «تقولين انك لم تأتي هنا لتفضلي مكتبي، اذن، ماذا تفعلين بالضبط؟ ان اطالبك بتفسير معنى والا؟»

تذكرت سوانه اتهما مرأة بالكلذب. كان وقتها يمزح، لكنها لا تزيد ان تتبع له الفرصة لأن يفهمها جدياً هذه المرأة. اثنا ماذا في وسعها ان تقول؟ تراجعت خطوة الى الوراء ويعيداً عن تلك النظرة الفانكة بالاعصاب. كيف لها ان تخلص من هذه الورطة، وهي لا تملك الشجاعة على الاعتراف بالحقيقة؟

امهلها عشر ثوان ثم فقد صبره. وصلها بخطوة واحدة، وطرح بيده على كثيبها ثم شدّه قبضه من خلال العبايات الرقيق قائلاً: «ماسون هو الذي حرمتك على هذا، ايس كذلك؟ انك تحاولين التستر عليه!».

اووجهها سؤاله مثلما أوججتها يداه... تللت لانه أصاب الحقيقة الى حد ما، لكن كيف تستطيع افهمه بيان تورطها لم يكن له اي علاقة باقتراح تيم؟ كان من المستحيل ان تورط تيم لاها لي تكون توي اطلعه على اي شيء من الحقائق التي قد تكتشفها. وهي اذا اعترفت لميريك بأي شيء من هذه، فلن يصدق اطلاقاً بانها قررت في اللحظة الاخيرة ان تعدل عن التغش. الرفع لا منطقى الى حد سيبدو فيه التفسير بعيداً جداً عن الحقيقة. هزت رأسها في عجز، وقالت وهي تحاول التملص من قبضه: «اقسم لك ان تيم لا يعرف شيئاً عن مجئي الليلة الى مكتبك».

شيء، وليس هذا الرجل الذي اعتقلها بوحشية لاتها رفضت اعطاءه
الغیر الذي طلب... ما الذي اعملاها عن رؤية هذا المنطلق قبل اليوم؟
تلالات على جيبيها حربات عرق حين قفزت افكارها عائنة الى تيماء
يجب ان تدقنه من ثورة ميريك منها كان الشمن... فقالت متعرنة:

ولا احب الحاق الاذى بالناس، وخاصة تماء.
وتبدين مصممة على حياة السيد ماسون، فلماذا لا يأتى هذا الفارس
ليحميك الان من الوعد الذي يدير املاك غلينرودن؟ هل تراه جالاً على
سريره، في انتظار ان تأتيه بالحقائق المطلوبة؟
«انت رهيب! رهيب للغاية!».

اهبت الثورة وجهها، وشعرت بأنها تخنق تحت ضغط الغضب.
فارجع يديه عنها بفجائية كادت توقعها ارضاً، وقال في عنة:
«اذن، انا رجل بلا اخلاق في نظرك؟».
«شيء من هذا القبيل!».

ردت بجرأة تصبيه في الصميم، وهي تراجع من امامه. ابتلت ريقها
وكانها تتخلع بحصة، وتراجعت اكثر حين ازدادت عيناه ظلمة. اخذ
جسمها يرتجف، فادركت انها لن تنسى هذه اللحظة طوال حياتها. كان
هناك توتر غريب في الهواء الساري بينهما، ثم انعدم الهواء وحل مكانه
احساس متصلب يحلول كارتة حين تقدم ميريك ووسط ذراعيه، ليس
ليطلب اليها تفسيراً لهذه المرة.

حاولت جاهدة ان تقاوم، ان تهرب، لكنه اخذ محاولاًها باستهراه
وبقوة وحشية. قيس على عنقها ورفع ذقنهما عالياً، وغضاص بصره في عينيها.
احت الدم يدوي في عروقها ويسري كما اللهب. فالآن لم يكن يداعها
ان تلك المرة في الكوخ او لتلك الاخرى على الجبل. فالآن لم يكن يداعها
ولا كان ايضاً يعبها حين عانقها بقصوة لم يخطر لها ابداً انه قادر عليها.
وحاولت بضعف هذه المرأة ان تدفعه عنها وان تعلق بقشة اخيرة من
التعقل، الا انه لجم تحركاتها بقوة ذراعيه والصفعها به، حق استكانات اخيراً
على صدره. ثم راحت تمر اصابيعها على وجهه وقد انجرفت كلها في عنة
المشاعر التي اجتاحتها.

تأمل ملياً بشرتها الناعمة، وازاح الخصلات الحريرية عن عتها

«هذا التبرير لا يجيئني على سؤالي. انه مراوغة!».
غرز اصابعه في كتفيها غير آبه لمقاومةها الركيكة، فهتفت تقول بارتباك
معنون: «كان من السخف ان آتي هنا... ربما كنت اسيراً في نومي، لكنني لم

حدث اي ضرر وما لامست مكتبك او سرت منه شيئاً، وانت تتهمني
زوراً!».

«انت تضييعن الوقت بهذه الثرثرة، فانا اكيد من انك لم تكوني تسررين
في نومك مع ان لباسك يناسب هذه الفكرة!».
«وان اكرهك!».

فلمعن في حرقستها بقوله:

«سوهل مستخبريني الحقيقة ام مستخبريني على سحبها منك عنوة؟».
كان وجهه شاحباً كوجهها وعيناه كاجليد، لكن مشاعرها المكبوتة
واعصاها المتوردة اعمت بصيرتها عن اشارات الخطط! اطبقت فمها بتحدد،
والترمت الصمت ناظرة اليه في غرور.

فقال بصوت قاس ويان الغضب يسحق الكلمات بين اسنانه:
«يندو انت تتلذذين بممارسة الواقحة! لقد افهمتك قبل ساعات،
وانهمك الان مرة اخرى ان مصلحتك تقضي بأن تخلصي من تم
ماسون، والا تخلصت منه، يuron الله، باليابسة عنك! وتدكري في هذه
الحالة، انه سيعرض لاهاته اكبر!».

ادركت ابعد هذا التهديد فشققت وقالت:
«اباك ان توذني تيم بكلمة واحدة، اتسمعني؟ اياك ان تفعل، والا
رحلت انا قبله».

«هل انت تهدديني يا آنسة فريزر؟».
تكلمت اصابعه على كتفها متوعدة، ثم هبطت الى ذراعيها تقبض
عليها بشدة، وتغمره بمرجة رب.

كيف تقدر ان تعييه؟ كيف تقدر ان تقول: يجب ان اعرف بالتحديد ما
هو مركزك في غلينرودن، لاني سأجن ان لم اعرف؟ لكن مركز ابيها يجب ان
يؤخذ ابضاً بعين الاعتبار. وفيما استعدت شفاتها للالقاء باعتراف متهور،
اهتدت فجأة الى المنطلق السليم. ان جون هو الذي يجب ان يوضع لها كل

وخدعها.

كان يعتقلها كمحضور،

وكانه يعاقبها ويستقيم بقصوة من ثردها.

لم تذكر، بعد ذلك، مق خرج بها من المكتب وهو يحيط خصرها بذراعه، ثم يصعدان الدرج في ضوء القمر، وشعرها يسبح كالغيم في الليل البارد المعطر، ولا فتح باب غرفتها، سمعته يغمض شيئاً لم تفهمه، وفجأة، القاها على السرير، متخللاً عنها بقصوة، فأحست الصدمة تحطم وتتسارع كاناه يتذكر.

ولما نكلم، وقع صوته في أذنيها بارداً وعلينا بالتهكم:

«احياناً يأتي وقت يا سو، تفرض فيه الحقيقة نفسها علينا، وهذا هي تفرض نفسها على فتاة مثلك، كانت شديدة العمي، والى حد لم تر فيه الا...».

لم يكمل، وفي أقل من لحظة سمعت سو أغلاق الباب بعد رحيله، تاركاً اياها وحيدة مع افكارها المذهبة، وهي تحاول بعجز يائس ان تستوعب مدلول كلامه.

في اليوم التالي بعد الغداء، وكان يوم أحد، خرج ميريك ليوصل كارلوت الى بيرث، ولم يدحق ساعة متأخرة من الليل. وصبح الاثنين، قادر تيم غلينرودن الى لندن، ويوم الثلاثاء بعد الظهر، توفي جون فريزر، اسلم الروح في هذه اثناء نومه في ساعة القبلة. ومع ان وفاته كانت شبه متوقعة، غير ان سو ذهلت حين سمعت الخبر من السيدة لينوكس.

لم تكن قد رأت ميريك طيلة النهار، ولا ودت ان تراه، الا بعد ان تتمكن من تحليل مشاعرها نحوه. وفي حال فشلت في ذلك، فلا يمكنها البقاء في غلينرودن كيلا تعرض كرامتها لاذلال كامل. فبعد الذي حصل في المكتب، ما عادت تتنزع عواطفها بالنسبة اليه. اجل، كيف يمكنها ان تنسى نفسها في مواقف مشابهة وارادتها الضعيفة قد تخوبها في اي لحظة. ونذها امام هذا الرجل الذي يحمل لها كل هذا التفوه؟

لقد اقتمت الان بوجوب ابتعادها، ومن حسن الحظ انها حصلت على العمل المشود، فحين جاءت كارلوت لترافق تيم الى عطة بيرث لتودعه، قالت لسو بدفه ومودة:

«اكلملك بخصوص العمل في المدرسة يا عزيزتي، انه لك اذا شئت، لكن عليك اولاً ان تقابل المدير لتفقني معه، واذا راق لك ونجحت فيه

فقد تحصلين على مركز افضل».

زار المدرسة واتفقت مع المدير، رعايا لانه لم يستطع ايجاد معلمة سواها، على ان تبدأ العمل في الاسبوع التالي. وبالنسبة الى مكان الاقامة، فاما ان تستأجر غرفة صغيرة في البلدة وتعود الى غلينرودن في نهاية كل اسبوع، او تذهب بسيارتها يومياً الى هناك اذا اصر جون على ذلك، وفي كل الحالين ستتجدد المتنفس الذي هي في اشد الحاجة اليه.

لكن قبل ان تجد اقل فرصة لتفاتح جون بالموضوع، رحل عن الدنيا بدون ان تقول له شيئاً. لم تكن تصدق ان الصدمة متزئراً عليها الى هذا الخدا رعايا ساحت تراكمات اشياء كثيرة في تعويق حزنها، لكنها تبدو الان اسوأ حالاً مما كانت عليه يوم فقدت امها. لقد سارع كل من ميريك والسبدة لينوكس الى تأمين راحتها وكأنهما تفهمها لوعتها دونما حاجة الى تفسير. اما كارلوت فلم تأت ب نفسها واكتفت بارسال برقية تعزية، وقد

علقت السيدة لينوكس على تصرف كارلوت قائلاً بمحاجف:

«انها لا تهم بالمجيء، فوراً للعزية ولكن ثقي انها ستهتم بحضور الجنازة».

ميريك كان ودوداً اما بدا منعزلأ تماماً وهو يشرف على كل الاجراءات يكفاءة جدية، كان يستقبل المعزين ويرد على الهاتف باستمرار، ميريك صموداً وقوه نادرتين كأنهما قلعة جباره. اما حزنه الخاص على فقد جون فلم يبد الا من خلال التوتر الخفيف حول فمه والسوداء الكثيف في نظره عليه المباشرة.

مررت الايام التالية على سو وكأنها في حلم غاشم. تفكيرها في المستقبل حصرته في وظيفتها التعليمية القرية، اما غلينرودن فلم تفكر فيها اطلاقاً كجزء من المستقبل. فالتباحة الطبيعية للأمور، تقضي بان تزول الاشكال الى ميريك، مع انها لا تعرف كف ميسار الى ذلك. اما بالنسبة اليها، فقد استغرقت زهدتها في امتلاك اي شيء.

لکنها قررت في اليوم الذي تلا الدفن، ان تذهب الى بيرث ل مقابل محامي جون وتشيره قانونياً. كان ميريك قد درب موعداً معه ليأتي بنته الى غلينرودن يوم الاثنين، لكنها ستكون غائبة في عملها اندلاع شعرت بالذنب لأنها لم تطلع ميريك على تسللها الوظيفة وكانت تنوى اخباره، اذا

ولما انغلق الباب خلفها ب Stealth، ادركت سو، انه لم يضف الى معلوماتها شيئاً، عدا ذلك الخبر الذي هزها في الصعيم. قال شيئاً اخر يتعلق برثة صغيرة لا تذكر تفاصيله، وهكذا خرجت كما جاءت تقريراً! لم تذكر، بعد ذلك، كيف امضت فترة بعد الظهر، لقد تجولت لفترة بلا هدف معين، ثم دخلت مقهى صغيراً وطلبت شايأً وحلوي، اما لم تذكر كيف اكلت ولا كيف غادرت المكان بعدما دفعت الفاتورة. كان الغروب قد اوغل في انتشاره قبل ان تجد طريقها في العودة الى غلينرودن، وقررت الا تفاجئ ميريك بما عرفته عن حقيقة الملكية، وان تتذكر حتى صباح الاثنين، ولدي مغادرتها البيت الى مقرها الجديد. لا موجب لأن يكون الحديث طويلاً، بل مجرد اعتذار موجز، كلمة وداع وعبارة شكر ثم مغادرة سريعة. سيتهي كل شيء في بعض دقائق وياقفل قدر من الاحراج لكنها. فالوقت سيكون اضيق من ان يتبع المجال لاي تفسير. ومهمها كان الشعن، قالت لنفسها، فيجب ان تصرف مبتهن الاختصار، لأن وضعها العاطفي الحالي، الشديد الانفعال، قد يجعلها تقول اشياء تندم عليها في ما بعد.

لدى عودتها ماء ميриك خارج الست، وفرحت للفكرة.
 الا انها حين فتحت الباب واخلفته خلفها باصابعها المتخدرة من شدة البرد، احست بوجود ميريك، بالرغم من كل احتياطاتها... . كان يعبر اليه صوبها، بوجه قائم، وتوتره القديمة الخاصة بالعمل تتأرجح حول رديفه. وقبل ان تفك في وسيلة للهرب وصل اليها، ووقف كالملاره فوق رأسها:

«سواء».

هناه المختصر اجهلها ثم جدها، حين احتوى ببصره وجهها الشاحب.

«سواء اين كنت يحق السماء؟».

قبض على كتفها وهزها بعناد صبر، ناقلاً اليها عطف عواطفه من خلال يديه، مما جعل كل قرارها الجديدة تتهاوى، ولم تشعر الا ودعوها تسك على خديها.

«سواء».

لم تجد الفرصة المناسبة. لذا يجب ان تهدى الجرأة لاعلامه في خلال نهاية الاسبوع، ولكن من الضروري ان ترى المحامي اولاً.
اخذت منه موعداً ل الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الجمعة، وبعد وجبة غداء خفيفة توجهت الى بيرث، وكان ميريك خارج المنزل. وبالرغم من فارق الزمن والظروف، ذكرها رحلتها هذه، بذلك اليوم الصيفي الذي قابلت فيه محامي امهات اتعلمه على الرسالة التي كانت السبب في مجئها الى اسكنلندا، وشردت افكارها تتجول هنا وهناك، وهي تقود سيارتها بسرعة في اتجاه بيرث. كان من واجبها رعايا ان تعلم تيم بوفاة ابيها، ومن باب اللياقة على الاقل، لكنها في الحقيقة، نسيت تماماً منذ ان عاد الى لندن، بل انه غاب عن ذاكرتها حالما استقل القطار من المحطة، وصار خيالاً بعيداً بالنسبة اليها. ميريك وحده كان يختل افكارها وقلبه، اما بعد فقدانها الموجع جنون ما استطاع احد، حتى ميريك، ان يذيب الجمود الذي يحاصر قلبها.

وحين التقى المحامي لم تجد في كلامه اية راحة. وقد بدأ حديثه قائلاً:
«تعرفين بالطبع، ان اباك فقد ملكته لغلينرودن حين باعها منذ عشر سنوات؟ كان سعيد الخطط بعثوره على شار مثل ميريك فيتنلي... . لكن هذا حدث في الماضي البعيد واصبح اليوم ت腮ياً منسياً».

نظرت اليه في ذهول، وحدت الله على انه لم يلحظ ارباكها لانشغاله في تفحص بعض الوراق... . اذن ميريك هو مالك غلينرودن وليس جون، وهذا المحامي سلم جدلاً بانها تعرف الحقيقة! اجتاحها اليأس وهي تسأله لماذا اغضي جون هذا الامر الخطير عنها؟ ستدل نفسها اذا اعترفت للمحامي بجهلها، فكيف تحصل اذن على المعلومات التفصيلية؟ لم تستطع حتى ان يتوقع عرقتها به ايضاً.

ومضى الرجل يتكلم، ولو بتحفظ، فأخيرها انه يعرف اباها منذ سنوات بعيدة، وكذلك تعرف الى امها بعد زواجهما من جون. وقال حين شيعها الى الباب مودعاً:

«انت تشبهين جدتك كثيراً يا عزيزتي، وقد كانت سيدة بكل معنى الكلمة».

«قصدت المحامي لاقف على حقيقة الوضع التعلق بالاملاك، اذ كان لدى احسان رهيب بأن الاوضاع ليست طبيعية. احياناً كنت احسب انك مجرد مدير مسيطر، وفي احياناً اخرى، كانت تتابعي فناعة غيبة يأتي ووالدك كنا نعيش على الاحسان».

«مسكينة يا سو، كنت تخبطين في الخبرة...
صمت قليلاً ثم تابع يفتخر بنبرة حازمة:
«ما رأيك ان نبدأ من البداية، انا وانت؟ هذا ما كان يجب ان تتعلمه منذ وقت طويل».

«اخبرني المحامي، انت المالك الوحيد لغليترودون، لكنني لم اسألتك عن اي شيء اخر لانه بدا وائقاً من معرفتي لكل التفاصيل. لم اجرؤ على الاعتراف له ببعكس ذلك، ومن ناحية اخرى، ما عاد مهمني ان اعرف».
«لو ان عرفت بذلك ستذهبين اليه، لكنت وفرت عليك كل هذا العذاب يا سوا كنت اتوب اطلاعك على كل التفاصيل في عطلة نهاية الاسبوع، وقد تمهلت لامتحنك فترة راحة، كنت في حاجة اليها». «فهمت».

هكذا قالت، بيد أنها لم تفهم، وانتظرته بصمت ليتابع حديثه. كان ما يزال يمسك بيدها فأخذت قلبها يرفرف في حلقة ويكاد يختنقها. لم تجرؤ على التحرك خشية ان يتركها، ولكن تحفظ وبالتالي بذكري هذه اللحظة الى الابد.

وابع يقول:

«عندما ابتعت غليترودون قبل عشرة اعوام، كنت في الخامسة والعشرين من عمرى، شاباً قليلاً الخبرة، لا اعرف اي شيء عن اصول الزراعة في الجبال. كانت غليترودون معروضة للبيع، فاشترتها».
فقالت:

«اشتريتها بمحنة السرعة والبساطة!».

«اجل، هكذا فعلت يا حلوتي سو. اما اكتشفت بعد ان من عانق الحصول على رغباتي؟».

عاد قلبها يخفق اذ احسست بعاقبها على مقاطعتها لحديثه. وتابع يقول:
«لم تكن الاملاك عصورة الارث، وكان شقيق جون، اي عمك، قد

هتف اسمها للمرة الثالثة، لكن صوته هذه المرة، غير عن لففة اكبر.
وناب يسأل في الحال:
«ما بك؟ ماذا حدث؟ ارجوك ان تخبريني!».
ولما حسمت لعجزها عن الجواب، احاط جسمها المرجيف بذراعيه وقال لها:
«احبك يا سو».

سمعته وكأنما صوته يأتي من مكان سحيق، الا انها ما استطاعت استيعاب المقصون الكامل لما كان يقول... . . . كان ذهنها يلتصق في غباء بما سمعت في مكتب المحامي، وهي تحاول تحرير احدى يديها، ثم تنس دموعها بقطعة متقلصة. وهمست في انكسار:
«ماذا لم تخبرني؟».

وفي الحال، تقلصت عضلات جسمه، وتوقفت يده عن تغريد شعرها ثم ابعدها قليلاً. التحفت عيناه بالغموض وتقلص فمه واجماً حين ادرك ان سوانها لم تكون له اي علاقة بيماته التحية. فاستغرق في اتضاب:
«اين كنت بالضبط بعد الظهر؟».
هذه المرة، لا سيل الى التهرب، لكنها ترددت، اذ احست بالذنب لكثيرها حجب ثقتها عنه، ثم همست في قنوط يضيق عليها النفس:
«الم تخزر؟».

«وكيف لي ان اخزر يا سو؟ السيدة لينوكس قالت انت ذهبت على الارجح الى بيرث، لكن حين تأخرت في الرجوع حسبت لن تعودي. فبدأت اقلق، بل كنت افقد صوابي من شدة القلق!».
«كان لديك موعد مهم خارج البيت. لم احب انت هنا».
«لم يكن منها. انت اهم من كل المواعيد! لقد اوصلت السيدة لينوكس الى القرية وتوقعت ان اجدك هنا لدى عودتي. لكنك لم تجيبي على رسالتي بعد».

لم يعد هناك مهرب فقالت:
«ذهبت لاقابل محامي والدي، في بيرث».
«فريقوسون؟».
حاولت التغلب على ضعفها وارتباكها وقالت:

صمت الاثنان للحظة طويلة، فصاحت ميريك ساكنًا يتأمل تقسيماتها في حاولت هي ان تستوعب ما رواه لها. كانت هناك عدة نقاط تغيرها، فسألت اخيراً هامسة:

«لماذا لم يخبرني اي هذا، بعد وصولي؟».

«كان يجب ان تخبرك لكن جون تولى ان لا افعل. ربما لانه كان يخاف في اعمقه ان يفقدك، كما فقد امك من قبل، فتصور، خطأ او صواباً، ان معرفتك للحقيقة قد تحملك عل الرحيل، وبعدما مر وقت على وجودك، عزم على اخبارك، لكن الخداع كها العقدة، كلما تشركت كلما ازدادت صعوبة فكها. وفوق كل هذا، تدهورت صحته بدل ان تحسن، فصررت الخاشى الاخراج عليه، رافقا بصحته».

وبالرغم من دفء النار، احست فجأة بالبرد، وسألت في حزن:

«لماذا لم ينحني ثقته؟ انا ابنته، ولم اكن لاتركه ابداً... اما... وغضض الدم من وجهها حين تذكرت عملها الجديـد، كيف تبرر له سكوتها عنه لغاية الان؟ لكتها حين اخبرته، لم تستصعب الاعتراف، وكان كل شيء»، مع ميريك، صار اسهل... وختمت حديثها قائلة:

«كنت اتومي التغيب عن البيت خلال الاسبوع، او الذهاب يومياً الى العمل، تبعاً لشبيهه. لقد شعرت بضرورة العمل. لا اعيش نفسي»، لا داعي لان تخبر ميريك بانها ما التعبات الى العمل الا لكي تهرب منه. «لو ان اباك عاش لكـان اخـبرـكـ مع مرور الوقت. تم ان الصـدـعـاتـ التي واجـهـهاـ فيـ حـيـاتهـ قدـ تكونـ خـيـثـ اـمـالـهـ الىـ حدـ جـعـلـهـ لاـ يـقـنـ بالـتـاسـ فيـ سـهـولةـ،ـ وـيـعـدـ مـيـثـكـ،ـ بـداـ اـكـثـرـ سـعـادـةـ،ـ مـنـ عـدـةـ نـوـاحـ،ـ الاـ انـ مـرـضـهـ،ـ ثـمـ مـوـتهـ،ـ لمـ يـهـلاـهـ لـيـشتـ ذـلـكـ».

فقالت حزينة شاردة:

«كـلـاـنـاـ لـمـ يـجـدـ الـوقـتـ الكـافـيـ لـتـفـهـمـ الـآخـرـ،ـ فـاـنـاـ لـمـ اـدـرـكـ الاـ بـعـدـ موـتهـ»،ـ اـنـ كـنـتـ بـدـاـتـ اـحـبـهـ كـثـيرـاـ...ـ قـدـ يـعـزـيـ بـعـضـ الشـيـءـ اـنـ جـيـشـ اـسـعـدـهـ،ـ وـيـ اـعـتـقـادـيـ اـنـ كـانـ يـقـنـ بـكـ تـحـاماـ».

«اجـلـ،ـ فـالـعـشـرـ سـنـواتـ وـقـتـ طـوـيلـ يـاـ سـوـ،ـ وـكـنـاـ فـيـ خـلـالـهاـ شـارـكـ العـيـشـ وـالـعـمـلـ فـيـ اـنـسـجـامـ تـامـ.ـ كـانـ يـعـزـزـيـ كـاـلـوـ كـنـتـ اـبـانـاهـ،ـ وـاـنـسـورـيـ اـجـيـتـ عـلـ مـرـ الزـمنـ،ـ كـمـ عـاـيـتـ هـذـهـ السـنـةـ وـاـنـ اـرـىـ صـحـتـهـ تـدـهـورـ جـيـهـ

بـاعـ مـعـظـمـ المـزارـعـ لـاـنـهـ،ـ كـمـ تـاهـىـ اـلـىـ،ـ كـمـ يـعـرـفـ اـضـعـافـ دـخـلـهـ،ـ فـلـمـ بـقـىـ الـغـلـيـرـوـدـنـ،ـ وـحـقـ هـذـهـ،ـ كـانـ تـرـزـحـ تـحـتـ رـهـنـ تـقـيلـ.ـ جـوـنـ حـارـبـ اـخـسـارـاتـ طـوـيلـاـ يـاـ سـوـ،ـ كـانـ وـحـيدـاـ بـلـ عـائـلـةـ،ـ لـمـ يـكـنـ يـعـلـمـ بـوـجـودـكـ،ـ وـخـارـتـهـ لـغـلـيـرـوـدـنـ،ـ اـرـجـعـتـهـ فـيـ الصـحـيمـ».

توقف قليلاً، فسألته:

«هل طـلـبـتـ اـلـيـ الـبقاءـ يـنـفـسـكـ؟».

فـأـجـابـ فـيـ اـسـىـ:

«اجـلـ،ـ فـجـوـنـ كـانـ يـعـرـفـ كـلـ صـغـيرـةـ وـكـبـيرـةـ عـنـ اـدـارـةـ الـاـمـلاـكـ الـجـبـلـيـةـ،ـ فـيـاـ كـتـ اـتـاـ جـاهـلـاـ لـاـبـسـطـ الـاـشـيـاءـ،ـ وـهـكـذاـ وـصـلـتـ اـلـ اـنـفـاقـ».

«القصدـ...ـ اـنـكـ سـلـمـتـ الـادـارـةـ؟».

فـهـزـ رـأسـهـ وـقـالـ:

«كـلـاـ يـاـ سـوـ،ـ فـاـنـاـ اـحـبـ دـائـيـاـ انـ اـدـبـرـ شـؤـونـيـ بـنـفـسـيـ.ـ لـكـهـ عـلـمـيـ كـلـ ماـ كـانـ يـحـبـ اـعـرـقـهـ،ـ وـعـاـشـ مـعـيـ هـنـاـ.ـ الـوـاقـعـ اـنـ قـلـةـ مـنـ النـاسـ كـانـتـ تـعـلـمـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ».

«ولـكـنـ صـفـقةـ مـنـ هـذـاـ النـوعـ،ـ يـصـعـبـ اـخـفـاؤـهـ...ـ».

«وـرـغـبـ فـيـ الـكـتـمـانـ لـاـسـبـ اـلـسـبـ شـخـصـيـ يـاـ سـوـ.ـ لـقـدـ اـخـبـرـتـ مـرـةـ اـنـ وـالـدـيـ تـوـقـيـ فـيـ جـنـوبـ اـفـرـيـقيـاـ،ـ وـلـاـ تـرـوـجـتـ اـمـيـ ثـانـيـةـ،ـ لـمـ اـتـجـمـ مـعـ زـوـجـهـ...ـ وـعـاـيـ اـنـ كـنـتـ فـيـ سـنـ شـابـ لـاـ تـهـابـ الـمـغـامـرـاتـ،ـ فـقـدـ اـخـذـتـ حـصـيـقـيـ مـنـ الـأـرـثـ وـجـهـتـ هـنـاـ.ـ لـكـنـ لـمـ اـرـغـبـ فـيـ اـنـ يـلـحـقـ اـهـلـيـ بـيـ،ـ وـكـانـ مـنـ الـمـحـتـمـلـ اـنـ يـفـعـلـوـاـ لـوـ اـنـهـ عـلـمـوـ بـشـرـائـيـ لـغـلـيـرـوـدـنـ،ـ وـلـذـاـ حـاـوـلـتـ كـتـمـانـ الـأـمـرـ،ـ وـخـاصـيـةـ اـنـ اـمـيـ مـنـ مـوـالـيدـ اـسـكـلـنـدـاـ».

«وـمـاـ اـخـبـارـ الـعـائـلـةـ الـآنـ؟ـ».

«مـاـ تـرـازـ بـالـفـ خـيـرـ فـيـ جـنـوبـ اـفـرـيـقيـاـ.ـ لـقـدـ دـهـبـتـ اـلـىـ لـندـنـ لـاـقـبـلـ زـوـجـ اـمـيـ،ـ فـتـفـاهـتـاـ حـوـلـ بـعـضـ الـاـسـهـمـ الـيـ اـنـ زـلـتـ اـعـنـلـكـهاـ فـيـ النـجـمـ».

«اـذـنـ هـذـاـ مـاـ كـنـتـ تـفـعلـهـ هـنـاكـ؟ـ».

«مـاـذـاـ حـبـتـ فـعـلـتـ خـلـافـ ذـلـكـ؟ـ».

«حـبـتـ كـنـتـ مـعـ كـارـلـوـتـ...ـ».

«وـاـنـاـ ظـلـتـكـ تـجـوـيـنـ لـندـنـ طـرـلـاـ وـعـرـضاـ بـرـفـقـةـ السـيـدـ تـيمـ مـاسـونـ!ـ كـلـاـنـاـ اـخـطـاـ فيـ تـفـسـيرـ الـحـقـيـقـةـ يـاـ حـيـقـيـ!ـ».

«من تكون هذه الفتاة؟ من أين حصلت على التمثال؟».

«ووجده صدفة، في أحد الجواوير السفلية في هذا المكتب. سالت جون اذا كان لا يمانع في ان احتفظ به، فوافق. ادركت من ذلك الحين انها الفتاة الوحيدة التي ساختارها زوجة لي. كان منطقاً مجنوناً بالطبع، لانه لم يكن لدى اي امل في لقائهما، او هكذا ظلت، حتى تلك الليلة في اديبر». . . . قصده كان واضحاً كالبلور. فخفق قلبه بشدة وهي تزيع بصرها عن الفتاة - التمثال وتلخصه بوجه ميريك، ثم تساءل:

«ظنتني ايها؟».

فأطبق بيده الحانية على يدها، وقال مؤكداً:

«عرفت فوراً انها انت، او عرفت ان جدتك تعود الى الحياة من خلالك... تلك الليلة، يدا جلياً انك استغرقت جداً تصرف في ذاك، وكان بالفعل غريباً، لكن الرجل عندما يرى حلمًا كبيراً له يتحقق، لا يتوقف عادة ليفكر بل يتصرف تلقائياً ويوجي من مشاعره. وحقّ لما اخفيت، وكان من الطبيعي ان تخافي، ثم هربت، تأكيدت وقها باني ساجدك في غلينرودن».

فهمت:

«ثم انتظرتني في شق الصخرة، وكانت مازالاً متضايقاً من شيء ما؟».
«انتظرتني هناك ولما رأيتني على الطريق، اتايبي ذعر مفاجئٍ مما قد يحدثه ظهورك من تأثير سبي على صحة جون، ولذا بذلت جهداً. كنت متضايقاً من نفسي اكثر، لكوني تأخرت في تدرك الموقف. ثم اتفتح لي بعد ذلك، انك لا تشبهين البنت، فتاة احلامي الفكتورية المطبعة، بل كنت قطة ببرية شرسة، وليطأنا وددت ان اضربك، وبخاصة عندما ظهر صديفك السيد ماسون. لكن بالرغم من كل ما حصل بيننا من سوء تفاهم، لم اقدر ان افلت اي فرصة كانت تتبع لي معانقتك».

الفت رأسها على كفه متتممة بـ «بـ دـ فـ»، ثم وقالت:

«لا تقلق يا حبيبي بشأن تيم، فانا ما احبه ابداً، وما اوحى اليه ابداً يأن احبه. اعتقد انه كان يتحفظ حائزًا بين عدة اشخاص تتجاذبه، واستبعد ان يعود مرة اخرى الى غلينرودن».

واكملت باسلام:

السرقة».

ظل يتأملها لبرهة صامتاً، ثم تقدم منها ليزرع معطفها، وحين ارتجفت، سحى عن كتفيها، وطفق يفحص رقة قماشه واجأ، ثم قال: «اعتقد انك كنت في حاجة الى المال لتبنعي معطفاً اسمك؟ لقد طلبت من جون ان يتأكد من وضعك المادي، والظاهر انه لم يجد الوقت ايضاً لذلك».

فهزت رأسها لتجنب ردًّا مباشراً، وفاجأت نفسها حين اجابت على استفساره بسؤال اندفاعي ارعن:

«اما رغبت مرة في الزواج؟».

فرد في رقة:

«اجل، عدّة مرات».

هو يحب كارلوت اذن! شخصت اليه بحدقتين مت酥تين، وراح التورد يغزو في وجهتها. عاد اليها الدوار، وبالكلاد احست بنهض ثم يعود ويوضع بين اصابيعها المرتخيفة فتجاذبها، ويأمرها بان تشربه.

قطب جيته وقال:

«كان يجب ان استقيك الشاي قفور وصولك. لقد جهزته لك خصيصاً، لكنني نسبت امره تماماً لانشغالك بك... هيا، اجرعيه ياتاطرة، لاني اريد ان اريك شيئاً طريفاً».

احشت الشاي بعصبية، فعاد لوبها المفقود، لكنها استمرت ترمي خائفة.

اخرج عحفظه من جيده، وسحب منها ثنالاً صغيراً جداً، وطفق يحدق اليه بانحرار كمراهن يهدق الى تجمّعه السينمائية المقفلة، ثم وضعه امامها على الطاولة الصغيرة. كان يضاوي الشكل بعث قنطرة شابة في قستان مزهر. كان شعرها الاشقر معقداً الى خلف ما يشبه الخواتم، وقد افلت منه خصيلات دقيقة كالريش، على صدغتها.

تسمر بصرها عليه بحيرة وذهول، لأن الفتاة المنحونة كانت صورة طبق الاصل عنها هي، ولكن هذا مستحيل! فiance الثوب العالية وتسريحة الشعر تتسميان الى عصر اخر، مع ان الشه كأن مذهلاً! سالت ميريك بانفاس مهورة:

«منذ وقت طوبل وانا احبك». .
«انا احييتك قبلًا يا سو».
احاطتها بحنان وتتابع بصوت اقل انفعالاً:
«اعترف باني حين سمعتكم تذكرين تيم ماسون لأول مرة، حبتك
تفكيرين فيه كخطيب احياناً».
فأجابت منفعلة:
«وانا حبتك تفكير الشيء نفسه بالنسبة الى كارلوت».
فمرر اصابعه في شعرها، ثم ازاحه في رفق عن جبينها الناعم، وقال
بصوت مرتفع عميق:
«ما نكته ليعبضنا يا سو، هو اقوى من العواطف الدينوية الجارفة...»
تزوجي قبيل عيد الميلاد، لاني ارفض ان انتظر اكثر».
«وستقضي عيد الميلاد في غلينبرودن، اليس كذلك؟».
«اجل، ستقضي عيد الميلاد في غلينبرودن، ثم تساور الى جنوب افريقيا
لقضاء شهر العمل ولاعرفك الى عائلتي. هل تخدين ذلك؟».
«انني اخبك يا ميريک فيندلي».
ستذهب سوال مطلق مكان ما دام ميريک معها وبقربها... ومن ثم
يعودان الى هذا البيت الرمادي العتيق وسط احياء الشاغقة. من اليوم
قصاعداً، ستظل غلينبرودن وطنها الصغير دائمًا، هذه كانت رغبة جون،
وتحقيقها سيريح روحه، واطلقت من قلبها صلاة شكر دائمة، حين قربها
ميريك اليه، وكأنه قرأ افكارها... .